طبيعة الدعوة العباسية

٩٨هـ/٧١٦م - ١٣٢هـ/٧٤٩م

الطبعة الاولى
١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م

طبيعة الدعوة العباسية

٩٨هـ/٧١٦م - ١٣٢هـ/٧٤٩م

دراسة تحليلية لواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها

الدكتور فاروق عمر

PH. D., S. O. A. S. (University of London)

دار الارشاد

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٢٤٧ - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى الذين يعتقدون بأن من انتهى من صعود السلم وادرك القمة عليه ان يمد يد المعونة الى من يحاول الصعود من ورائه .....
الى كل من ساعدني في اعداد هذا الكتاب اقدم مجهودي هذا اعترافاً بالجميل

« دخل المأمون يوماً على ابنه هارون وهو ينظر في كتاب فقال : ما هذا ؟

قال : كتاب يشحذ الفطنة ويغني عن العشرة .

قال المأمون : الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يرى بعين عقله اكثر مما يرى بعين جسمه » .

المؤلف في سطور

ولد الدكتور فاروق عمر حسين فوزي في مدينة الموصل في ٦ حزيران سنة ١٩٣٨ . ونشأ في ربوع أم الربيعين حيث درس في مدارسها الابتدائية والمتوسطة والثانوية .

تخرج من الإعدادية المركزية بالموصل سنة ١٩٥٥ حيث التحق بجامعة بغداد وتخرج من قسم التاريخ في كلية التربية بدرجة الشرف « الأول » سنة ١٩٥٩ .

وبعد أن درّس في دار المعلمين الابتدائية وثانوية بعقوبة لأكثر من سنتين التحق بالبعثة العلمية التابعة لجامعة بغداد للحصول على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن « إنكلترا » .

حصل على الدكتوراه في فلسفة التاريخ سنة ١٩٦٧ في موضوع « الخلافة العباسية ١٣٢ / ٧٥٠ — ١٧٠ / ٧٨٦ » .

عُيّن في نفس السنة مدرساً للتاريخ العباسي ومنهج البحث التاريخي في كلية الآداب « جامعة بغداد » . ثم انتُدب للتدريس في كلية الآداب « جامعة الرياض » للعام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ مدرساً للتاريخ العباسي والحضارة الإسلامية في العصر العباسي .

وللدكتور فاروق عمر عدة بحوث أهمها ما كتبه من مقالات في دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopadia of Islam) الطبعة الحديثة بنسختيها

الإنكليزية والفرنسية . والمقالات هي :

Hārūn al-Rashīd. — Ibrāhīm al-Imām. — Ibn al-Nattāh.

وكتب في مجلة كلية الآداب « جامعة بغداد » بحثاً بالإنكليزية عنوانه :

(The Composition of the early Âbbasīd Suffort)

وكتب في مجلة كلية الدراسات الإسلامية « بغداد » مقالا بعنوان « الجذور التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافة » . وفي مجلة الأقلام « بغداد » مقالا عن « موقف المعتزلة السياسي من العباسيين » . وله في مجلة الموسم الثقافي لجامعة الرياض لسنة ١٩٦٩ مقالا بعنوان « تقييم جديد للدعوة العباسية » . وفي مجلة كلية الآداب « جامعة بغداد » ١٩٦٨ — ١٩٦٩ مقالا عن « يعقوب بن داود : وزير الخليفة المهدي » .

وقد قام الدكتور فاروق عمر بطبع أطروحته ونشرها في بغداد باللغة الإنجليزية بعنوان :

The Âbbasīd Caliphate 132/750 — 110/786



قائمة بالرموز المستعملة في الحواشي

A.O.	Archiv Orientalni
A.U.T.F.	Ankara Universitesi Dilve Tarik Gografya Fakültsi Dergisi
B.C.A.	Bulletin of the Collage of Arts — Baghdad.
B.I.F.A.O.	Bulletin di l'instit pancaise d'archéologie Orientale
B.S.O.A.S.	Bulletin of the School of Oriental and African Studies
I.C.O.	International Congress of Orientalists
I.I	Indo-Iranica
J.A.O.S.	Journal of the American Oriental Society
J.A.	Journal Asiotique
J.R.A.S.	Journal of the Royal Asiatic Society.
M.E.S.	Middle Eastern Studies
M.I.	Majallat al-Majmaʿ al-ʿIlmī al-ʿIrāqī
M.I.O.	Mitteilungen des Instituts für Orient forschung
M.W.	Muslim World
R.S.O.	Rivista degli studi Orientali
S.O.	Studia Orientalia
Z.D.M.G.	Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.

المحتوى



المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملهم للصواب ، الهادي للرشاد ، والصلاة والسلام على نبيه محمد الفصيح اللسان . .

وبعد ؛ فإن التراث الإسلامي تراث أصيل وعميق في هذا الشرق والدعوة إلى إحيائه وتجديده لا يمكن أن ترتضي لنفسها إلا وجهة علمية موضوعية خالصة تقوم في أسسها على الشك قبل التصديق والتسليم وعلى مناقشة الأسس والمبادىء قبل قبولها. وبهذا نستطيع تحقيق نهضة علمية تاريخية بعيدة عن السطحية الساذجة والعمومية المملة والعصبية الضيقة والتخليط الناجم عن زحام الآراء واصطراع المبادىء والأفكار .

ثم إن نظرتنا إلى التاريخ الإسلامي يجب أن تكون ضمن إطار كونه طوراً من التاريخ الإنساني العام . وهذا الطور له خطره وله شخصيته . فلقد كانت البعثة النبوية للرسول ﷺ المفجّر الأول لطاقات العرب التي وضعت أسس تاريخ حافل للدولة الإسلامية التي قضت على الإمبراطورية الساسانية واقتطعت أحسن ما في الإمبراطورية البيزنطية فازدهرت حضارة راقية في ربوع الشرق الإسلامي كان لها دورها الفعال في تكوين الحضارة الإنسانية .

وهكذا صنع العرب والمسلمون تاريخهم ، ثم تيسر لهذا التاريخ أن يُكتب .

إن موضوع هذا البحث ــ الثورة العباسية وما حدث في أعقابها ــ لم يكن حدثاً طارئاً في التاريخ الإسلامي أدى إلى انتقال السلطة من عائلة إلى عائلة أخرى ، بل كان ثورة جذرية أنتج تغييرات بعيدة المغزى في السلطة وفي المجتمع بأسره من الناحيتين السياسية والحضارية .

ولقد تطرقتُ إلى موضوع الثورة العباسية في فصل واحد من أطروحتي للدكتوراه ، إلا أن ما كتبته عنها حينذاك كان يخص الواجهة السياسية منها فقط . وقد تجمع عندي في حينه الكثير من الروايات التاريخية عن واجهات الثورة وشعاراتها المختلفة وحوادثها رأيتُ أن أعرضها في هذا البحث مع التأكيد على التفسير الحديث للثورة الذي يبرز دور العرب الخراسانية في الثورة والعصر العباسي الأول .

لقد قيل بأنّ « الحقيقة بنت البحث دائماً » . . ومن هذا المنطلق تنبعث الحاجة إلى النظر في حوادث التاريخ وإعادة تقييمها وتهذيبها من جديد . فإن ما كتب منذ سنين يحتاج إلى التعديل والتجديد بل إلى التغيير الجذري أحياناً وبذلك يكون بإمكان الباحث أن يستفيد مما استجد من معلومات قيمة لم تكن معروفة سابقاً . وفي الفصل الأول يلاحظ القارىء دراسة للمصادر التي تعالج حوادث الثورة العباسية وموقف الاخباريين والمؤرخين ذوي الميول المختلفة من تطورات الثورة ومواقف شخصياتها من بعضهم البعض ومن الكتلة الأموية . وقد حاولنا أن نفصل في التعليق على طبيعة المصادر غير المعروفة لحد الآن ومنها ما هو مطبوع حديثاً ومنها لا يزال على شكل مخطوطات في مكتبات استانبول والقاهرة وبغداد ولندن ودبلن واكسفورد .

وعلى ضوء ما ورد في المخطوطات من روايات تاريخية أعدنا تقييم الروايات الموجودة في الطبري واليعقوبي وغيره لنظهر مدى قيمة هذه المصادر « الكلاسيكية » بالنسبة لما عثرنا عليه من مخطوطات جديدة .

كما وأننا استعرضنا ما كتبه المؤرخون المحدثون من كتب ومقالات عن

الثورة العباسية مبدين وجهة نظرنا فيها ولعل الباحث في تاريخ هذه المرحلة يدرك أنها نالت قسطاً كبيراً من العناية سياسياً وحضارياً ذلك لأنها فترة « العصر الذهبي » في الإسلام فكان من الطبيعي أن يتجه إليها الباحثون في الشرق والغرب .

أما الفصل الثاني فيعالج التفاسير التي حلل بها المؤرخون القدماء والمحدثون طبيعة الثورة العباسية . ويبدأ بشرح موقف المؤرخين الرواد المسلمين ثم ينتقل إلى موقف مؤرخي القرن التاسع عشر وبداية العشرين من الثورة ويفصل التفسير العنصري « الفرس ضد العرب » ثم ينتقل إلى شرح مواقف المستشرقين (هاملتون كابيه)و(برنارد لويس) و(دانيال وينت) عن الثورة وتلميحاتهم بضرورة إعادة تقييم الثورة العباسية.وبعد أن يشرح الفصل وجهة نظر الدكتور شعبان وغيره من المؤرخين العرب ينتقل إلى إثبات صحة التفسير الجديد القائل بأن القبائل العربية من أهل خراسان كانت القوة الفعالة في الثورة .

ويتناول الفصل الثالث واجهات الثورة العباسية بالتفصيل فيتعرض في الواجهة الدينية إلى الحركة الهاشمية بقيادة أبي هاشم عبد الله العلوي الذي أوصى قبيل وفاته إلى محمد بن علي العباسي ليكون زعيماً للهاشمية وبهذا أصبحت الحركة عباسية صرفة . ويستعرض الجذور التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافة . ثم ينتقل إلى ذكر إعلان العباسيين بعد تسنمهم الحكم وخاصة زمن المهدي إلى أن ادعاءهم بالخلافة يستند على كون العباس عم الرسول ﷺ ووريثه وادعاءهم بأن الرسول ﷺ أوصى له بذلك،وبذلك تبرأوا من أية صلة بأبي هاشم والهاشمية . أما الواجهة السياسية فتبحث في استيطان القبائل العربية في خراسان وخاصة في مرو وقراها وإلى أسباب استياء هذه القبائل من سياسة الأمويين العسكرية والمالية . ثم علاقتهم بالوالي الأموي وبدمشق من جهة وعلاقتهم ببعضهم من جهة أخرى .

ويتطرق الفصل الرابع إلى تنظيم الدعوة فيبحث في فعاليات الدعاة في الحميمة ـ الكوفة ـ مرو . وتنظيمات الدعوة السرية من تأليف مجلس للنقباء

ونظراء النقباء والدعاة ثم يتطرق إلى شعارات الدعوة ومدى تقبلها من الناس . ثم تفجيرها على يد إبراهيم الإمام . والصراع الذي احتد بين القبائل والوالي الأموي واستغلال المنظمة العباسية لذلك . ولعل هذا الفصل يضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بدور النقباء وخاصة سليمان الخزاعي شيخ النقباء وأبي مسلم « صاحب الدولة وأمير آل محمد » ويستخلص بأن الثورة لم تنجح بسبب وجود أبي مسلم في خراسان ، بل إنها قامت ونجحت بنتيجة جهد جماعي لا فردي .

أما الفصل الخامس فيسرد الأحداث والتطورات السياسية التي عجلت بنهاية الأمويين ، ولعل أهم ما يستخلص من هذا الفصل هو أن سقوط الأمويين لم يكن بسبب قلة في عددهم أو عدتهم . فلقد كان جيش مروان معادلا لجيش العباسيين في معركة الزاب الكبير إذا لم يكن أكثر منهم ، ولكن بسبب تضعضع معنوياتهم والشكوك التي ساورت قادتهم في شرعية حكم مروان الثاني . كما وأن شيوخ القبائل قد سئموا الدولة الأموية وكانوا يتطلعون إلى الخير العميم من العهد الجديد « الدولة الهاشمية » .

ويبحث الفصل السادس في علاقة الحكم العباسي الجديد بالدعاة العباسيين ومدى انطباق القول المأثور « الثورة تأكل رجالها » على تطورات الأحداث في أعقاب الثورة العباسية . ويفصل في الانشقاق بين الدعاة في خراسان ، والصراع بين الخليفة والدعاة على السلطة والنفوذ . ويبحث هذا الفصل كذلك في كيفية تخلص الثورة من الكتل والشخصيات التي تحالفت معها أثناء الثورة .

أما الخاتمة فتتناول مغزى الثورة العباسية ، أي معنى الانتقال إلى العباسيين من الناحية السياسية والحضارية . وفي الخاتمة فذلكة تاريخية تحلل جذور الثورة العباسية وتؤكد على اصالتها مقارنة إياها بثورات أخرى . وتبرز التغييرات التي طرأت على المفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، تلك التغييرات التي لولاها لما سمينا الحركة العباسية « ثورة » .

وإذا كان التاريخ يكوّن مادة ضرورية من ثقافة تلك الكتلة من الشعب

الناضجة سياسياً ، وإذا كان التاريخ يساعد بصورة مباشرة وغير مباشرة على توضيح الحاضر وإنه يساعد المواطن أن يعيش حياة مليئة ويشعر بمسؤوليته كاملة ، فإن هذا التاريخ يجب أن يكتب بطريقة علمية موضوعية بعيدة عن المبالغة أو التحيز . وعلى المؤرخ ألا يؤمن بتفسيرات معينة ثم يجمع مادته ليثبت صحة التفسير الذي يعتقد بصحته بل عليه أن يجمع مادته ويمحصها بنقدها نقداً داخلياً وخارجياً وحينئذ سيتوصل إلى الحقيقة التاريخية ويعرضها . ولقد وصفت الطريقة العلمية في الدراسات الإنسانية بأنها « عبارة عن تعريف المشكلة وصياغة حلها الفرضي وجمع الشواهد والأدلة التي تدعم الحل الفرضي الذي يوضع موضع الاختبار أو التي تدحضه وذلك عن طريق الملاحظة والتجريب وإذا كانت الأدلة الداحضة للفرض أقوى من تلك التي تدعمه فلا بد من التفكير في فرض آخر تتم البرهنة على صحته أو خطئه بالتالي على أساس الأدلة المتجمعة ، فإذا ثبتت صحة الفرض عندئذ يثبت ويصبح اكتشافاً علمياً له أهمية قد تكون كبيرة أو صغيرة »[1] على أننا يجب أن نضيف بأن دراسة التاريخ تعني دراسة السلوك الإنساني ولذلك فإن الكتابة التاريخية أكثر تعقيداً من الكتابة في المواضيع العلمية الأخرى التي تدرس الطبيعة أو الحيوان والنبات .

ولقد حاولت في هذا البحث جاهداً أن أكون موضوعياً فلم أتبن اتجاهاً معيناً لتفسير التاريخ ولم أخطط لنفسي إطاراً محدداً يؤمن بنظرية معينة في تفسير الثورة كما وإنني لم أر الماضي بمنظار الحاضر ولم أدرس ذلك الماضي على ضوء مفاهيم الحاضر ومشاكله . وبعد فأرجو أن أكون قد ساهمت في إيضاح جوانب مهمة من الثورة العباسية ذلك الحدث الهام في تاريخ الدولة الإسلامية .

---

١ — فردميليت . استاذ الجامعة ، سلسلة ماذا يعملون ؟ (٣) ترجمة الدكتور جابر عبد المجيد جابر ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٧٧ — ٧٨ .

الفصل الأول

مصادر البحث في الثورة العباسية

وكلما أعرته « أي الكتاب » على الأيام بصري وأعدت فيه نظري تبنيت مصداق ما قرأته في بعض الكتب أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لايكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب ، في غداها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة فكيف في سنين عديدة » .

الثعالبي — يتيمة الدهر

« ونحن نستأنف أخبار الدولة العباسية المباركة . . . وهذا حين نبتدىء بذكر أخبار الدولة الهاشمية العباسية أيدها الله بعداً وقرباً ونشرها شرقاً وغرباً ... فإنها دولة مباركة ردت الأمور إلى قرارها وأسندت القضايا والأحكام إلى خيارها » .

المؤلف المجهول — نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٣٦ أ

لم تقتصر دراسة التاريخ عند المسلمين على الكتب التي عنونت بكلمة تاريخ ولا هي التزمت جانباً واحداً من جوانب التاريخ . فلقد اهتم العرب بالتاريخ فحفظوا أخباره وحوادثه ثم بدأوا بتدوينها . وكان القرن الثاني للهجرة « الثامن للميلاد » فترة النضج في التدوين التاريخي ، فلقد ظهر في هذه الفترة رجال الطبقة الثالثة من رواة السيرة النبوية وأشهرهم : موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ) ومعمر بن راشد (ت ١٥٠ هـ) ومحمد بن إسحق (ت ١٥٠ هـ) وزياد البكائي (ت ١٨٣ هـ) ثم ظهر ابن هشام الحميري (ت ٢١٨ هـ) ومحمد ابن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) . هذا وقد عالج رواة رواد آخرون الكثير من الحوادث السياسية والفتن والثورات فيما كتبوه أو رووه في تاريخ الإسلام العام أو تاريخ بعض الحوادث المعينة التي كان لها أثرها على الأمة في تلك الفترة . ولقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست [1] عدداً لا بأس به منها . على أننا سنذكر هنا ما يتعلق منها بموضوع بحثنا ــ الثورة العباسية ــ ونترك ما ليس له علاقة بذلك .

المدائني	كتاب العباس بن عبد المطلب
«	« عبد الله بن العباس
«	« علي بن عبد الله بن العباس
«	« محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
«	أخبار السفاح

المدائني	كتاب خلاف عبد الجبار الأزدي .
»	أسماء من قتل من الطالبيين
»	كتاب فتوح خراسان
محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب	أخبار خلفاء بني العباس
سمكة	أخبار العباسيين
ابن العماد الثقفي	رسالة في تفضيل بني هاشم وأوليائهم وذم بني أمية وأتباعهم .
أحمد بن الحارث الخزاز	أخبار أبي العباس
ابن عبدة	أخبار أبي جعفر المنصور
أبو إسحاق السقطي	تاريخ موصول بكتاب أبي جعفر
عمر بن شبة	أخبار المنصور
محمد بن العباس اليزيدي	مناقب بني العباس .
المرزباني	أخبار أبي مسلم صاحب الدعوة
الراوندي	كتاب الدولة
أبو عبيدة	كتاب خراسان
الهيثم بن عدي	كتاب نزول العرب بخراسان والسواد
البلخي	فضائل خراسان

إلا أن هذه الكتب مفقودة ولم يبق منها إلا ما نقله المؤرخون من أمثال البلاذري واليعقوبي والدينواري وابن اعثم الكوفي والطبري في كتبهم المتداولة بين أيدينا .

لقد قام المؤرخون المحدثون من مسلمين وعرب ومستشرقين بدراسة الثورة العباسية دراسة وافية إلا أنهم اعتمدوا في حينه على ما وقع في أيديهم من المصادر الأصلية القليلة العدد . ولقد ظهرت مصادر جديدة تاريخية وعقائدية وتراجم حُقق بعضها ولا يزال البعض الآخر ينتظر التحقيق . والجدير بالذكر أن في هذه المصادر والمخطوطات مادة جديرة بالاستغلال فيما يخص الثورة

العباسية . ومن هذه المصادر المكتشفة حديثاً مخطوطة آخبار العباس وولده للمؤلف المجهول ومخطوطة أنساب الأشراف للبلاذري وتاريخ وطبقات خليفة بن خياط ومخطوطة الفتوح لابن أعثم الكوفي وتاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي وغيرها . هذا بالإضافة إلى أن كتب الأدب مثل مؤلفات الجاحظ والأصفهاني وابن المقفع وكتب التواريخ المحلية وتواريخ المدن تزخر بالمادة الجديدة التي لم تستغل بعد .

واستناداً على المعلومات الجديدة الواردة في هذه المخطوطات والكتب وكذلك بإعادة تقييم المعلومات القديمة الواردة في الكتب المطبوعة قديماً كالطبري واليعقوبي والمسعودي، فقد قمت بمحاولة جديدة في هذا الكتاب للاستقصاء في طبيعة الثورة العباسية من حيث أسبابها ، تطوراتها ونتائجها .

ولا بد لنا قبل الولوج في أحداث الثورة وواجباتها المختلفة من إلقاء نظرة نقدية على المصادر المختلفة التي تعالج موضوع الثورة أو ناحية من نواحيها . وهذه المصادر هي : المصادر التاريخية ، الأدبية ، المحلية ، العقائدية (والفرق) ، الأنساب ، التراجم ، والجغرافية .

المصادر التاريخية

(١) اخبار العباس وولده :

وهي مخطوطة محفوظة في مكتبة الاوقاف في بغداد ولها نسخة منقولة عن الاصلية محفوظة في معهد الدراسات الاسلامية العليا ببغداد أيضاً . أما مؤلفها فغير معروف الا ان الدكتور عبد العزيز الدوري [٢] يعتقد بأنه من المحتمل أن يكون محمد بن صالح النطاح صاحب المخطوطة ولكنني اشك في نسبة المخطوطة إلى هذا المؤلف فلقد بحثت عن مؤلفات ابن النطاح فلم أجد له كتاباً بهذا الاسم [٣] . والمعروف ان ابن النطاح هو أول من كتب في تاريخ الدولة العباسية ويسمي كتابه (الدولة العباسية) [٤] .

والمخطوطة في جوهرها تاريخية مرتبة على نظام النسب تبدأ باخبار العباس وتنتهي بوفاة ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ابراهيم الامام) . الا ان صفحاتها الأولى والأخيرة مفقودة ولكن الواضح ان المؤلف موالٍ للعباسيين فهو يمتدح الدولة العباسية « المباركة » ويذكر أنه ينتسب إلى « ولاء هذا البيت العباسي الشريف » . ويقول بأن كتابه هذا سيكون مختصراً بالرغم من أن الأعمال المجيدة والفضائل الحميدة للعباسيين تغريه بأن يكتب كثيراً عنهم .

يحتوي الكتاب على ٢٠٤ صفحات ويعتمد المؤلف على رواة ثقات من من أمثال أبي مخنف (ت ١٥٧ هـ) ومصعب الزبيري (ت ٢٣٥ هـ) وعمر بن شبّة (٢٦٢ هـ) والبلاذري (٢٧٩ هـ) والعباس بن هشام بن الكلبي . وفي رواياته عن الدعوة العباسية ينقل عن شهود عيان وشخصيات اشتركت في حوادث الثورة . ولذلك فهو في بعض فصوله يعتبر أشبه بوثيقة سرية عباسية لا يعرف المعلومات الموجودة فيها الا الحلقة السرية في الدعوة العباسية . والظاهر ان مؤرخين متأخرين من أمثال الذهبي والمبرد وابن أبي الحديد نقلوا من المخطوطة روايات عديدة دون أن يشيروا اليها أو يذكروا اسم المؤلف .

أما الروايات التاريخية التي تتعلق بالثورة العباسية ففيها معلومات من الدرجة الأولى عن تنظيم الدعوة العباسية في خراسان والأساليب التي تبنتها لجذب رؤساء القبائل العربية هناك وكذلك السكان العرب المستقرون في قرى مرو. وتظهر المخطوطة بوضوح تنظيم الدعوة السري إلى اثني عشر نقيباً يرأسهم نقيب النقباء ثم اثني عشر شخصاً يكونون ما يسمى بـ (نظراء النقباء) . ثم هناك ٧٠ داعيةً وما يقارب الـ ٣٦ من دعاة الدعاة .

كما وان كثرة الروايات عن شخصيات الدعوة العباسية تفسح لنا مجال المقارنة بين دور أبي مسلم الخراساني مثلاً والشخصيات العربية الأخرى كسليمان بن كثير الخزاعي وخازم بن خزيمة التميمي وقحطبة بن شبيب

الطائي وخالد بن ابراهيم الذهلي وغيرهم . وتظهر إلى آي مدى كان مركز ابي مسلم يعتمد على سليمان الخزاعي وكتلته ثم المنافسة الحادة على السلطة والنفوذ بين الخزاعي والخراساني بعد نجاح الثورة .

والمخطوطة تظهر بوضوح موقف محمد بن علي العباسي من خداش بعد افتضاح عقيدته حيث يذكر في الرسائل التي أرسلها للدعاة امتعاضه من آراء خداش وتنكره له . كما وان هناك معلومات جديدة حول استخدام النساء كدعاة في الدعوة العباسية .

(٢) نبذة من كتاب التاريخ :

قام معهد المستشرقين في موسكو باصدار هذه المخطوطة مصـــورة بالفوتوستات باشراف المستشرق الاستاذ ب . أ . كرايزنوفيج حيث ترجمها إلى اللغة الروسية مع مقدمة وتعليقات . والمخطوطة كما يظهر من تعليق في بدايتها عبارة عن جزء من كل مفقود أيضاً . وهي بذلك تشابه مخطوطة أخبار العباس من هذه الناحية . والحقيقة فان مقارنة المخطوطتين يظهر لنا بأن (النبذة) عبارة عن اختصار (لأخبار العباس) . فقد اختصر مؤلف النبذة مخطوطة أخبار العباس باقتباسه الروايات المهمة وأحياناً بدمجه عدداً من الروايات في رواية واحدة منسقة مع اختصار سلسلة الرواة (الاسناد) حيث لم يذكر الا الرواة الرئيسيين . كما وأنه اختصر في القوائم الطويلة التي يذكرها مخطوط أخبار العباس عن الدعاة ودعاة الدعاة والنقباء ونظراء النقباء ودعاة الاقاليم والخ.

ان المؤرخ المدقق الذي يقارن بين روايات المخطوطتين يشاهد أمثلة عديدة للاتفاق،وآخر مثل لهذا الاتفاق هو صفحة ٢٩٠ أ (نبذة) و ٢٠٢ ب (أخبار العباس) وتتعلق بمقتل ابراهيم الامام . وهنا تنتهي مخطوطة أخبار العباس بينما تستمر (النبذة) فتروي تنصيب أبي العباس خليفة للمسلمين ومؤامرة أبي سلمة الخلال لنقل الخلافة إلى العلويين .

الا ان الطريقة التي تنتهي بها كل من المخطوطتين تدل بوضوح على ان كليهما ناقصتان .

(٣) كتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ت٢٤٠ هـ / ٨٥٤ – ٨٥٥ م) :

وهو أحد المؤرخين البصريين المشهورين [٥] الذين لم يكتب لمؤلفاتهم الانتشار والذيوع الا في الفترة الأخيرة حيث قام الاستاذ سهيل زكار السوري والاستاذ أكرم العمري العراقي كل على حدة بنشر تاريخ وطبقات ابن خياط .

ومما يمتاز به خليفة بن خياط انه يختار المواضيع ويركز على الروايات المهمة تاركاً الروايات الأخرى . وبهذا يختلف عن الطبري مثلاً الذي يمتاز بأنه عادة يجمع كل ما يتعلق بالحادثة من روايات تاريخية . ويتضمن تاريخ خليفة بن خياط معلومات تاريخية فريدة في بابها منها ما يساعدنا على توضيح الغموض الموجود في المصادر القديمة الأخرى ومنها ما يضيف معلومات جديدة إلى معلوماتنا السابقة والأمثلة على ذلك كثيرة اقتصر هنا على ذكر ما يتعلق بالعباسيين [٦] .

أولاً – يورد المؤلف قوائم بأسماء الدواوين المركزية والاقليمية وموظفيها وكذلك القضاة ورؤساء الشرطة وولاة الاقاليم المختلفة في نهاية عهد كل خليفة عباسي ، وهذه القوائم تسترعي انتباه مؤرخي الاحوال الادارية ولا نجد الا نادراً مثل هذا الاهتمام بالادارة من قبل مؤرخي الاحوال السياسية .

ثانياً – يهتم خليفة بن خياط بذكر حركات الخوارج في العهد العباسي ويكفي هنا أن أشير إلى روايته الفريدة التي تنقل نص الرسائل المتبادلة بين الثائر الخارجي عبد السلام اليشكري والخليفة المهدي وهي لا توجد بنصها الكامل في أي مصدر آخر .

كما يوضح خليفة بن خياط الالتباس الذي حار في تفسيره المستشرق ولهاوزن في كتابه (الدولة العربية وسقوطها) وهو ان شيبان اليشكري الثائر الخارجي في العراق هو غير شيبان بن مسلمة الثائر الخارجي في خراسان .

ثالثاً ــ يعطي ابن خياط فكرة واضحة عن الدعوة العباسية في خراسان ، ويظهر أن المصالح الجديدة التي ظهرت بعد استقرار القبائل في خراسان أدت إلى وجود تكتلات جديدة بين العرب أنفسهم لا تعتمد بالدرجة الأولى على عصبيات قبليه يرجع تاريخها إلى عهد قديم كما يعتقد ولهاوزن وغيره ، وانما تعتمد على المصالح الجديدة التي أوجدتها الظروف الجديدة في البلاد المفتوحة .

رابعاً ــ وأخيراً وليس آخراً فإن تاريخ خليفة يعتبر من أقدم المصادر التي نبهت إلى ان الاتراك لم يظهروا فجأة في البلاط والجيش العباسي زمن الخليفة المعتصم فقد كانوا يشكلون وحدة ضمن الجيش العباسي منذ خلافة المهدي .

ولا بد لنا ان نسأل كيف قُدّر لتأريخ خليفة بن خياط وهو الثمين في مادته أن ينسى أو يتناسى حتى خيل لكثير من الباحثين انه فقد إلى الابد ؟

قد نجد بعض الجواب على هذا السؤال في كون المؤرخ عاش المحنة أيام المأمون وكان صريحاً في عدائه للمعتزلة كما عاش في البصرة التي كانت تحتضن كتلة معروفة بولائها للدولة الاموية البائدة والظاهر ان خليفة بن خياط كان على صلة بهم لذلك فقد انتشر كتابه في افريقيا والأندلس حيث السلطة الاموية الحاكمة وكان راويته المؤرخ القرطبي بقي بن مخلد الذي عاش في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . ومن رواته كذلك أبو القاسم احمد بن عبد الله احد أحفاد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك .

(٤) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م)

بالرغم من ان تاريخ الطبري يعتبر من أهم المراجع في التاريخ الاسلامي [٧] حتى نهاية القرن الثالث الهجري (٢٩٠ هـ) الا ان ما يتضمنه من معلومات عن الدعوة العباسية وما حدث في أعقابها تعتبر مرتبكة وغامضة في أحيان كثيرة . فهو يركز في رواياته على الاقاليم المركزية من الدول الاسلامية مثل العراق ولا يهتم بالاقاليم الغربية مثل سوريا ومصر وإفريقيا قدر اهتمامه بالاقاليم الشرقية مثل فارس وخراسان . هذا بالاضافة إلى أنه لا يعير أهمية إلى

حركة المعارضة الخارجية وخاصة ما يتعلق منها بعمان وافريقيا ، وهذا ما دعى المؤرخ ابن الأثير ، الذي يعتمد على الطبري بدرجة كبيرة ، إلى البحث عن مصادر اخرى فيما يتعلق بأخبار الجزيرة المحلية وثوراتها المهمة . ومن هذه المصادر الجديدة التي اعتمد عليها ابن الأثير (في كتابه الكامل) هو كتاب تاريخ الموصل لابن زكريا الازدي [٨] .

إن غموض الطبري وقلة المعلومات التي يوردها في بعض الحوادث تظهر للعيان بوضوح عند مقارنتنا اياه بالمصادر الأخرى كأنساب الاشراف للبلاذري وأخبار العباس للمؤلف المجهول والفتوح لابن اعثم الكوفي وتاريخ الموصل للأزدي .

فالمؤرخ ابن اعثم الكوفي يمتاز على الطبري في توضيحه للحالة في خراسان في العهد الاموي مؤكداً على المنازعات القبلية وعلى أسباب تذمر العرب هناك . أما أبو زكريا الازدي فهو يدرك تماماً أهمية الدور الذي لعبته بعض القبائل العربية في الجزيرة أثناء المعارك الفاصلة بين الامويين والعباسيين وذلك بانحيازهم إلى الجيش الخراساني الزاحف . وفي انساب الاشراف للبلاذري هناك مادة قيمة تكمل النقص الواضح عند الطبري فيما يتعلق بثورات قام بها دعاة عباسيون بعد تأسيس الدولة العباسية مثل بسام بن ابراهيم ، عبد الجبار الازدي وخالد بن ابراهيم الذهلي . ويظهر ان الطبري حذف بعض الروايات المتعلقة بهذه الثورات لأنها لم تكن موافقة للسلطة العباسية المركزية .

الا ان الطبري يظل احد المصادر الرئيسية للثورة العباسية والخلافة العباسية خاصة وأنه يجمع أكبر عدد ممكن من الروايات عن الحادثة الواحدة موضحاً سلسلة الرواة (الاسناد) في أغلب الروايات التي يذكرها وبهذا فهو يستعمل طريقة المحدثين في سرد رواياته . وأشهر الرواة الذين يعتمد عليهم في الفترة العباسية علي بن محمد المدائني ، احمد بن زهير ، أبو الخطاب ، عمر بن شبة وعمر بن راشد . وهو يدمج أحياناً بين الروايات المتشابهة ويختصر في سلسلة رواتها .

(٥) فتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

والكتاب بالدرجة الأولى يفيد مؤرخي الأحوال الادارية والمالية ، الا ان هناك بعض المعلومات المبعثرة المهمة سياسياً خاصة تلك التي تخص اقليم خراسان ومدنها المهمة . كالمعلومات التي تتعلق بالاجراءات السياسية او الاقتصادية التي اتخذها الخلفاء من الثوار أو من العمال والولاة . وكذلك المعلومات التي تذكر خطط الإقليم وبعض الأخبار عن قراه [٩] . ومما يزيد في أهمية الروايات موضوعية المؤلف وقدمه والثقة التي وضعها فيه مؤرخون متأخرون عنه مثل الجهشياري والصولي والمقريزي والذهبي والعيني .

(٦) الأخبار الطوال لأحمد بن داود الدينوري (٢٨٢هـ / ٨٩٥م)

بالرغم من ان روايات الدينوري غالباً ما تذكر بدون اسناد وانها مختصرة وغامضة أحياناً الا ان الرجوع اليها ضروري لقدم المؤرخ ولوجود صفة الاصالة في بعض رواياته التي اعتمدنا عليها في هذا الكتاب .

ثم ان الروايات الغامضة او المبالغ فيها يمكن اكتشافها والاستغناء عنها بسهولة ويسر . ومن هذه الروايات هي الروايات المتعلقة بأبي مسلم الخراساني حيث ان الدينوري يبالغ في أهميته ودوره في انجاح الثورة العباسية بحيث يطغى على الشخصيات الأخرى التي كان لها دور لا يقل عن دور الخراساني بل يفوقه أحياناً . الا ان مبالغات الدينوري فيما يخص أبا مسلم مهمة تاريخياً لأنها تساعدنا على تحديد الزمن الذي بدأت فيه شخصية أبي مسلم تتخذ صفة اسطورية واضحة حتى تطورت فيما بعد فجعلت منه بطلاً « قومياً » ايرانياً [١٠]

ومن الملاحظات التي تؤخذ على الدينوري هي اهماله بعض الأحداث المهمة في هذه الفترة مثل مؤامرة الخلال ضد الخليفة أبي العباس وثورة عبد الله بن علي العباسي ضد الخليفة المنصور .

(٧) التاريخ لليعقوبي (ت٢٨٤هـ ٨٩٧م)

اليعقوبي مؤرخ عربي ذو ميول علوية معتدلة (١١) ، الا ان ميوله هذه لم تؤثر عليه اثناء كتابته للتاريخ . وروايته تتصف بكونها واضحة ومتكاملة وغير متحيزة فيما يخص الثورة العباسية وتطوراتها . واليعقوبي لا يذكر أسانيد رواياته في الغالب وذلك لأنه يكتفي بذلك الرواة الذين اعتمد عليهم في بداية كتابه ويظهر من مقارنة رواياته بالطبري انه استقى من مصادر اخرى غير مصادر الطبري . ولذلك فهو يكمل المعلومات الواردة في الطبري عن النواحي الادارية وعن حوادث افريقيا وعمان واقاليم بعيدة اخرى .

ان المعلومات التي يوردها اليعقوبي تساعدنا على تقييم أحسن وفهم أوضح للرجال والسياسة في الفترة العباسية فهي توضح مثلاً الشك القوي الذي كان يشوب العلاقة بين المنصور وأبي مسلم الخراساني منذ الأيام الأولى لتبوء المنصور الخلافة . ثم انها تشير بوضوح إلى النسبة العالية للعرب في البلاط والادارة العباسية ، وإلى المبادرة التي اتخذها المنصور لاستخدام مواليه وغلمانه في المراكز الادارية هذا مع استمرار استئثار العرب بالسلطة . والأهم من كل ذلك فاليعقوبي يوضح لجوء العباسيين المستمر إلى السياسة القبليه لمواجهة مواقف سياسية محرجة وذلك باذكاء نار العصبية القبليه . كما انه يشير إلى المنافسة بين التكتلات الموجودة في البلاط العباسي تلك التكتلات التي كانت تستند على المصالح لا النزعات الاقليمية أو العنصرية أو القبلية .

(٨) ولليعقوبي مؤلف آخر بعنوان (مشاكلة الناس لزمانهم) الذي يعبر بحق عن الحس التاريخي والفكر الواضح الذي كان يتمتع به اليعقوبي . وفيه يظهر اليعقوبي الخصائص التي امتاز بها كل خليفة وكيف قلدها الناس في عهده (١٢) . ونستطيع أن نقارن هنا بين صرامة المنصور وجديته في ادارة شؤون الدولة وبين تهاون الرشيد الذي كان من أوائل الخلفاء العباسيين الذين قضوا أوقاتهم يلعبون الشطرنج بصحبة النساء الغواني .

(٩) كتاب الفتوح لأحمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)

الاصل العربي (مخطوطة) أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هـ – سنة ٩٢٦ م،هو مؤرخ عربي عاش في القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي [١٣] . وكان معاصراً إلى نخبة مشهورة من المؤرخين المسلمين الا ان الذي يعرف عنه شيئاً قليلاً بالنسبة لمعاصريه . أما كتابه الفتوح فلم يعرف الا حديثاً ولذلك فان القليل من المؤرخين المحدثين استغلوا ما فيه من معلومات قيّمة . وقد اطلع عليه الدكتور محمد عبد الرحيم شعبان حين كتب اطروحته عن الجذور السياسية والاجتماعية للثورة العباسية كما واطلعتُ عليه حين كتابتي اطروحتي عن الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول .

لا بد لي أن أقول منذ البداية ان ابن أعثم كتب كتاباً في الفتوح ولم يكتب تاريخاً ولذلك فكما اننا لا نتأمل من البلاذري في فتوحه أن يذكر حوادث سياسية كثيرة فيجب الا نأمل من ابن أعثم أن يفصل في الحوادث السياسية فهذا ليس من شأنه حين كتب فتوحه .

والمعروف ان الترجمة الفارسية للأصل العربي لكتاب الفتوح موجودة بنسخ متعددة ومعروفة لدى قراء الفارسية من المؤرخين . وكان الأصل قد ترجم من قبل محمد المتوفى سنة ٥٩٦ هـ – سنة ١١٩٩ م وبقى متداولا حتى وجد الأصل العربي في استانبول في مكتبة توبقابي‌سراي (No. 2966) .

يبدأ الجزء الأول من مخطوط الفتوح بخلافة عثمان بن عفان(٢٣ – ٣٥ هـ) وينتهي ببدء ثورة المختار بن عبيد الثقفي سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ – ٦٨٦ م . أما الجزء الثاني فيستمر في رواياته عن ثورة المختار ثم ينتهي بثورة بابك الخرمي في عهد الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ / ٢٢٧ هـ) [١٤]

وتتكون المخطوطة من ٥٤٨ صفحة ، ٢٧٠ للجزء الأول و ٢٧٨ للجزء الثاني .

ويسير الكوفي على طريقة اليعقوبي في ذكر رواياته فهو لا يذكر أسانيد

الرواة الذين اعتمد عليهم الا في بداية المخطوطة فيقول :

« قال أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي حدّثني أبو الحسين علي بن محمد القرشي قال حدثني عثمان بن سليم عن مجاهد عن الشعبي وأبي محصن عن أبي وايل وعلي بن مجاهد عن أبي اسحق ، قال وحدثني نعيم بن مزاحم قال حدثني أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي الاسلمي قال وحدثني عبد الحميد بن جعفر عن زيد بن أبي حبيب عن الزهري قال وحدثني اسحق بن يوسف الفزاري قال حدثني أبو المنذر هشام بن محمد بن السايب قال حدثني لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي عن الحرث بن الحصين بن عبد الرحمن بن عبيدة عن النصر بن صالح بن حسين بن زهير قال وحدثني عمران بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد الله بن يزيد عن صالح بن ابراهيم وزيد بن عبد الرحمن الواقفي وعلي بن حنظلة بن أسعد الشامي وغير هوٌلاء ذكروا هذا الحديث سراً وعلانية وقد جمعت ما سمعت من رواياتهم على اختلاف لغاتهم فألفته حديثاً واحداً على نسق واحد .. »

ويعتبر كتاب الفتوح من أقدم الكتب التاريخية التي ألفت عن القرنين الأول والثاني للهجرة ولذلك فهو لا يعطي فقط روايات تاريخية عن الحوادث المختلفة ولكنه برواياته يعتبر مصدراً تقاس عليه روايات من سبقه أو عاصره من المؤرخين كالبلاذري والطبري واليعقوبي والمسعودي والدينوري وغيرهم وبمقارنة الروايات يمكن الوصول إلى فكرة أوضح عن الحوادث التاريخية ذات العلاقة .

الا أن الذي يجلب الانتباه في هذه المخطوطة هو أن ابن أعثم الكوفي ما أن ينتهي من دولة الأموين حتى يبين بوضوح بأن هذا نهاية كتابه الفتوح . ولذلك فإنه يعمد إلى ذكر أسانيد جديدة ورواة جدد مرة ثانية مثل المدائني والبلاذري والهيثم بن عدي وكأن القسم الجديد من المخطوطة قسم ثانٍ لا علاقة له البتة بكتاب الفتوح . فهو يقول :

« ... إلى أنّ ظهرت المسوّدة في أرض خراسان مع أبي مسلم ودنا زوال

بني أمية فهذا أكرمك الله آخر الفتوح ونبتدىء بعد هذا في أخبار نصر بن سيار والكرماني وأبي مسلم الخولاني الخراساني . » .

إن عدم عمق الروايات في القسم الأخير من المخطوطة هذه بالاضافة إلى وضوح الميول العلوية بصورة تجلب الانتباه وتدعو إلى الشك في نسبة هذا القسم الأخير المبتدأ بظهور المسوّدة لكتاب الفتوح وربما كان القسم الأخير قد أضيف إلى المخطوطة في وقت متأخر أما إذا كان هذا القسم جزءاً لا يتجزأ من المخطوطة فأنني لا بد أن أحذر طالب البحث بأن يأخذ جانب الحيطة ويتحصن في الروايات قبل قبولها نظراً لسطحيتها أولاً ولميول المؤلف العلوية الواضحة ثانياً .

أما من حيث المادة التاريخية التي تحتويها المخطوطة ففي الجزء الأول تضم المخطوطة معلومات غزيرة عن المواضيع التالية :

(١) استقرار العرب في المناطق التي فتحوها فهناك معلومات مهمة جداً عن استقرار العرب في خراسان غير موجودة في كتب أخرى أو معلومات إضافية موضحة لما هو موجود في البلاذري أو الطبري أو غيره .

(٢) تزخر المخطوطة بمادة دسمة حول فتح العرب لأرمينية وتاريخ أرمينية تحت الحكم الاسلامي حتى زمن المعتصم . وكذلك تذكر استقرار قبائل عربية في اقليم أرمينية وتفصل في مصادمات الجيش الإسلامي مع الخزر .

(٣) أما المعلومات عن الحوادث السياسية مثل مقتل عثمان وثورة المختار الثقفي وغيرها من الحوادث فهي متممة لمعلومات موجودة في مصادر أخرى ولذلك تعطي لطالب البحث فرصة لقياس ومقارنة وتدقيق المادة التاريخية التي جمعها بمادة ابن أعثم الكوفي . فمن جملة ما يمكن أن يستنتجه الباحث المدقق في هذه المقارنة أن كتاب البلعمي الذي يعتبر ترجمة لتاريخ الطبري لم يكن في حقيقته مجرد ترجمة بل ان هناك اضافات ونقولاً من ابن أعثم الكوفي في تاريخ البلعمي . كما أن المقارنة الدقيقة قد تثبت ان ابن الأثير اعتمد على ابن أعثم في بعض اضافاته ونقوله غير الموجودة في تاريخ الطبري .

(٤) تظهر نزعة ابن أعثم الكوفي الميالة للعلويين حينما يتطرق لتوارث العلويين في العصر الأموي والعباسي معاً . فهو يظهر مثلاً أن الثورة العباسية لم تكن منظمة ومدبرة من قبل شخصيات عباسية ودعاة عملوا من أجل العباسيين وانما كانت ثورة باسم أهل البيت عامة . ويبالغ في اظهار السنوات الاولى من الحكم العباسي وكأنها سنوات مجازر دمويه للثأر لأهل البيت من الأمويين . ولا يذكر مطلقاً محاولة أبي سلمة نقل الخلافة من العباسين إلى العلويين .

ويعتبر كتاب الفتوح المصدر الوحيد الذي تظهر فيه الاضافة التالية في رسالة — يعتقد بأنها موضوعة — وجهت من أبي مسلم إلى المنصور العباسي « ... وأوطأتُ غيركم من كان فوقكم من آل رسول الله بالذل والهوان والاثم والعدوان ... » مشيراً إلى العلويين .

والجدير بالذكر أن رواياته التاريخية عن العصر العباسي على العموم غير متكاملة وغير موثوق بها [١٥] . خاصة وان الحوادث مختارة وغير متسلسلة من الناحية التاريخية ثم أنه لا يذكر الا الراوي الرئيسي دون تبيان لسلسلة الرواة ، ولابن أعثم عذر في ذلك لأنه لم يكن قصده أن يؤلف كتاباً في التاريخ وانما في الفتوح كما ذكرنا . ومادته التاريخية مختصرة من عهد المهدي العباسي (١٥٨ هـ / ٧٧٥ م — ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م) فصاعداً وحينما يتكلم عن علاقة العلوين بالهادي العباسي يقول :

« ولموسى أخبار مع العلويين لا نحب أن نوردها » فهو دوماً يمتنع عن ذكر تفاصيل عن العلويين أو يظهر معلومات قد تسيء اليهم من جهة أو أخرى

(١٠) كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) :

كان الجهشياري كأبيه موظفاً في الادارة العباسية وقد أهلّه ذلك أن يتصل بطبقة الكتاب والوزراء العباسيين [١٦] ولهذا نجد أن اغلب الرواة الذين اعتمد

عليهم في كتابه هم من الكتاب والوراقين وموظفي البلاط بالاضافة إلى رواة آخرين كالمدائني والجاحظ .

وبالرغم من ان الكتاب يتعلق بالدرجة الأولى بموضوع الادارة والنظم العباسية الا انه يحوي على مادة طريفة عن الحالة السياسية والتنافس بين الوزراء وغيرهم من الكتل السياسية مثل الصحابة والعرب والموالي وأهل خراسان وغيرهم ممن كان يعج بهم البلاط العباسي . ويوضح الجهشياري مثلاً ان سقوط وزراء من أمثال يعقوب بن داوُد والمورياني كان بسبب المؤمرات التي دبرتها هذه التكتلات السياسية داخل البلاط .

(١١) كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ومؤلفه غير معروف : الا ان أهميته بالنسبة لنا تعود إلى اعتماده على روايات غير واردة في كتب التاريخ المعروفة كالطبري مثلاً ولذلك فان مقارنة هذه الروايات الجديدة بغيرها قد يفيدنا في تكوين صورة أوضح عن الثورة العباسية [١٧] . ولكن المؤسف في الكتاب أنه لا يذكر الاسناد الا نادراً .

ويبتدىء المؤلف بعهد الوليد بن يزيد (١٢٥ / ٧٤٣ — ١٢٦ / ٧٤٤) حيث بدأ كيان الدولة الاموية بالتدهور السريع وينتهي بعهد الخليفة المعتصم العباسي (٢١٨ / ٨٣٣ — ٢٢٧ / ٨٤١) .

(١٢) كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وكتاب التنبيه والاشراف لعلي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥ / ٩٥٦) :

ان أهم ما يمتاز به المسعودي في كتاباته التاريخية هو الاختصار والاختيار فهو لا يعطي رواية تاريخية متصلة الحلقات لحوادث التاريخ الاسلامي بل يؤكد على أحداث معينة جلبت انتباهه أكثر من غيرها . كما وأنه لا يتورع من ادخال بعض الأساطير والقصص الشعبية والاشاعات المتداولة بين الناس حول حوادث سياسية أو فتن مذهبية مما يدعو إلى الحيطة في قبول رواياته قبل تمحيصها . وعلى الباحث كذلك الحذر من اسلوبه الشيق الذي ربما جذب

القارىء إلى تصديق رواياته ، خاصة تلك الروايات الخالية من ذكر الاسناد [١٨]

ومهما يكن من أمر فالمسعودي يعطي فكرة واضحة عن الدعوة العباسية ذاكراً الروايات بأسانيدها ، كما وأنه يفصّل في العلاقات العباسية العلوية وهنا لا يخلو المسعودي من ميل معتدل للعلويين بالرغم من ان الموضوعية هي الصفة الغالبة على كتاباته .

(١٣) كتاب المعارف لمحمد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ / ٨٨٩) :

يعتبر ابن قتيبة أديباً أكثر من كونه مؤرخاً الا انه يضمن كتابه المعارف نتفاً تاريخية عن الحوادث السياسية واسماء العمال والولاة العباسيين . وترجع أهمية رواياته على قلتها واختصارها إلى كونه من الكتّاب الاوائل وإلى اعتماده على مؤرخين معاصرين له أو أقدم منه كابن حبيب مثلاً .

(١٤) وينسب كتاب الامامة والسياسة[١٩] : إلى ابن قتيبة أيضاً وتعود أهمية الكتاب إلى وجود روايات فريدة لا ذكر لها في كتب تاريخية أخرى ولذلك يجدر التأكد من صحتها خاصة وأن المؤلف لا يذكر أحياناً سلسلة رواته وانما يكتفي بذكر « قالوا » أو « ذكروا » . ومما يزيد في حيطة الباحث هو كون الروايات التي تضمنها كتاب الامامة والسياسة اختيرت عن قصد للعظة والاعتبار بها مما يزيد من صفة المبالغة والمغالطة فيها .

(١٥) كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي : [٢٠]

والكتاب لا يزال مخطوطة يتعلق بالتنبوءات والأساطير حول الحروب الأهلية في تاريخ الاسلام . وبالرغم من أن الكتاب عبارة عن أحاديث موضوعة في غالبيتها ومنسوبة إلى الرسول (ﷺ) وإلى الصحابة والتابعين الا اننا استعرضناه هنا مع الكتب التاريخية ذلك لاننا نعتقد بأن أغلب الروايات فيه موضوعة في فترة متأخرة (أي بعد حدوث الثورات والفتن الأهلية) ولذلك فان المؤلف يضع أحاديثه معتمداً على معرفته بتاريخ الحوادث السياسية في الاسلام .

وبقدر ما يتعلق الأمر بالعباسيين فالمخطوطة تتضمن روايات فيها تنبؤات وملاحم عن قرب سقوط الدولة الأموية على يد أصحاب الرايات السوداء القادمين من قِبَل المشرق . وعن ابن الحارثية الذي سيكون على يديه نهاية الامويين . وقــد اعتمد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) في كتابه (الفتن والملاحم) على الخزاعي وعلى كتاب (الفتن) لأبي صالح السليلي وكتاب (الفتن) لأبي يحيى زكريا بن يحيى البزاز ونقل عنهم الكثير من رواياته .

مصادر التاريخ المحلي :

لقد ذكرنا في مناسبة سابقة بأن مؤرخي التاريخ العام للدولة الاسلامية كالطبري واليعقوبي يركزون اهتمامهم على حوادث العراق باعتباره الاقليم المركزي وعلى الأقاليم المجاورة له . وهنا تأتي أهمية التواريخ المحلية كتاريخ الموصل وتاريخ طبرستان وتاريخ سجستان (سستان) حيث تفصل في الحوادث والثورات التي حدثت في تلك الاقاليم .

الا ان الباحث في التواريخ المحلية يجابه عراقيل متنوعة منها عدم وجود تواريخ محلية لكل الاقاليم او المدن الاسلامية فلم تكن كل الاقاليم محظوظة مثل الموصل او طبرستان بحيث تيسر لتاريخها أن يكتب على يد أحد ابنائها أو الساكنين فيها . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان بعض التواريخ المحلية لها صفة كتب (التراجم) أكثر من صفة (التاريخ) وأشهر مثل على ذلك كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وكتاب تاريخ أصفهان لأبي نعيم الاصفهاني وتاريخ دمشق لابن عساكر . وليس يخاف أن البحث عن المعلومات التاريخية المتناثرة بين طيات هذه الكتب يحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير .

ان أشهر التواريخ المحلية التي لها علاقة بموضوعنا هي :

(١) تاريخ الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد الأزدي (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) :

كان أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم الأزدي مؤرخــاً

ومحدثاً مشهوراً وإن هاتين الصفتين كانتا متلازمتين في المؤرخين المشهورين في القرون الاسلامية الأولى . واشتهر أبو زكريا بكتابه «تاريخ الموصل» الذي وُصِف بأنه يبحث في طبقات المحدثين المشهورين من أهل الموصل أو الذين أقاموا فيها أو زاروها. الا أن النسخة الموجودة عندنا من «تاريخ الموصل» تبحث في تاريخ الموصل السياسي ومرتبة حسب السنين من سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م – سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م وهي الجزء الثاني من الكتاب ؛ حيث يظهر أن الجزء الأول مفقود [٢١] . ولذلك فان الكتاب الخاص بطبقات المحدثين والمنسوب إلى أبي زكريا ربما كان جزءاً مفقوداً من «تاريخ الموصل» او كان كتاباً مستقلاً بحد ذاته كما هو الحال في كتاب التاريخ وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) إن المخطوطة التي سنصفها هنا هي المخطوطة الموجودة في مكتبة Chester Beatty Library في مدينة دبلن عاصمة ايرلندا ولهذه المخطوطة صورة بالفوتوستات في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن . كما وأن هناك نسخة من المخطوطة في المجمع العلمي العراقي في بغداد ولقد قام الدكتور علي حبيبة بتحقيق نص المخطوطة ودراستها باشراف البروفسور أربري في جامعة كمبرج فنال بها درجة الدكتوراه .

إن مخطوطة تاريخ الموصل كما يدل اسمها تتعلق بصورة خاصة بحوادث الموصل السياسية وفيها معلومات اقتصادية واجتماعية وادارية لم يُسبق لها . وبالرغم من أنها تعالج تاريخاً محلياً الا أنها تشير إلى حوادث تاريخية كثيرة حدثت خارج الموصل في منطقة الجزيرة وحتى خارج منطقة الجزيرة في أقاليم مختلفة من الدولة الاسلامية . وخاصة تلك الحوادث التي لها علاقة بالموصل أو أثرت عليها بطريقة أو بأخرى . ولذلك فالمخطوطة لها صفة التواريخ العامة الشاملة اضافة إلى كونها تاريخاً محلياً . بيد أن الأزدي لا يعالج الحوادث التي تقع خارج منطقة الجزيرة بالتفصيل إلا إذا كان لها مساس بتاريخ الموصل فهو يذكر الحركات الخارجية في الحجاز مثلاً ويفصل فيها لان جماعات قبلية

وشخصيات موصلية اشتركت فيها . ويذكر بعض الولاة من أهل الموصل الذين عينوا لحكم بعض الأقاليم ويتتبع أعمالهم ويستطرد في سِيَرهم .

والذي يزيد من أهمية مخطوطة تاريخ الموصل هي اعتماد الأزدي على طريقة المحدثين في نقل الروايات التاريخية فيعطي لكل رواية سندها على طريقة الطبري وربما فاقه الطبري في ذلك . ومن جملة الرواة الذين اعتمد عليهم : المدائني ، الهيثم بن عدي ، احمد بن زهير ، أبو معشر السندي وخليفة بن خياط

ولم يكن الأزدي متحزباً أو ذا ميول سياسية واضحة ولكنه في كتابه يظهر عطفاً على العلويين الا أن هذا العطف لم يجعله يتحزب للقضية العلوية في صراعها ضد الأمويين أو العباسين . وقد كان الأزدي صادقاً حين وصف طريقته وجهده في تأليف الكتاب .

« ولم أعمل هذا الكتاب من كتاب معمول مؤلف اعتمدت فيه على أمر الموصل خاصة وانما جمعته من كتب شتى وقد ذكرت ما وجدت ولم اعدل عن الصدق » .

والمخطوطة التي لدينا وهي الجزء الثاني تختص بأواخر العهد الأموي والعصر العباسي الأول وتعطي بذلك صورة واضحة لعصر الانتقال من الأمويين إلى العباسيين وتوضح معنى الانتقال وطبيعته من حيث التقلبات السياسية والثورات والانتفاضات الحادة التي رافقت الثورة العباسية ثم رد الفعل الذي حصل في أعقاب الثورة وبعد تأسيس الدولة العباسية الجديدة .

ولعل أول ما يلفت نظر قارىء المخطوطة مدى المبالغة الموجودة في الفكرة القائلة بأن الثورة العباسية كانت ثورة الفرس على العرب وأن الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس . فالأزدي يظهر بوضوح مدى اعتماد الثورة على العرب كقوة ضاربة فعالة وتركيز الدعاة على كسبهم . ثم انه يبين بوضوح كيف ان انحياز شيوخ القبائل العربية والكتل القبلية إلى جانب الثوار من أهل خراسان أدى إلى رجحان كفة الثورة العباسية وبالتالي نجاحها

والأمثلة على ذلك كثيرة مبعثرة هنا وهناك منها ان الخليفة العباسي أقطع وائل بن السجاح وغيره من شيوخ القبائل قطائع في الموصل لبلائهم في الحرب ضد مروان بن محمد (ص ١٤٩) . ويقول الأزدي على لسان الخليفة أبي جعفر المنصور .

« ... والنقباء اثنا عشر نقيباً كلهم يمانية ... » . ثم يتكلم المنصور عن اليمانية فيقول: « فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا .. » (ص ١٩٤) . ويعطي الأزدي معلومات مذهلة عن حوادث الثورة في الموصل سنة ١٣٣ / ٧٥١ م تلك الثورة التي حدثت في أعقاب انتصار العباسيين على الأمويين فيذكر روايات مختلفة عن أسباب الثورة ومضاعفاتها ويذكر أسماء القتلى من أشراف الموصل والقصائد التي قيلت في رثائهم ويقول منددآ بالسياسة العباسية « كذب والله مَن زعم أن هؤلاء (أي العباسيين) مسلمون » .

ومن المزايا الكثيرة التي تميز المخطوطة على غيرها هي احتواؤها على معلومات فريدة ، قلما نجدها في كتب أخرى أو أنها معلومات توضح الالتباس الحاصل حول قضية تاريخية ومن جملة ملاحظات الأزدي الذكيّة في هذا الباب :

١ ــ ما يرويه عن المدائني ان عبد الله الحسن المحض (من الفرع الحسني) كان قد أشار على جماعة من الخراسانيين الذين جاءوا إلى المدينة بأن يتخذوا محمد بن علي العباسي إماماً لهم وان يلتزموه . وسواء كان هذا الخبر صحيحاً أم موضوعاً فانه يظهر أن الناس بوجه عام كانت تنظر إلى كل فروع بني هاشم على انهم سواء في أحقيته في الخلافة بعد رسول الله (ﷺ) هذا بالرغم من أن كل فرع من الفروع كانت له شيعة تدعي بأنه أحق من غيره وخاصة بعد ضعف الأمويين وقرب نهاية دولتهم حيث ظهرت زعامات هاشمية متنافسة .

٢ــ يذكر الأزدي وصية ابراهيم الإمام لأبي مسلم الخراساني حين أرسله

إلى خراسان وفيها لا يذكر الزعم القائل بأن ابراهيم أوصى ابا مسلم بقتل كل من يتكلم العربية وانما يقول :

« .. فاقتل من شككت في أمره ومن كان في نفسك منه شبهة أو وقع في نفسك منه شيء وايما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله .. » (ص ٥٧) .

وبهذا تحسم مخطوطة الأزدي المشادة التي لا تزال بين المؤرخين حيث ينقسمون إلى قسمين قسم يؤكد بأن الثورة العباسية كانت موجهة ضد العرب ويستندون على الوصية الموضوعة لإبراهيم الإمام وقسم يؤكد بأن الوصية أو جزءاً منها على الأقل موضوع وضعته العناصر المناوئة للثورة لاظهارها بمظهر الثورة الفارسية ضد العرب ولتبرير قتل مروان لإبراهيم الإمام .

(٣) يظهر الأزدي الدعاية العباسية أثناء الدعوة وكذلك الدعاية المقابلة الأموية ضد الثورة العباسية . ومن جملة ما يذكره قول مروان آخر خلفاء الأمويين في خطبته في عسكره : « يا بني الأحرار احملوا على هؤلاء فإنهم حشو من أهل شهرزور وليس معهم من أهل خراسان من أهل البصائر كثير » ان لفظ أهل خراسان مهم هنا فهو يؤكد ان المقصود بهم عرب خراسان من المقاتلة أو المستقرين وتذكر المصادر أن هناك ما يقارب الـ ٥٠ ألف عربي عدا عيالاتهم التي تقدر بـ ٢٥٠ ألف .

فاصطلاح أهل خراسان يشابه اصطلاح أهل البصرة وأهل الكوفة الذي كان يطلق عامة على من سكن من العرب في هذه الامصار بعد تمصيرها . وان زعم مروان بأن الجيش الخراساني هم حشو وليسوا من أهل خراسان يؤكد أهمية العرب كقوة ضاربة في الثورة العباسية . ويفند التفسير العنصري للثورة العباسية، خاصة وان الازدي نفسه في مخطوطه لا يذكر عرباً أو عجماً وانما يستعمل تعابير مثل « أصحاب مروان » أو « أصحاب عبد الله بن علي » أو « أصحاب أبي عون » تلك التعابير التي تدل بأن الثورة لم تكن عنصرية ولا حتى قبلية وانما أعمق من ذلك بكثير .

(٤) ونحن مدينون للأزدي لأنه أورد النص الكامل للأمان الذي أعطاه المنصور لعمه عبد الله بن علي العباسي الثائر في بلاد الشام . وهذا النص كتبه

ابن المقفع وقد ذكر الجهشياري قسماً منه في كتابه: «الوزراء والكتاب» ويبدأ هذا الأمان الشديد الإحكام كما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس خليفة الله على من ولاه أمره من المسلمين والمعاهدين لعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أنه قد أمنه وأخلص في ذلك النية وأشهد الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذي بيده نواصي الأنام ويسمع حرس الكلام ... » (ص ١٤٥) .

٥ — ويفصل الأزدي في الثورات الخارجية تفصيلاً ويذكر حتى الخوارج الذين ثاروا في مناطق أخرى عدا الموصل والجزيرة وهنا ينقل ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ منه دون أن يذكر اسمه أو كتابه . ويذكر الرسالة التي وجهها المهدي إلى الثائر سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م الخارجي عبد السلام اليشكري حيث يقول فيها :

« ... إني عجبت من اقدامك وبغيك حيث تكلمت كلمة حق تريد بها باطلاً .. » .

ولكن الأزدي لا ينقل جواب الرسالة التي وجهها اليشكري إلى الخليفة المهدي لأن الجواب كان شديداً وصارماً وهو موجود في كتاب التاريخ لخليفة بن خياط .

٦ — ويذكر الأزدي ثورة للعبيد في البصرة في زمن المنصور سنة ١٤١ هـ ولا ذكر لهذه الثورة في الطبري وكتب التاريخ الأخرى ويذكرها البلاذري في مخطوطته أنساب الاشراف (ص ١٠١) . كما ويذكر تمرد عم المنصور اسماعيل بن علي على الخليفة في الموصل ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م وتمكن المنصور من القضاء على التمرد وذلك لان رابطة الموصل العسكرية بقيادة القائد ابن مشكان تخلت عن الثائر وأيدت السلطة المركزية (ص ١٥٤) .

٧ — إن مخطوطة الأزدي تحفل بالكثير من الأمثلة التي تدل على سياسة المراوغة والخديعة والعصبية القبلية التي اتبعها المنصور لضرب القبائل اليمانية

والمضرية والربعية بعضها ببعض من أجل كسر شوكة هذه القبائل واستحالة اتحادها ضد السلطة المركزية . وقد قرب المنصور الكثير من شيوخ القبائل في مناطق مختلفة استطاع باصطناعهم أن يأمن من الاضطرابات في مناطقهم . وكان شيوخ القبائل وأشرافهم بدورهم يعرفون كيف يتقربون من المنصور فيروي أن اسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسري البجلي سأله المنصور : متى يظهر قحطانيكم يا اسماعيل ؟ فقال اسماعيل : « قد ظهر واني لأنتظر أن يركب عنقك وأعناق نظرائك غداً فهو المهدي ولي عهد المسلمين بن أمير المؤمنين ابن اختنا . وقد قال رسول الله : إبن اخت القوم منهم » .

فأعجبه كلامه وولاه الموصل (ص ١٨٧) .

إن مخطوطة تاريخ الموصل لا شك تعدّ من المخطوطات المهمة لا للمعلومات القيمة الكثيرة التي تذكرها في الفترة التي تعالجها ولكن لبعض الملاحظات الذكية التي أبداها المؤلف نفسه فهو حين يتكلم عن موت الهادي يذكر التعليق الذي يدل على يد الخيزران في المؤامرة : « وذكر أهل السير انه لما انصرف عن الموصل كتب إلى عماله شرقاً وغرباً بالقدوم اليه ليخلع هارون ويبايع لابنه الصغير جعفر فوقفت أمه الخيزران على ذلك وكان قد تغير عليها فخافته على هارون وكانت اليه أميل فكان منها في أمره ما أغنى عنه وعن ذكره فبعثت إلى يحيى بن خالد كاتب هرون : الحق الأمر فقد تلف الرجل فبايعوا هارون »[٢٢] .

(٢) كتاب التاريخ المنسوب إلى البطريك داينوسس التلمحري
The chromicle of Dionysius of Tellmahré

كان مؤلف الكتاب بطريك في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م وبهذا فقد عاصر فترة من أشد فترات التاريخ الاسلامي فعالية سياسية ونشاطاً فكرياً .[٢٣]

ويتعلق تاريخه بحوادث منطقة الجزيرة شمالي العراق فيشرح الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية لعصره . ويتخذ نظام الكتابة حسب السنوات

(الحولي) ويبدأ كل حادثة بعنوان كبير .

والكتاب في أصله باللغة السريانية الا انه ترجم إلى الفرنسية كما وترجمت نصوص منه إلى اللغة العربية . ان المعلومات السياسية التي يوردها عن نهاية الامويين والعصر العباسي الأول مرتبكة وأحياناً غامضة ذلك لأنه يفسر الحوادث التاريخية ضمن اطار التنبؤات والملاحم الدينية المسيحية فيصقل الحادثة ويحور فيها من أجل أن توافق تلك التنبؤات . ومع ذلك فكونه شاهد عيان لبعض الوقائع تزيد من أهمية ما يذكره فهو يقول مثلاً :

١ ـ عن أهل خراسان لم تكن وجوههم سوداء فقط بل ملابسهم أيضاً لذلك سموا بالمسودة .

٢ ـ ويشير إلى انتصار مروان الاموي في موقعة الزاب ويذكر أن عدداً كبيراً قتل وقيد الأسرى بالحديد .

٣ ـ سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الجزيرة بسبب ما حل بها من الدمار نتيجة عدم الاستقرار الذي واكب الثورات هناك وخاصة ثورات الخوارج .

٤ ـ يذكر ردود الفعل السياسية لسكان الجزيرة ضد السلطة العباسية ويشير إلى عدم حبهم للمركزية الادارية والضغط الذي كان يمارسه الوالي العباسي . وان قسماً منهم كان ميالاً للأمويين . وقد قُتل كثير منهم وضاق الباقون ذرعاً فيضوا أي أعلنوا الثورة ضد العباسيين فيذكر ثورات الموصل والمدن السورية .

٥ ـ ويشير كذلك إلى ظهور مصلحين ومدعي النبوة بين النصارى من سكان الجزيرة مثل (جون) الذي ظهر في احدى القرى ووحد سكان المنطقة محذراً اياهم من مخاطر استسلامهم للعرب المسلمين . وقد استطاع هذا ان يفرض وجوده على السلطة العباسية التي اعترفت به وتفاوضت معه .

٦ ـ ويظهر أن تردي الحالة الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى ظهور أنبياء كذابين أو ادعياء بالمهدية فيذكر المؤلف أحدهم الذي عاش في دير

مار متي في الموصل ثم خرج إلى قرية بيت راما . وقد أصبح له أتباع كثيرون واندفع الناس نحوه لينفسوا عن الكرب الذي يعانونه ولكن دانيوسس يكذب دعواه، ويذكر بأن رجال الدين المسيحيين والسلطة العباسية تعاونوا على القبض عليه وسجنه .

٧ - يشرح دانيوسس أخبار القسس والبطاركة المسيحيين في منطقته وصلاحهم وتقواهم . فيذكر مثلاً عن القس شمعون أنه كان عفيفاً زاهداً وقد أجبر على قبول البطريركية إلا انه تنازل عنها بعد مدة قصيرة مفضلاً العزلة وكان محبوباً « من العرب والنصارى » على السواء .

٨ - ويذكر ان لقب (عبدة الرؤوس) كان يطلق على المانوية في تلك الفترة ويظهر أن عددهم كان لا بأس به في منطقة الجزيرة .

٩ - يتكلم عن العلاقات البيزنطية - العربية ويظهر عطفه وميله نحو دولة البيزنطيين. ويندد بالدور « الانتهازي » الذي وقفه الأرمن من الحرب العربية البيزنطية بسبب مساعدتهم للجيش العربي ونقلهم المعلومات عن تحركات الجيش البيزنطي في المنطقة .

أما من حيث المعلومات الاقتصادية والاجتماعية فمادته المتعلقة بالقضايا الاقتصادية والمالية غزيرة ، تتضمن معلومات لا بأس بها عن نوعية الأراضي والممتلكات في المدن والقرى وكذلك يوضح العلاقة بين المدينة والقرية والتصادم الموجود بين طبقات المجتمع المختلفة ذات المستويات الاقتصادية والاجتماعية المتنوعة .

كما وان ولعه خاصة يظهر في توضيحه حالة الطبقة دون المتوسطة والفلاحين والزراع وفي هذا لا يضاهيه أي مؤرخ في عصره . وقد يكون هذا الولع بنتيجة عدم ارتباط جماعة الـ Monophites بأية طبقة ارستقراطية أو سلطة حكومية .

ويشرح المؤرخ الاجراءات التي اتخذتها السلطة العباسية تجاه الفلاحين والمزارعين وخاصة اجراءات الوالي موسى بن مصعب وكيف ان الضريبة

كانت تؤخذ قسراً قبل الوقت المحدد لها . وان سكان القرى كانوا يوشمون بختم خاص يدل على اسم قريتهم لمنعهم من الهجرة إلى المدن .

كما وان ممتلكات الكنيسة كانت تسجل في سجلات خاصة لمنع الناس من ايداع أموالهم أو هبتها أو اعطاء أراضيهم إلى الكنيسة .

كما وأنه يذكر المجاعات والاوبئة التي حلت بالجزيرة وقتها الا ان الذي يؤخذ عليه في هذا الصدد أنه يعزوها إلى تنبوءات وردت في الأساطير والملاحم المسيحية أو الكتب الدينية المسيحية فيقول مثلاً معللاً سبب مجاعة حلت بالجزيرة « ان هذا يتفق مع تنبوءات الرسل تزرع حنطة تحصد شوك » .

وإذا ما قارنا تاريخ دانيوسس بتاريخ أبي زكريا الازدي فهو لا يقل أهمية من حيث كونه تاريخاً محلياً عن تاريخ الموصل . فكلاهما يشمل بحثاً للحالة السياسية لمنطقة الجزيرة وكذلك الحالة الاقتصادية والاجتماعية . ويتفق كلاهما في موقفه العدائي تجاه السلطة العباسية المركزية .

والواقع فان مثل هذا الموقف السلبي تجاه السلطة المركزية نلاحظه في أغلب التواريخ المحلية مثل تاريخ طبرستان وتاريخ سجستان وتاريخ بخارى الخ.

ولعل تاريخ دانيوسس يفصل في معلوماته الاقتصادية أما تاريخ الازدي فيفصل في معلوماته السياسية كما وأنه يذكر أخباراً أخرى عن أقاليم مختلفة عدا الجزيرة . ويتفق كلا المورخين في ان كثرة الضرائب وعنف اسلوب الجباية هي التي أجبرت الفلاحين على الهجرة إلى المدن وبالتالي أدت إلى تدهور الحالة الاقتصادية .

(٣) وتختلف بقية كتب التاريخ المحلي في درجة أهميتها ومعالجتها لموضوع أحداث الثورة وتطوراتها . ومن المصادر التي تتضمن معلومات مفيدة ومختصرة عن ذلك : « **زبدة الحلب في تاريخ حلب** » لابن العديم . وهو في حقيقته لا يقتصر على حلب بل يشمل بلاد الشام كلها . وكتاب « **فتوح مصر وأخبارها** » لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧/ ٨٧١). فكتاب « **الولاة والقضاة** » للكندي (٣٥٠ / ٩٦١) و« **الخطط** » للمقريزي (٨٤٥ / ١٤٤١ — ١٤٤٢) « **والنجوم الزاهرة** » لابي المحاسن بن تغري بلدي (٨٧٤/ ١٤٦٩) .

وهذه المصادر تحتوي على مادة قيمة عن مصر في عهد العباسيين الا ان بعضها يضم أيضاً معلومات اضافية عن الاقاليم الاسلامية الأخرى وعن الفرق والمذاهب مثلاً .

وتحتوي التواريخ المحلية الأخرى – مثل «**الكفاية**» (الخزرجي) ، «**البيان المغرب**» (ابن عذاري) «**كشف الغمة**» (سرحان بن سعيد) . «**وفاء الوفا**» (السمهوري) . «**أخبار مكة**» (الازرقي) . «**تاريخ قم**» (القمي) ، «**تاريخ طبرستان**» (ابن اصفنديار) ، «**وتاريخ سجستان**» (للمؤلف المجهول) «**وتاريخ بخارى**» (المنسوب للنرشخي) – تحتوي على مادة مفيدة فيما يتعلق بالأحداث السياسية التي وقعت في الأقاليم والمدن في الفترة العباسية مثل ثورة شريك المهدي وثورة طبرستان وثورة حمزة الخارجي .. والخ والملاحظ ان المؤرخين المحليين يتميزون بنزعة اقليمية ويهاجمون في أحيان كثيرة السلطة العباسية المركزية .

المصادر الأدبية

لا يُستغنى عن الادب في كتابة التاريخ الاسلامي ، فالمؤرخ الواعي يستنبط من المصادر الأدبية الكثير من حقائق التاريخ . وأهم المصادر الأدبية علاقةً بالفترة العباسية الاولى هي كتب ابن المقفع (ت ١٣٩ / ٧٥٦) والجاحظ (ت ٢٥٥ / ٨٦٨) وابن قتيبة (٢٧٦ / ٨٨٩) وابن المعتز (ت ٢٩٦ / ٩٠٨) وأبي الفرج الاصبهاني (ت ٣٥٦ / ٩٦٦ – ٩٦٧) . هذا بالاضافة إلى دواوين أشهر الشعراء العباسيين المعاصرين أمثال أبي دلامة زند بن الجون ، بشار بن برد ، دعبل الخزاعي ، مروان بن أبي حفصة ومسلم بن الوليد وغيرهم . فابن المقفع في (**رسالة في الصحابة**) يشير على الخليفة المنصور بالموقف الذي يجدر به أن يتخذه حيال رجال البلاط والصحابة والجيش والجماعات الأخرى من الناس . ويظهر من الرسالة الدور الكبير الذي كان

يلعبه صحابة الخليفة ، وأغلبهم عرب ، في صوغ السياسة . ويرى ابن المقفع بأن على الخليفة ان يستعين « بالعلماء »(٢٤) في تسيير أمور الدولة .

أما الجاحظ فيكتب في كل المواضيع السياسية والاجتماعية والأخلاقية والحضارية الا ان موضوعه المفضل هو « الامامة » وفيها يظهر ميلاً إلى العباسيين ويهاجم بشدة شيعة العلويين وأنصار الامويين (النابتة) وكذلك الشعوبية أصحاب النزعة الأعجمية المعادية للعرب . ويقول الجاحظ مادحاً العباسيين « ولو ان أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسة كبرائهم ، وما جرى في ذلك من فرائد الكلام وشريف المعاني كان فيما قال المنصور وما فعل في أيامه وأسس لمن بعده مايفي بجماعة ملوك بني مروان . ولقد تتبع أبو عبيدة النحوي وأبو الحسن المدائني وهشام الكلبي والهيثم بن عدي أخباراً اختلفت وأحاديث تقطعت فلم يدركوا الا قليلاً من كثير وممزوجاً من خالص .

وعلى كل حال فإنا اذا صرفنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى واسحق بن عيسى واسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر وما رواه ابراهيم بن السندي عن السندي وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بني هاشم ومواليهم ، عرفت بتلك البقية كثرة ما فات وبذلك الصحيح اين موضع القساد مما صنعه الهيثم بن عدي وتكلمه هشام بن الكلبي »(٢٥)

أما كتب الشعر ودواوين الشعراء فتسلط ضوءاً كشافاً على كثير من حوادث السياسة ومؤامرات البلاط العباسي ومنازعات الأمراء حول ولاية العهد والصحابة على الامتيازات . والمنافسة بين الكتل السياسية المختلفة للتقرب من السلطان .(٢٦)

إن الشعر يعتبر من المصادر المساعدة جداً في تعقب الجذور التاريخية للطموحين العلوي والعباسي من أجل الوصول إلى السلطة حيث يظهر بوضوح مراحل النزاع وحجج وأسانيد كل واحد منهما ضد الآخر .

الأنساب والتراجم

باستثناء المصادر الأولية المهمة مثل طبقات بن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري وأنساب مصعب الزبيري وابن الكلبي وطبقات خليفة بن خياط ورجال الكشي ورجال النجاشي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر ووفيات الاعيان لابن خلكان وتاريخ الاسلام للذهبي فان اغلب المصادر المتعلقة بالتراجم والانساب متأخرة ولذلك فهي تنقل من المصادر التي سبقتها .

وتفيدنا كل الأنساب والتراجم من حيث :

أ ـ قدم الروايات التي تتضمنها ولذلك فهي تيسر لنا تكوين صورة أوضح للحادثة بمقارنة هذه الروايات بروايات كتب التاريخ العام .

ب ـ تعطينا معلومات قيمة عن الشخصيات السياسية وآرائهم الدينية والسياسية .

جـ ـ تظهر بوضوح أهمية كتلة الصحابة والكتلة العربية في البلاط والادارة العباسية .

د ـ تبدد الغموض الناجم عن ارتباك الروايات حول ما يسمى « بالمجازر » التي اقترفها العباسيون بحق الامويين فتظهر بأن الصورة التي يعطيها مؤرخو التاريخ العام مبالغ فيها .

ومن أشهر كتب النسب والتراجم :

(١) **أنساب الأشراف** للبلاذري (ت٢٧٩ هـ / ٨٩٢) : وهو كتاب تاريخي منظم في إطار النسب ولذلك فهو يتكلم عن بني هاشم مثلاً قبل غيرهم من البيوتات العربية ويتكلم عن العباسيين قبل أن يتكلم عن الامويين رغم ان العباسيين حكموا الدولة الاسلامية بعد الامويين من الناحية التاريخية . والبلاذري يتكلم عن الدعوة العباسية تحت عنوان محمد بن علي العباسي وعن الثورة العباسية تحت اسم ابراهيم الامام وأبي العباس ، وعن ثورة عبد الله بن

علي العباسي في الشام تحت اسمه وهكذا .

هذا بالاضافة إلى اننا نجد معلومات قيمة ومفصلة عن ثورات وحوادث سياسية في عهد الخلفاء العباسيين فتحت اسم أبي العباس (أول خليفة عباسي) هناك مثلاً :

أمر ابن هبيرة ومقتله

أمر السفياني

أمر بسام بن ابراهيم

وتحت اسم الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور هناك مثلاً :

أمر أبي داود خالد بن ابراهيم

أمر سديف

أمر ابن المقفع

أمر أبي مسلم

وينقل البلاذري من رواة مشهورين وثقاة من بينهم المدائني وعمر بن شبه والهيثم بن عدي وهشام بن الكلبي وأبي عبيدة والواقدي .

ان المادة التاريخية الموجودة في أنساب الاشراف ضرورية جداً وخاصة فيما يتعلق بحوادث الثورات وبعهدي الخليفتين أبي العباس وأبي جعفر المنصور فهي تكمل النقص الموجود في روايات الطبري واليعقوبي والمسعودي .

(٢) كتاب المُحبّر وكتاب اسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ — ٨٦٠ م)

ان المعلومات الموجودة في كتب ابن حبيب فيما يتعلق بالدعوة العباسية مهمة جداً لقدم المؤلف حيث أنه عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري .

(٣) الطبقات لابن سعد (٢٣٠ هـ / ٨٤٤ — ٨٤٥ م)

لم يهتم ابن سعد بالشخصيات السياسية قدر اهتمامه بالشخصيات الدينية

وأهل الورع والتقوى ومع ذلك فاننا نجد نتفاً وأخباراً عن الفترة العباسية يزيد من أهميتها قدم المؤلف . فهو :

أ ـ يعطينا فكرة عن فترة الود والسلام القصيرة بين العلويين والعباسين التي أعقبت نجاح الثورة العباسية .

ب ـ يسمي ابن سعد دولة العباسيين « دولة بني هاشم » ويدعو أنصارها « بالشيعة »

جـ ـ يؤكد وصية أبي هاشم إلى محمد بن علي العباسي .

د ـ يهتم بصحابة الخليفة والقضاة « من أهل الخير والورع والحديث »

هـ ـ على ان أهم ما في الطبقات فيما يتعلق بالدعوة العباسية هي الروايات التي تتعلق باستقرار العرب في خراسان وخاصة في القرى حول مدينة مرو . وتعتبر هذه المعلومات من أقدم ما وصلنا عن العرب من أهل خراسان ، فمن حسن الحظ أن يكون بعض هؤلاء العرب المستقرين من أصحاب الورع والتقوى فلو كان كلهم من أرباب السياسة والحرب لما ذكرهم ابن سعد في طبقاته .

(٤) مخطوطة المقفى الكبير للمقريزي (ت ٨٤٥ ـ ١٤٤١)

المقريزي مؤرخ متأخر بالنسبة لتاريخ صدر الاسلام . فقد عاش في مصر في الفترة المملوكية. وأشهر ما اشتهر به من كتبه المطبوعة كتاب الخطط وكتاب السلوك وكتاب البيان والاعراب . أما كتبه المخطوطة فمنها المقفى الكبير.فجزء منها محفوظ في المكتبة الوطنية الباريسية وهي في جوهرها تاريخ سياسي مرتب على نظام التراجم والانساب ، على نمط كتاب أنساب الاشراف للبلاذري الذي يعتمد عليه المقريزي اعتماداً كبيراً بل أنه يمكن القول بأن المقريزي اختصر أنساب الاشراف ، دون ذكر سلسلة الرواة (السند) بل يكتفي بذكر الراوية الرئيسي مثل المدائني والمفضل الضبي والهيثم بن عدي .

والمخطوطة كذلك مزودة بعناوين جانبية مفيدة تزيد من وضوح الأخبار الموجودة فيها .

ان أهمية مخطوطة المقفى تكمن في اعتمادها على أنساب الاشراف وذكرها للمصادر والرواة التي استقت الأخبار منهم ولذلك كون المقريزي من المؤرخين لا يضير شيئاً ما دام يذكر الاسناد .

وللمقريزي مخطوطة أخرى في التاريخ هي **منتخب التذكرة** وتتكون من ١٦٥ صفحة وتنقسم إلى قسمين الأول تراجم للخلفاء وخصائص حكمهم والثاني تاريخ يتبع نظام الحوليات .

أما الحوادث التي ذكرت فهي حوادث متتخبة منتقاة ولذلك فهو لا يذكر كل الحوادث التي وقعت على مسرح التاريخ السياسي . ولا يذكر المقريزي هنا سلسلة رواته ويبدأ الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله خالق الامم ومصيرها وجاعل الأنام بيننا دولاً وخبراً حتى يكون بعضها لبعض عبراً ... وبعد فهذا كتاب انتخبته من كتابي المسمى بالتذكرة . فأقول اعلم ان ابلغ المواعظ التفكر في القرون السالفة والاعتبار بانقراض جيل بعد جيل وفناء قبيل اثر قبيل » .

ان هذا يثبت بأن (منتخب التذكرة) هو اختصار لكتاب (التذكرة) ويظهر هدف المؤلف بأنه للعظة والاعتبار بتجارب العهود السالفة .

و المخطوطة ذات فائدة بالرغم من كونها متأخرة حيث توجد فيها معلومات وتعليقات كما هو الحال في غيرها من المؤلفات المتأخرة مثل مؤلفات الذهبي وابن عساكر وابن خلدون وهذه المعلومات الجديدة والتعليقات اللبقة تبعث في الباحث مزيداً من التساؤلات التي قد توصله إلى تفسيرات جديدة .

(٥) أما بالنسبة إلى تراجم رجال الشيعة فان مؤلفات الكشي (نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) والنجاشي (٤٥٠ / ١٠٥٨ — ١٠٥٩) لها أهمية خاصة في هذا البحث . ويتميز كتاب الكشي عن غيره من التراجم الشيعية في ذكره روايات غير موجودة في كتب شيعية اخرى ولذلك فإن

مؤلفي كتب الرجال من الشيعة ينظرون بحذر إلى رواياته الأمر الذي يجعلها — من وجهة النظر التاريخية — أكثر أهمية وفائدة .

لقد كان الفرع الحسني والفرع الزيدي من العلويين أكثر فعالية من الناحية السياسية واللجوء إلى حمل السلاح ضد السلطان أما النوع الحسيني فكان — في الفترة العباسية — يتبع سياسة المسالمة وعدم اللجوء إلى الثورة ضد السلطة وكان من نتيجة هذا ان قلت الروايات في كتب التاريخ العام عن الحسينيين . وما علينا والحالة هذه الا ان نعتمد في معلوماتنا عن الفرع الحسيني على كتب التراجم الشيعية والسنية وهي متأخرة وليس لها قيمة تاريخية كبيرة .

و يحتل كتاب **مقاتل الطالبيين** وأخبارهم لأبي الفرج الاصبهاني مكانة خاصة وهو يفيدنا في تعقب المعارضة العلوية خلال الفترة العباسية حتى عهد الخليفة المقتدر العباسي (٩٠٨ — ٩٣٢) . وعلى الرغم من حياد المؤلف العلمي وموضوعيته بنقله روايات متنوعة للحادثة الواحدة إلا أنه يظهر أحياناً ميولاً علوية يجدر الحذر منها والانتباه اليها .

مصادر الفرق والعقائد :

لقد بدأت كتب الفرق والعقائد بالظهور محققة ومنشورة في خلال العقد أو العقدين الماضين ولذلك لم ينتفع بها الا القلة من المؤرخين المحدثين . ومهما يكن من أمر فهي متأخرة بالنسبة لعهد الدعوة العباسية وما فيها من معلومات تاريخيه قليل ومبعثر . كما انه يجدر الحذر من ميولهم السنية أو الشيعية أو الاعتزالية . فالسنة منهم ينسون أو يتناسون الواجهة المتطرفة للدعوة العباسية — قبل أن يتبنى الخلفاء العباسيون مبدأ « أهل السنة والجماعة » — ويتهمون خداش وأبا مسلم وآخرين غيرهما بآراء متطرفة بعيدة عن الدين . كما وان كون هذه المصادر متأخرة من حيث الزمن قد أوجد فيها بعض الغموض والاخطاء فيما يتعلق باسماء الاشخاص والامكنة ، أو احتوائها على روايات

متهافتة أو ضعيفة مثل الادعاء بوجود ميول علوية لدى أبي مسلم الخراساني وانه اتصل بالامام جعفر الصادق عارضاً عليه الخلافة . وهي رواية ضعيفة قصد منها اما الحط من سجل ابي مسلم الحافل بالأعمال لدعم الثورة العباسية أو الرفع من شأن الامام جعفر الصادق الذي رفض عرض الخراساني متجنباً العروض الدنيوية الزائلة وان المؤلف قد خلط بين شخص أبي مسلم وشخص أبي سلَمة . والأخير هو الذي حاول نقل الخلافة إلى العلويين .

ومصادر الفرق والعقائد عديدة منها كتاب **الفصل في الملل والنحل** لابن حزم الأندلسي (السني) (ت٤٥٩/١٠٦٤) وكتاب **المقالات والفرق** لسعد بن عبد الله الاشعري (الشيعي)(ت ٣٠١ / ٩١٣) و**فرق الشيعة** للنوبختي (الشيعي)(ت ٣١٠ / ٩٢٢). ومقالات الاسلاميين للاشعري (السني) ت ٣٢١ / ٩٣٣ . وكتاب **التنبيه** للمالطي (ت ٣٧٧/٩٨٧ – ٩٨٨) . وكتاب **الفرق بين الفرق** للبغدادي (ت ٤٢٩ / ١٠٣٧) . و**التبصير بالدين** للاسفراييني (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨) وهو يرى بأن أهل السنة والحديث هم الفرقة الناجية في الآخرة . وكتاب **الملل والنحل** ، للشهرستاني (ت ٥٤٨ / ١١٥٣) . و**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** لفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩) وهو موجز ويستعمل كلمة الروافض للدلالة على الشيعة بصورة عامة ، ومثله كتاب **الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة** لعثمان بن عبد الله الحنفي العراقي (القرن السابع الهجري) .

ومن الكتب المفيدة أيضاً كتاب **الزينة في الكلمات الاسلامية** للرازي (ت ٣٢٩ / ٩٤٠ – ٤١) وهو اسماعيلي النزعة ولذلك فهو يوافق ما كتبه النوبختي وسعد القمي الاشعري الا فيما له علاقة بالاسماعيلية . ويتفق معه في موضوع الاسماعيلية أبو حنيفة النعمان بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٤ هـ / ٩٧٤) وهو اسماعيلي أيضاً حيث يتكلم عن الائمة الحسينيين حتى جعفر الصادق . ويظهر أبو حنيفة التميمي وجهة النظر الشيعية فيما يتعلق بتفسير معنى ولاية آل البيت في كتابه **أساس التأويل** .

وتتفق الأحاديث التي يوردها سبط بن الجوزي (سني) (ت ٦٥٤ / ١٢٥٦) في كتابة تذكرة الخواص مع وجهة النظر الشيعة (انظر على سبيل المثال ما يتعلق بحديث الغدير) . أما محب الدين عبد الله الطبري (٦٩٤ / ١٢٩٤) . فيذكر في كتابه ذخائر العقب في مناقب ذوي القربى مناقب آل البيت من علويين وعباسيين ودرجة قرابتهم من النبي (ﷺ) .

ومن الكتب الاخرى في العقائد والفرق تجدر الاشارة إلى كتاب العثمانية للجاحظ المعتزلي ذي الميول العباسية وكتاب ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥ / ١٢٥٨) المعروف باسم (نهج البلاغة) . وكتاب الكافي للكليني (ت ٣٢٨ / ٩٣٩ ـ ٤٠) وكتب الشيخ المفيد محمد بن النعمان من الشيعة الامامية (ت ٤١٣ ـ ١٠٢٢) . وهو يعتمد في كتبه على الكليني وسعد القمي والنوبختي . ويعتبر الشيخ المفيد ذا أثر كبير على الشيعة الامامية لكونه من أبرع فقهاء هذه الفرقة . ثم ان كونه فقيهاً زاد من أهمية كتاباته ذلك لأنه لا يذكر الحوادث التاريخية مجردة بل يضيف عليها معلقاً وذاكراً رأيه فيها . ومن كتبه الارشاد والامالي والفصول المختارة ورسائل المفيد والاختصاص . وقد خلف الشيخ المفيد فقيهان مشهوران من فقهاء الامامية هما : علي بن الحسين المرتضى (ت ٤٣٦ / ١٠٤٤) وهو تلميذ الشيخ المفيد ، وله كتاب مشهور بعنوان الشافي في الامامة يعتمد في رواياته على الكليني والشيخ المفيد وابن رستم الطبري وفي رواياته التاريخية على البلاذري . وهو يحاجج في هذا الكتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي ويرد على آرائه التي سردها في كتابه المغني . ثم أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ / ١٠٦٧) شيخ الطائفة وقد اشتهر بفهرسته وبرجاله وآماليه ، كما وأنه لخص كتاب الشافي للمرتضى . وكتب تفسيراً للقرآن (التبيان) مؤكداً وجهة النظر الامامية . والذي يؤخذ على كتب الفرق بصورة عامة هو عدم ذكر المصادر التي استقت منها المعلومات الا في النادر ولذلك من الصعوبة معرفة من نقل وعن مَن ؟ وما هو الجديد الذي

جاء به كل منهم وما قيمة هذه المعلومات اذا ما قورنت بالمعلومات الواردة في كتب التاريخ .

وتتكلم كتب الفرق عن الامامة مثلا وتروي الأحاديث العديدة تسند وجهة النظر الشيعية أو السنية أو الح . ولكن ما هي أسانيد هذه الأحاديث ؟ ومن هم رواتها الاوائل ؟ ثم هل ورد ذكرها في كتب الحديث المختلفة كالصحاح الستة ؟ . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان كتب الفرق لا توضح بصورة وافية متى ظهرت فكرة الامامة على وجه التحديد وكيف تطورت وما الفرق بينها وبين الخلافة .

أما حين تتكلم كتب الفرق عن الفرق الاسلامية فهي لا توضح ، كيفية انتظام هذه الفرق تاريخياً . وما مكانة كل فرقة في الحياة الفكرية والسياسية العامة للمجتمع الاسلامي وما هو الفرق بين ما يرويه الشيعة وما يرويه السنة عن هذه الفرق ولماذا اختلفوا في ذلك ؟ ، الا نادراً وبايجاز كبير .

المصادر الذمية

لقد بحث في موضوع الدولة العباسية عدد من المؤرخين الذميين منهم المعاصرون ومنهم شبه المعاصرين للحوادث التي وقعت آنذاك . ونذكر هنا دانيوسس التلمحري الذي تكلمنا عنه سابقاً ، وسيفيرس ابن المقفع [٢٧] وطيموثوس النسطوري [٢٨] وسيمون بن يحي . أما المتأخرون منهم فمايكل السوري وبارهيبروس (ابن العبري) . [٢٩]

وعلى الرغم من أن الباحث لا يتوقع الوضوح والدقة والموضوعية في كتب هؤلاء المؤرخين حيث عاش أغلبهم بعيداً عن المعترك السياسي أو البلاط العباسي ، أو كتبوا بروح عدائية للحكم الاسلامي (كما فعل ابن العبري في النسخة السريانية لكتابه مختصر تاريخ الدول) الا ان هناك معلومات تاريخية في بعض الروايات ومنها ما يتعلق بالتنبوءات التي شاعت في المجتمع

الاسلامي في فترة انهيار الدولة الاموية والاعداد للثورة العباسية . كما ان هناك روايات توضح على سبيل المثال الاجراءات التي عمد اليها العباسيون من أجل اغراء القبائل العربية أو سكان البلاد (الاقباط في مصر) مثلاً للانحياز إلى جانبهم ومحاربة الجيش الاموي وذلك بتخفيف الضرائب عنهم أو اعفائهم نهائياً منها الا ان السلطة العباسية عادت وفرضت الضرائب مجدداً بعد أن سيطرت على الأوضاع واستقرت الأمور .

المصادر التاريخية المتأخرة

يعتمد المؤرخون المتأخرون – بصورة عامة – على روايات من سبقوهم من المؤرخين الاوائل فيما يخص الثورة العباسية الا ان الباحث قد يعثر بين طيات هذه المصادر على روايات فريدة غير واردة في كتب الاوائل فقد نجد اشارات في (**مختصر تاريخ الطبري**) للمؤرخ الفارسي البلعمي (ت ٣٦٣ / ٩٧٢) غير موجودة في الطبري نفسه . ومثل هذا القول يصدق على كتاب (**وفيات الاعيان**) لابن خلكان كما ذكرنا ذلك سابقاً . وقد يذكر ابن خلدون (**العبر وديوان المبتدأ والخبر**) روايات فريدةأو تفاسير جديدة لا نعثر عليها في المصادر التي سبقته ولعله استقاها من مصادر لم تصل إلى أيدينا .

لذلك فالاجدر بالباحث في تاريخ الثورة العباسية أن يرجع إلى هذه المصادر المتأخرة لالقاء نظرة سريعة عليها . ومن المصادر المتأخرة ذات العلاقة كتب ابن الأثير وابن الطقطقي (ابن طباطبا) وابن خلدون والمقريزي والذهبي والمقدسي والسيوطي وابن الجوزي والقلقشندي والنويري والخزرجي والعيني .

المصادر الجغرافيه

ليست المادة التاريخية كثيرة في المصادر الجغرافية وليس من حقنا أن نلوم

الجغرافيين على ذلك . على اننا نجد اشارات مفيدة إلى السكان ومناطق استقرارهم في خراسان مثلاً ، كما أن مصدراً جغرافياً ككتاب **البلدان** لليعقوبي يصف بغداد في الوقت التي بناها فيه الخليفة المنصور . وينقل الجغرافيون كذلك أمثالاً شائعة في أقاليم مختلفة لها دلالات تاريخية مهمة . فالهمداني في (**مختصر كتاب البلدان**) يكذّب مثلاً قول ثمامة « بان أهل خراسان بخلاء وان ديكتهم تلقط الحب من الدجاج » ويعطي مثلاً على سخاء القحاطبة والبرامكة . وهذا المثل يدل دلالة واضحة على ان اصطلاح « اهل خراسان » لا يعني الفرس كما فسره ولهاوزن وانما يعني العرب وغير العرب معاً . وتحفل المصادر الجغرافية بروايات تدل على عنف الصراع بين اقليمي العراق والشام في هذه الفترة كما وان هناك تنبوءات وملاحم تبشر بمجيء « قوم من قبل المشرق ومعهم الرايات السود فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى أهل البيت فيملؤوها قسطاً كما ملئت جوراً » . وقد بدأت هذه التنبوءات تنتشر منذ ثورة الحارث المرجئي واستغلتها الدعوة العباسية ببراعة . وينقل ياقوت في معجمه المثل المشهور « رجال مرو من قراها » واذا ما علمنا بأن العرب بدأوا بالاستقرار في القرى المنتشرة حول مرو أدركنا مغزى هذا القول . ويقول ابن حوقل [٣٠] في (**صورة الأرض**) بأن دعوة بني العباس ظهرت في مرو وفي دار أبي النجم المعيطي صبغ أول سواد ولبسته المسودة . وتنقل المصادر الجغرافية وصية محمد بن علي العباسي لدعاته [٣١] (**ياقوت**) وخطبة قحطبة الطائي في أهل خراسان يحضهم على نصر الدعوة العباسية (المصدر السابق ٢ / ٤١٣) وتظهر المصادر الجغرافية بصورة واضحة اختلاط العرب بغير العرب في الكثير من المدن الايرانية خاصة في الفترات المتأخرة ففي أصبهان اضافة إلى العجم هناك قوم من العرب من الكوفة والبصرة [٣٢] ، وفي سَرَخْس اخلاط [٣٣] من الناس . وفي مرو قوم من العرب من الازد وتميم وغيرهم . اما في هراة فأهلها أشراف من العجم وبها قوم من العرب وسكان بوشنج أخلاط من العجم وبها عرب [٣٤] يسير .

وقول اليعقوبي « وفي جميع مدن خراسان قوم من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن الاباشروشنة فأنهم كانوا يمنعون العرب أن يجاوروهم حتى صار اليهم رجل من بني شيبان فأقام هناك وتزوج فيهم» على مدى الامتزاج والتزاوج بين العرب الفاتحين وسكان البلاد المحليين .

النقود والنقوش

لم ينقش الخلفاء العباسيون الاوائل أسماءهم على النقود ، الا ان تاريخ السك يدل على العهد الذي سكّت فيه النقود . ويمكن التعرف على النقود العباسية الاولى بواسطة الآية القرآنية المنقوشة عليها : « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » . كما واننا نستدل من النقود على ان لقب أبي مسلم الخراساني والي خراسان كان « أمير آل محمد » . (٣٥) ثم ان الخليفة المنصور استعمل النقود — كأسلوب من جملة الأساليب الدعائية — لابراز اسم ابنه محمد المهدي واظهاره أمام الناس كولي لعهد المسلمين فقد نقش اسمه على النقود منذ سنة ١٤٦ هـ .

بالري سنة ست واربعين

مما أمر به المهدي محمد بن أمير المؤمنين (٣٦) .

أما بالنسبة للنقوش فإن كل ما وصلنا من النقوش عن الفترة العباسية يعود إلى عهود متأخرة لا علاقة لها بالخلفاء العباسيين الاوائل . وتذكر المصادر ان المهدي العباسي حذف اسم الوليد الاموي من مسجد الرسول في المدينة . وتذكر المصادر الكثير عن خطط بغداد وخطط مرو وبلخ (٣٧) الا ان التنقيبات لم تظهر لنا شيئاً مهماً عن هذه الفترة بالذات .

الكتب الحديثة

يقول الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدويري « ان استعراض المؤلفات التاريخية بصورة عامة يشير إلى ان دراسة هذه الفترة من ناحية سياسية وحضارية

نالت قسطاً ملحوظاً من العناية فهي فترة ازدهار الحضارة الاسلامية واتخاذها طابعها المميز وهي فترة « العصر الذهبي » بنظر الأجيال التالية وفي الخيال الشعبي ومن المنتظر أن يتجه الفكر اليها في بحث التاريخ العربي الاسلامي »[٣٨]

الا ان الدوافع التي تدفع المؤرخ لدراسة هذه الفترة بالذات كثيرة وأهمها في نظرنا اشباع حب الاستطلاع لدى المؤرخين الذين يبحثون عن الحقيقة بدافع من ميولهم العلمية ورغباتهم الفردية فيتوصلون إلى تفسيراتهم المتباينة عن الحادثة التي يتدارسونها . وليس بالمستغرب أن المؤرخين الذين يتسع حقل دراستهم كاتساع الحياة نفسها لا يتفقون على ماهية المعلومات التي يكشفها التاريخ لمتتبعيه .

فمن المؤرخين من يعتقد بأن مهمة التاريخ هي البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها ومنهم من يعتبره تفسير الحقائق وربطها وهنا نلاحظ أهمية المؤرخ في تفسير الحوادث التاريخية[٣٩] .

ومما لا شك فيه فان تفسير التاريخ يختلف بحسب المجتمعات ويعتمد على درجة تطورها . وللمؤلف نفسه تأثير كبير في صياغة الحقائق واظهارها وعرضها على المجتمع . ولهذا السبب يقول المؤرخ كروتشي « التاريخ كله تاريخ معاصر » ومعنى ذلك أن التاريخ في الأساس هو رؤية الماضي بمنظار الحاضر وفي ضوء مشاكله . ولنأخذ مثلاً على ذلك من التاريخ الاوربي حيث انقسم مؤرخو اوربا إلى قسمين بشأن الثورة الفرنسية. الاول اعتبرها ثورة Revolution أي انها حركة موافقة لسير التاريخ ومصلحة الشعب ، والثاني اعتبرها انقلاب Rebelléon قام به جماعة من الانتهازيين فهي اذن حركة مخالفة لسير التاريخ وليس للشعب أية مصلحة فيها . وهنا يأتي دور المؤرخ الحديث ليمحص البراهين والروايات ويفسر الثورة على ضوئها . والحقيقة ان للثورة الفرنسية أهمية ايجابية ذات تأثير كبير على العالم أجمع فقد كان من نتائجها انتشار التعلم ونمو الفكرة الديمقراطية في الحكم واتساع مبدأ الحرية للفرد وكان من نتائجها أيضاً امتلاك الفلاحين الأراضي بعد أن

كانوا أقناناً للأرض وانتشار الفكرة القومية التي وحدت فرنسا ووحدت أجزاء كثيرة من العالم ولا يزال تأثيرها ساري المفعول . وهناك مثال آخر من التاريخ الاسلامي ولنأخذ موضوع بحثنا في هذا الكتاب ــ الثورةالعباسية ــ فلقد درس المؤرخون الالمان أمثال فان فلوتن وولهاوزن هذه الثورة الا انهم في دراستهم لها لم يسعهم الا ان يطبقوا المفاهيم السائدة في اوربا وفي المانيا بالذات في القرن التاسع عشر وهي مفاهيم القومية والصراع العنصري . ففسروا الثورة العباسية تفسيراً عنصرياً أي أنها بصورة رئيسية ثورة الفرس المحكومين على العرب الحكّام السائدين . وأكدوا على ان للموالي (من الاعاجم) أثرهم الكبير في انجاح الثورة العباسية التي قامت على أكتاف الفرس . ولقد تبعهم على هذا الرأي مؤرخون عرب ومسلمون ظهروا في النصف الأول من القرن العشرين . ولربما كان لشيوع هذا التفسير وتبنيه من قبل أكثر المؤرخين العرب هو ان الفترة التي عاش فيها هؤلاء المؤرخون في الشرق العربي كانت كذلك فترة ظهور بوادر النزعة القومية ويقظة العرب وكفاحهم ضد السيطرة الاجنبية .

وهكذا نلاحظ بأن المؤرخ يتأثر بظروف عصره فيفسر الحوادث تفسيرات متباينة وكان لكل من مؤرخينا الرواد وجهة نظره الخاصة به في كتابة التاريخ فالطبري يعتبر التاريخ تعبيراً عن المشيئة الالهية المتمثلة بتوالي الرسالات . أما البلاذري فان التاريخ العربي بالنسبة له تعبير عن دور الاشراف العرب الذين فتحوا البلاد باسم الاسلام . أما ابن مسكويه والمقريزي فيفسران التاريخ تفسيراً أخلاقياً للاتعاظ والعبرة . وبالنسبة للذهبي وابن الجوزي فهو تعبير عن فعاليات الاشراف والعلماء والادباء والزهاد والكتاب . أما تفسير ابن خلدون فيقول بأن المجتمعات في التاريخ تتدرج في تطورها من بدائية ترتبط برباط العصبية إلى متحضرة فمترفة فراكدة ثم تنهار .

وبقدر ما يتعلق الأمر بالثورة العباسية فلقد ساهم المؤرخون المحدثون من مسلمين وعرب ومستشرقين في دراسة الثورة وعصرها بدرجة كبيرة . وفي هذه الكتابات نلاحظ مزيجاً من الآراء الاستشراقية والعربية والاسلامية

وبهذا يتمثل فيها التفاعل الفكري في أوج مظاهره . ولقد أثرت كتابات بعض المؤرخين إلى دفع البعض الآخر للكتابة من أجل الرد عليهم وهكذا ألفت الكتب العديدة في هذا الموضوع . وليس هذا محل سرد ما كتب عن الثورة العباسية – وعلى القارىء أن يرجع إلى فهرست المصادر ليجد قائمة بأسماء الكتب والمقالات عن الثورة – وانما نود أن نشير هنا إلى أهم ما كتب عن الثورة وإلى المنهج الذي سار عليه المؤلف في كتابه : هل هو تقليدي أم حديث . وبمعنى آخر هل ان المنهج كان سرداً للتاريخ دون اشارة إلى مصدر ودون تفسير ، أم أنه تحليل على ضوء الاتجاهات التاريخية الحديثة .

كما واننا سنحاول الحكم على الكتاب وما ينطوي عليه من أصالة علمية ونظرة تاريخية .

ولا بد أن نكرر هنا حقيقة ذكرناها سابقاً وهي أنه ندر من بين المؤرخين من استفاد استفادة كاملة من كل المصادر الضرورية لفهم الثورة العباسية وعصرها فقد اعتمد معظمهم على كتب التاريخ العامة ولم يرجعوا إلى كتب التراجم والطبقات أو إلى كتب الادب المهمة وكتب الفرق والعقائد والفقه وكتب الجغرافية والرحلات وإلى النقود وأوراق البردي والآثار وتقارير المنقبين .

وعلى الرغم من أن أساليب المستشرقين لا تزال متخلفة اذا قارناها بالدراسات التاريخية الاخرى في اوربا واميركا كما وان قسماً من المستشرقين لم يراع أحياناً ناحية التخصص فكتب في التاريخ والأدب والحياة الاقتصادية والفقه الا اننا يجب أن نعترف بأن للمستشرقين قصب السبق في دراسة التاريخ الاسلامي دراسة مبنية على الأساليب المنهجية وتقسيمه بضوء الاتجاهات الموضوعية الحديثة في التاريخ . وكان من أوائل المستشرقين اللذين عالجوا الفترة العباسية هو الاستاذ Weil (٤٠) ويل في كتابه (**تاريخ الخلافة**) ولكن هذا الكتاب في التاريخ الاسلامي العام ، لم يتعرض الا قليلاً للثورة العباسية ولم يحاول ان يعطي تفسيراً خاصاً لها .

أما فان فلوتن Van Vloten فقد أكد على وجهة النظر القومية (العنصرية) في تفسيره للثورة العباسية وبيّن انها كانت ثورة الفرس ضد العرب [٤١] ويشعر فان فلوتن بضعف أسانيده ويقول « .. ولا يسعني الا ان اصرح بأني لا استطيع أن احلل أسبابه تحليلاً تاريخياً مرضياً » ويبرر ذلك بقوله « واني مقتنع تمام الاقتناع ان ما ذكره مؤرخو العرب في ذلك الموضوع ليس سوى تكرار لحوادث لها نصيب قليل أو كثير من الصحة ، ربما تستر الحقيقة أكثر من أن تكشف القناع عنها وذلك لتأثرها بالبلاط في بغداد » . ويخطىء فان فلوتن حين يؤكد على الناحية العنصرية ويقول «علينا أن نعنى بوجه خاص بتعرف حال الشعوب المحكومة وعلاقاتها بالشعب الحاكم » ولا يعطي أية أهمية للنزاع بين القبائل والمحالفات الجديدة ويقول « لم يكن (للنزاع القبلي) الا مكان ثانوي بين تلك العوامل التي انتهت بسقوط الامويين . فان ذلك النزاع وان ساعد في اللحظة الأخيرة على نجاح الدعوة العباسية فلم يكن له أثر في تلك الحالة الجديدة التي ظهرت عقب قيام الدعوة العباسية » [٤٢] . ويقسم فان فلوتن كتابه إلى ثلاثة أبواب يتعرض في الأول إلى حالة الموالي الاجتماعية والسياسية بصورة خاصة ويؤكد على ما يسميه بالتمييز في المعاملة بين العرب والمسلمين من غير العرب . أما في الباب الثاني فيظهر بأن اصل الدعوة العباسية يرجع إلى الفرقة الهاشمية المتطرفة . وفي الباب الثالث والأخير يرى فان فلوتن بأن عقيدة المنقذ المنتظر كان لها أثرها الفعال في سقوط الامويين وهو يستعرض تطور هذه العقيدة حتى قيام الدولة العباسية .

ولقد نظر المستشرق ولهاوزن [٤٣] إلى الثورة العباسية بنفس المنظار الذي نظر به فان فلوتن ورأى فيها ثورة الاعاجم على السيادة العربية التي انتهت بزوال الامويين وأصبحت « الكفة الراجحة لبلاد العجم الشرقية وانتصرت الايرانية على العروبة تحت ستار الاسلام لا باعتباره ديناً للعرب بل ديناً للأمم » .

ولقد وقع المستشرق ولهاوزن في أخطاء لسوء تفسيره بعض ما ورد في

الروايات التاريخية فأساء فهم اصطلاح « أهل خراسان » و « سكان القرى » والألقاب التي كانت تطلق على بعض الشخصيات العربية مثل المروزي (نسبة إلى مروالروذ) والطوسي والبلخي والخراساني والخ . وأهم ما يلفت النظر بين فصول ولها وزن هو الفصل الخاص بالقبائل العربية في خراسان والمحالفات القائمة بينها [٤٤] .

ولقد تبنى المستشرقون الآخرون هذا التفسير في مؤلفاتهم فأكد كل من نولدكه [٤٥] وتوماس ميور [٤٦] وآرنولد [٤٧] وبارثولد [٤٨] على ان الثورة العباسية قامت على أكتاف الفرس وأن العصر العباسي الاول برز فيه النفوذ الفارسي بوضوح . كما وأظهرت هذه النظرة في كتاب (العرب في التاريخ) للاستاذ البروفسور برنارد لويس في سنة ١٩٥٠ . الا ان البروفسور لويس عدل من وجهة نظره في كتابات له ظهرت فيما بعد . كما وأكد عليها المستشرق سبولر Spuler . فهو يقول « لقد كان للعنصر الفارسي الدور الرئيسي في النصر العباسي وكذلك في اقرار النظام الجديد » [٤٩] ويستطرد قائلاً « وبدون شك فان الفرس أصبحوا من الآن مساوين للعرب في الدولة الجديدة ، وكان هذا ممكناً فقط حينما أصبح المعيار هو الدين لا القومية » . ويؤكد سبولر على الواجهة الدينية للثورة فيقول « ان شعار الدعوة كان القضاء على الحكم الاموي الدنيوي واقرار حكم أهل بيت الرسول(ﷺ) على أنه الاسرة الوحيدة التي لها حق الحكم .. » [٥٠] ولقد عكس المستشرقون الذين تخصصوا بالأدب العربي نفس هذه النظرة ومنهم كارل بروكلمان
Brocklmann و Broune و Nichelson و Arberry . [٥١]

أما في الشرق العربي فمنذ بداية القرن العشرين حدث تغير متميز في الأفكار التاريخية وفي أساليب الكتابة التاريخية كذلك . فلقد شهد القرن العشرون بداية النهضة القومية الحديثة في الشرق العربي حيث بدأت بوادر الوعي الوطني بالظهور ولذلك أصبح محور الكتابة لدى المؤرخين العرب المحدثين هو الامة بمفهومها الجنسي أو الثقافي ولهذا نرى التركيز على تاريخ العرب حيث

كتب فيه جرجي زيدان وأحمد أمين والخضري وفيليب حتي وكرد علي وحسن ابراهيم حسن وغيرهم . ولا بد لنا من القول بأن المؤرخين العرب المحدثين — وقد عاشوا في عصر انتشار الوعي القومي الحديث — قد تبنوا التفسير القومي الذي نادى به فان فلوتن وولهاوزن وأكدوا عليه مع قلة ما نلاحظه من التحليل والنقد في واجهات الثورة العباسية وندرة الاتيان بآراء جديدة بل كل ما نجده في الكثير من المؤلفات اجترار في الاراء وتكرار للمعلومات وهناك من ينسب الثورة العباسية ، وهي دعوة سرية تضافرت فيها جهود مشتركة ولفترة طويلة إلى أفراد معينين كأبي مسلم الخراساني أو محمد بن علي العباسي (٥٢) .

ولقد تناول الخضري (٥٣) الثورة العباسية وقدم لها ببعض المعلومات عن أجداد العباسيين. واعتقد بان الإمامة انتقلت إلى العباسين عن طريق أبي هاشم الذي أوصى إلى علي بن عبد الله العباسي . وأورد أن أسباب اختيار خراسان يعود إلى كونها مقر الايرانيين الذين يفهمون معنى الوراثة الشرعية ولأنهم متذمرون من السياسة الاموية . وهو يؤكد كذلك على العصبية الايرانية ودورها في الثورة . فالنسبة للخضري تعتبر الثورة العباسية حركة سياسية ليس لها واجهة دينية متطرفة (الغلو الذي مصدره الكيسانية ثم الهاشمية ثم العباسية) .

ويمر الدكتور فيليب حتي بالثورة مراً سريعاً دون أن يفصل في واجهاتها وشعاراتها أو في الاوضاع التي سادت آنذاك ويؤكد على شعور الايرانيين بماضيهم وحضارتهم القديمة وأثر ذلك في انجذابهم للدعوة . أما صديقي فبعد أن يعطي مقدمة طويلة عن الحالة السياسية والاجتماعية في الدولة الاسلامية في عهد الامويين يؤكد أن سوء معاملة الفرس أدت إلى انفجار الثورة التي أمل منها الفرس المساواة والاشتراك في الحكم والادارة واعادة مجدهم السالف وتقاليدهم القديمة . وهو يفسر دائماً اصطلاح « أهل خراسان » على أنه يعني الفرس لا غيرهم (٥٤) .

ويقول الدكتور الاستاذ حسن ابراهيم حسن (٥٥) بأن أبا هاشم أوصى لمحمد بن علي العباسي ذلك لأنه لم يكن بين العلويين من يستطيع تحمل المسؤولية . ويرى الدكتور حسن كذلك بأن سبب تأييد أهل خراسان للدعوة يرجع إلى نظرية الحق الالهي المقدس The divine right of Kings الذي تمتع به الملوك الفرس وإلى زواج الحسين بن علي من شهربانو ابنة الملك الساساني يزدجرد . وهذا تفسير تقليدي لا يصمد طويلاً أمام النقد .

أما الدكتور أحمد شلبي(٥٦) فيقول بأن الوصية كانت لعلي العباسي هذا بالرغم من أن علياً العباسي كان منذ ذلك الوقت طموحاً يسعى لنيل الخلافة على أساس أن العباس عم النبي ووارثه من بعده . أي ان للعباسين دعوة عباسية صرفة منذ عهد علي العباسي وان وصية أبي هاشم زادت من قوتهم ولم تكن نقطة بدء في حركتهم . ولا يأتي بجديد فيما يخص أسباب اختيار خراسان (فكرة الوراثة المقدسة ، ارجاع مجد ايران القديم والانتقام من العرب) .

وقد تناول الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري موضوع الثورة العباسية مرات عديدة فبحثه في « **العصر العباسي الاول** » وفي مقدمة كتاب « **مقدمة في تاريخ صدر الاسلام** » . ثم تناولها من جديد في مقالة له في مجلة كلية الاداب والعلوم « **ضوء جديد على الدعوة العباسية** » . وناقشها كذلك في « **الجذور التاريخية للشعوبية** » « **والجذور التاريخية للقومية العربية** »(٥٧) والاستاذ الدوري لم يقف عند رأي محدد أو وجهة نظر معينة حول الثورة العباسية بل غير من رأيه وعدل فيه استناداً إلى مخطوطات حديثة وآراء استشراقية جديدة لم تكن معروفة من قبل . يقول الاستاذ الدوري مثلاً في أول كتاب نشره « نشأت الدولة العباسية على أثر دعاية واسعة النطاق دامت حوالي ثلث قرن فضمت إلى صفوفها كل من عادى الأمويين وتركت آثاراً هامة في نفوس المسلمين (من غير العرب) وخاصة الفرس ... وقد انتشرت الدعوة العباسية بالدرجة الأولى بين الموالي في العراق وخراسان فأسرعوا فانضموا اليها

رغبة في التخلص من أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية السيئة كما انضم بعضهم لتحقيق اراء كانوا يدينون بها » (٥٨) . وهو يسير في كتابه هذا ليشرح ـ على نفس خطة فان فلوتن وولها وزنـ الحالة السيئه للموالي اقتصادياً واجتماعياً وأثر ذلك في مشاركتهم في الثورة . ويقلل الاستاذ الدوري من أهمية العرب فيقول: « وكان عدد العرب قليلاً نسبياً في خراسان فيقدرهم ولها وزن بمائتي ألف ولم يحصروا أنفسهم في المراكز العسكرية بل امتلكوا الضياع في الأرياف واختلطوا بأهل البلاد وتزوجوا الايرانيات واقتبسوا العوائد الايرانية وصار بعضهم يشعر بشيء مشترك مع الأهالي » (٥٩) . ومهما يكن من أمر فالمؤلف يفصل في ذكر واجهات الدعوة وتلاؤمها مع الحالة في خراسان ويشرح أدوارها بشيء من التفصيل . ولكن تفسيره لا يخرج عن تفسير ولها وزن الآنف الذكر. وقد وضح الدوري رأيه في الثورة حين قال :

« كانت الدعوة العباسية حركة سياسية تريد ضرب الامويين ، اجتماعية اقتصادية تدعو إلى مساواة الموالي بالعرب في الوظائف والعطاء وإلى رفع الضغط الواقع على الموالي في الضرائب ، دينية تنادي بالسير على الكتاب والسنة . وكان اعتمادها بالدرجة الاولى على الموالي الفرس، ولذلك كانت صبغتها الاجتماعية الاقتصادية قوية من جهة . كما انها استوعبت جماعات فارسية قديمة لها برامج اجتماعية ذات صبغة اشتراكية هي في حقيقتها استمرار لحركة مزدك الاشتراكية ، كما هو الأصل في حركات الغلو وكما هو دافع الحركات الخرمية » (٦٠) .

الا ان الاستاذ الدوري يعترف بأن اليد الشعوبية قد لعبت بالروايات التاريخية فبالغت في أدوار أشخاص وقللت من أدوار آخرين . وان هذه الروايات نفسها « تمجد دور الموالي في الدعوة العباسية ، وترفع أبا مسلم الخراساني ورهطه إلى الذروة وتسدل الستار على بني أمية غير مأسوف عليهم » (٦١) ومع ذلك فهو يرى فكرة الأمة واضحة « في قصيدة نصر بن سيار التي ناشد

فيها القبائل العربية بخراسان لتقف في وجه ثورة الاعاجم مع أبي مسلم وحذرهم من الفرقة وذكرهم بأن دين الثوار أن تُقتل العرب [٦٢] » وينظر إلى الثورة العباسية على انها بصورة لا تقبل الشك ثورة فارسية ضد العرب فيقول :

« لقد وجدت الدعوة العباسية تأييداً أكيداً من العجم وبينهم الموالي ولعل النظر إلى وجهتها وإلى الجماعات التي استجابت لها يكشف إلى حد كبير عن الدوافع التي كانت وراء ذلك .

ان جل المنضمين إلى الدعوة العباسية كانوا من العامة وهناك مجموعة من الأشراف الفرس أيدتها خاصة في منطقة خراسان وبينهم الدهاقين نبلاء القرى والمناطق وقد عهد اليهم العرب بجباية الضرائب ... ولذا كانت لهم امتيازات اجتماعية واقتصادية . وقد خسر الدهاقين امتيازاتهم نتيجة التنظيمات المالية التي وضعها نصر بن سيار .. .. فانقلب الدهاقين في السنين الأخيرة على الامويين وانضم كثير منهم إلى الدعوة العباسية .

واستجاب البعض للدعوة العباسية لما رأوا النبرة الفارسية القومية عند بعض الدعاة ولا شك فان هؤلاء حاولوا إثارة الوعي القومي لدى الفرس كما فعل قحطبة الطائي الذي ذكر الخراسانيين بماضيهم [٦٣] » . وفي رأينا فان اثارة قحطبة الطائي العربي للمشاعر القومية الايرانية رواية مشكوك في صحتها وعلينا أن ننتبه لوجود أمثال هذه الروايات في مصادرنا . وهذه الرواية تجلب الانتباه لا لكونها مألوفة وانما لكونها غريبة عن المألوف وشاذة عن تطور منطق الحوادث .

الا ان مقالة الاستاذ الدوري « ضوء جديد على الثورة العباسية » [٦٤] قد عدلت من بعض آرائه السالفة عن الدعوة ووضحت وجهة نظره بصورة أكثر . فهو يرى بأن أصل الشيعة العباسية يرجع إلى الكيسانية والهاشمية وهذا يعني بأن جذور الدعوة الاجتماعية والفكرية تتصل بالغلو . ثم يتطرق إلى تطور الدعوة في عهد محمد علي العباسي ويذكر الاتباع المهمين أمثال سلمة بن بجير وبكير بن ماهان وأبي عكرمة السراج وأبي سلمة الخلال . ثم يذكر

تعيين خداش سنة ١١٨هـ داعياً أول فقال بحركة جديدة بتفاهمه مع الخرمية الذين هم استمرار للمزدكية بثوب اسلامي فتبرأ الامام منه [٦٥] . الا ان الاستاذ الدوري يرى بأن أغلب الانصار كانوا من الموالي خاصة من منطقة مرو . ثم يتطرق إلى أدوار الدعوة السرية والعلنية وإلى وصية ابراهيم الامام لأبي مسلم الخراساني التي يرى بأنها موضوعة . واما عن الاتباع فهو يقول :

« ويلاحظ أخيراً ان دعامة القوات العباسية في خراسان بقيت إلى الأخير من الهاشمية الكفية . وكان أنصار الدعوة في الكوفة من الموالي . أما في خراسان فكان جمهور الاتباع من الاعاجم دون التقيد بالموالي . ولعل كثيراً من اليمانية وبعضاً من ربيعة وقلة من مضر اشتركوا ولكن عامة العرب في خراسان لم يتحمسوا للدعوة العباسية . » ثم يستطرد قائلاً :

« ويتمثل الازدواج في تنظيم الدعوة فالامامة عربية ورئاسة الدعوة ايرانية ومجلس الدعاة خليط من الاثنين ولكن التأييد الواسع والقوات المحاربة كانت من الاعاجم وعلى التخصيص من مجموعتين الاولى من الغلاة عامة والهاشمية خاصة والثانية من الخرمية وهي حركة اجتماعية ايرانية قديمة . اما الارستقراطية الايرانية فانما انضمت إلى الدعوة بعد الاصلاحات المالية لنصر بن سيار لأنها فقدت امتيازاتها ولأنها كانت ذات وعي ايراني واضح . ولم يكن دورها مهماً خلال الدعوة » .

وهكذا فقد أصر الاستاذ الدوري على القول بأن القوة المحاربة في الثورة كانت أعجمية وان صبغتها غالية وخرمية . الا اننا نعتقد بأن الدعاة في فترة التحضير للثورة رفعوا شعارات عديدة ونادوا بواجهات متباينة لجلب أكبر عدد ممكن من الأنصار والمؤيدين ضد السلطة الاموية على أن هذا لا يخفي حقيقة كون القوة الضاربة في الثورة كانت تتكون من القبائل العربية وشيوخها يساندهم الموالي والاعاجم الذين لم يكونوا يتملكون قوة عسكرية حقيقية وكان هؤلاء الاعاجم من المعسكرين العباسي والأموي . ونحن نتفق مع الاستاذ الدوري في كون الدعوة العباسية ذات واجهات عديدة سياسية ودينية

(اسلامية . غالية . وخرمية) . فكان الدعاة يظهرون لكل جماعة الاراء التي تستهويها تلك الجماعة الا ان الواجهة التي بدأت تطغى على غيرها بتقادم عهد الدعوة العباسية هي الواجهة الإسلامية فما أن سيطر العباسيون على السلطة حتّى تخلصوا من الكيسانية والهاشمية والراوندية والخرمية وما اليها .

وكتب الدكتور عبد الجبار الجومرد (٦٦) عن « هارون الرشيد » و « أبو جعفر المنصور » وقدم في هذين الكتابين عن الدعوة العباسية ويرى بأن أبا هاشم عَهَدَ إلى محمد العباسي بسبب صغر أحفاد علي بن أبي طالب ولا يشير إلى المنافسة وعدم الوئام بين الفرع الفاطمي والحنفي من العلويين . ويروي بأن محمد بن علي العباسي قتل من قبل الامويين ولا تذكر المصادر التاريخية المعروفة ذلك . ويظهر أن الدكتور الجومرد كان ناقماً أشد النقمة على « الشعوبية » حين كتب في التاريخ العباسي فنظر إلى مظاهر ذلك العصر بمنظار جدي وبرز الصراع الاموي العباسي على أنه صراع عربي فارسي بصورة لا تقبل الشك . ولهذا بالغ في تصويره الثورة ونتائجها . وليس هناك من جديد في بحث الاستاذ شاكر مصطفى (٦٧) عن الدعوة العباسية . واذا كان المؤلف قد قدم شيئاً فانه قدم منهجاً جديداً فلم يدرس تاريخ العباسيين على أساس الخلفاء بل درس المظاهر والاتجاهات بصورة أفقية وما عدا ذلك فهو يعتمد على المعلومات التي أوردها الدكتور الدوري وقبله المستشرق فان فلوتن عن الثورة العباسية . الا ان الاستاذ شاكر يذكر تفسيرات معينة دون الاشارة إلى المصادر التي اعتمد عليها فمثلا يفسر ان اسم خداش مأخوذ من خداه « إله » لا من الخدش . وان اسم الكفية مأخوذ من أنهم كانوا يكتفون من الرزق بكف من الحنطة أو أنهم لا يأخذون مالاً ويقدمون مالهم يبتغون الخير مقابل الكف .

ويستعرض الدكتور محمد حلمي محمد أحمد في مقدمة كتابه (٦٨) الثورة العباسية ويرى بأن العباسيين ظلوا مسالمين معاصرين للأمويين حتّى أوصى أبو هاشم لعلي بن عبد الله العباسي وبهذا انتقل ولاء أنصاره إلى الفرع العباسي

الذي بدأ منذئذ جهوداً منظمة للثورة.ويخطيء الدكتور محمد حلمي حين يرى بأن النقباء لم يكونوا يعرفون لأي بيت من بني هاشم يدعون ، كما وانه يفسر اصطلاح « أهل خراسان » على أنه يعني الفرس فقط . وهو يعترف بأهمية وخطورة العنصر العربي في تلك الفترة الا انه يقول بأن العباسيين أشاعوا بينه الفرقة والتنازع فأضعفوه ذلك لأنهم « اعتمدوا فعلاً على العنصر الفارسي في الدعوة لحركتهم وفي اقامة دولتهم رغم اشتراك العنصر العربي إلى حد ما في الدعاية وفي الجيش الزاحف ... ولكن لا يسعنا الا ان نفرق في المعسكر الفارسي بين العامة والخاصة فالشعب في مجموعه استجاب للدعوة للرضا من آل محمد لعلهم بذلك يعيدون الحق الالهي لأصحابه وهم بذلك أيضاً يعملون على تحسين مستواهم الاجتماعي ولتحقيق مبدأ المساواة الذي دخلوا الاسلام مطمئنين إلى تحقيقه وان كان الامويون لم يلتزموا بتطبيقه . أما الزعماء فقد تستروا وراء العلويين وعرضوا خدماتهم على العباسيين قبل اقامة دولتهم هادفين إلى أن يعود أمر بلادهم اليهم وإلى أن يكبحوا جماح العنجهية العربية المسيطرة عليهم » .

أما ما أورده الاستاذان الاشقر [٦٩] ورستم[٧٠] عن الثورة العباسية فهو لا يتعدى المعلومات الموجزة التي لا تشعر بأهمية الموضوع وليس فيها فذلكة تاريخية أو منهاج مبتكر .

وقد لاحظت الاستاذة سميرة الليثي [٧١] في رسالتها للماجستير ان معظم الدعاة العباسيين ينتمون إلى قبائل عربية . الا ان الاطروحة تغافلت عن حقيقة كون الثورة العباسية ذات واجهات عديدة وشعارات متنوعة رفعها الدعاة لكي يكسبوا كل الكتل المتذمرة من الامويين متظاهرين بالمبادىء التي تستسيغها تلك الفئة أو هذه الكتلة . وهذا تكتيك ناجح وحركة بارعة أوصلت الدعوة إلى النجاح المنشود .

ولم تميز الاطروحة بين الروايات فقبلت روايات معينة صيغت لأسباب دعائية ولم تلتفت إلى عنصر المراوغة والتمويه الذي استخدمه الدعاة أمثال

قحطبة الطائي وأبي مسلم ، فذهبت المؤلفة تكيل التهم للدعاة فاعتبرت أبا مسلم رأس الزندقة والشعوبية وبهذا حذت حذو كتاب الفرق المسلمين الذين اتهموا أبا مسلم بالتطرف والانحراف عن الدين لا لسبب الا لاتخاذ الثورات الفارسية المتطرفة التي قامت في العصر العباسي الأول شعار الثأر لأبي مسلم رمزاً لثوراتها وكذلك اعتباره بطلاً فارسياً . على اننا نتساءل عن مدى ارتباط أبي مسلم الشخصي بهذه الثورات التي حدثت بعد وفاته؟خاصة وان ذكرى أبي مسلم بقيت حية في ايران وتركيا وحتى بين بعض العرب .

ومما يؤخذ على الاطروحة أيضاً مبالغاتها في القول بأن « الدولة العباسية غذت تيارات الشعوبية والزندقة » او ان « الدعوة العباسية تبعث القومية الفارسية ». فلقد قاوم الخلفاء العباسيون تيار الزندقة والشعوبية وغذوا النزعة العربية وبنوا بغداد ليسيطروا على اضطرابات الجناح الشرقي لدولتهم . على ان الثورة العباسية كأي ثورة شحذت الآمال ونبهت الشعوب المختلفة في الدولة الاسلامية واذكت فيها روح التطلع إلى مستقبل أحسن فكانت تلك الحركات الفارسية وغيرها .

هذا وستتطرق خلال بحثنا لطبيعة الثورة العباسية إلى مناقشة مصادر حديثة أخرى عالجت موضوع الثورة العباسية مثل ما كتبه المستشرق دنيت والدكتور محمد عبد الرحيم شعبان والدكتور فاروق عمر وعيرهم .

المقالات والبحوث

ظهرت بحوث كثيرة في أمهات المجلات التاريخية عن الثورة العباسية الا اننا سنحاول هنا استعراض المهم منها .

أشرنا في مناسبة سابقة الى أن البروفسور هاملتون كب والبروفسور برنارد لويس كانا من أوائل المستشرقين الذين أكدوا على أهمية العنصر العربي في الثورة العباسية إلا أن ما كتباه في هذا الخصوص لم يكن إلا إشارات عابرة

في بحوث ليس لها علاقة مباشرة بالثورة العباسية (٧٢) .

وكان من أوائل من كتب مقالة في الخلافة العباسيةهو المستشرق كاترمير(٧٣) Quatremère بعنوان « مذكرة تاريخية فيالخلافة العباسية » وقد استعرض هذا المستشرق تطور المعارضة الهاشمية للأمويين التي كان يعوزهـا التماسك والانسجام مع قلة في كفاءة زعمائها في الفترة الأموية . ثم يتطرق الى ادعاء العباسيين بالخلافة ويرى بأن استنادهم الى كون العباس عم الرسول (ص) لم يكن ليوصلهم الى السلطة لولا براعتهم السياسية والاساليب الماكرة التي استخدموها . ويتكلم كاترمير بالتفصيل عن كل شخصية عباسية مبتدئاًبالعباس ابن عبد المطلب . وهو لا يعطي رأياً قاطعاً فيما يتعلق بوصية أبي هاشم لمحمد العباسي ويرى بأن الوصية حدثت في ظروف خاصة ومن وراء الستار وان العباسيين هم الذين ادعوا ان أبا هاشم أوصى لهم . ومهما يكن من أمر فهو يظهر رأيه في الوصية بصراحة فيقول :

« إن أبا هاشم ورث عن أبيه اللقب فقط الذي لا تدعمه حقيقة واقعةبل آمال خيالية . وأن هذا الرجل (ابو هاشم) ... قد شعر بأنه سوف لا ينجح ابداً بالسيطرة على الحكم ولذلك فقد وافق ... بدون تردد كبير على التنازل عن لقب لم يكن فيه لديه أية فائدة أو امتياز . ولهذا فحتى لو افترضنا بأنه تنازل حقيقة عن حقوقه للعباسيين فان هذا التنازل كان في الحقيقةعملا اعتباطياً لم يعط حقاً لأحد ولم يسلب حقاً من أحد (لم يقدم أو يؤخرشيئاً) . وان العباسيين لم يكن بامكانهم الاستناد على ادعاء واه كهذا » . ويستمر كاترمير مستعرضاً الحوادث السياسية للثورة ودور أبي مسلموالنقباء في خراسان حتى سنة ١٢٤ هـ حين توفي محمد العباسي تاركاً وراءه ابراهيم الامام لرئاسة الدعوة .

وهذه المقالة هي القسم الأول من من مقالة أكبر وعد الكاتب بنشرها الا أنه على ما يظهر لم ينشرها أو انني لم أتمكن من الحصول عليها في حينه . والمقالة في الحقيقة استعراض لادعاءات العباسيين بالخلافة بمقارنة بادعاءات العلويين

أكثر من كونها مقالة في طبيعة الدعوة العباسية بالذات .

وكتب المستشرق الايطلي الاستاذ سباتاني موسكاتي مقالة مطولة عن أبي مسلم الخراساني (٧٤): تناول في المقالة الاولى « ابو مسلم والعباسيين » ،سفرة ابي مسلم الى خراسان ، قوة نفوذ أبي مسلم ، ثورة زياد بن صالح في ترانسكوينا . وفي المقالة الثانية:أصل الدعوة العباسية وسياسة أبي مسلم الدينية وفيها يتطرق الى أصل أبي مسلم ثم سيطرته على خراسان وقمعه الثورات التي قامت بعد تأسيس الدولة العباسية مثل ثورة بخارى والراوندية ثم يتطرق الى موقف أبي مسلم من سليمان الخزاعي وأبي سلمة الخلال وينهي المقالة بخاتمة يناقش فيها رسالة أبي مسلم المشهورة التي وجهها الى المنصور .

أما في المقالة الثالثة : فيستعرض المستشرق التطورات التي أدت الى نهاية أبي مسلم ويبدأ من رحلة أبي مسلم الى البلاط العباسي في الهاشمية ثم الى الحج ثم قيادته للجيش العباسي ضد الثائر عبد الله بن علي ثم محاولته العودة الى خراسان ووقوعه في الفخ الذي نصبه له المنصور ويعدد الاتهامات التي وجهها اليه الخليفة ثم قتله .

والمقالة احسن دراسة موضوعية عن دور أبي مسلم الخراساني في الثورة العباسية ثم التطورات التي أعقبت الثورة وأدت الى النهاية الحتمية للخراساني كشخصية ذات نفوذ قوي متزايد في الدولة الجديدة ..

وكتب المستشرق موسكتي نفسه مقالة أخرى عن « وصية أبي هاشم » (٧٥) استعرض فيها بالتفصيل الفعاليات السرية العلوية والعباسية مستفيداً من نصوص تاريخية وروايات كتب الفرق ومستنيراً بآراء من كتب قبله من المستشرقين أمثال فان فلوتن وولهاوزن ودي خويه وزترستن . ويعتقد موسكتي بصدق الوصية وبأهميتها التاريخية حيث نقلت ولاء الفرقة الهاشمية الى العباسيين فقوت من عزيمتهم على العمل من أجل اسقاط الامويين .

وعالج المستشرق الاستاذ ريتشارد فري (٧٦) مقالتين عن الثورة العباسية وقد حاول أن ينظر الى الثورة العباسية على ضوء النظريات السياسية الحديثة في

طبيعة الثورات . وقد استفاد خاصة في مقالته عن «**دور أبي مسلم في الثورة العباسية**» من مصادر تاريخية كثيرة وخاصة المصادر الايرانية . كما وأنه استنار بآراء المستشرقين الرواد . وهو في وجهة نظره يؤيد النظرة الجديدة في الثورة التي تؤكد على أهمية العنصر العربي ودوره الفعال على وجوب اعادة تقييم الروايات التاريخية القديمة والاستفادة من المصادر التي برزت حديثاً الى حيز الوجود . وان ما جاء به من آراء بهذا الخصوص يوافق الى حد كبير ما أورده المستشرق دنيت في أطروحته «**مروان بن محمد**» (٧٧) .

ويعتمد المستشرق الاستاذ مونتكمري وات في مقالته «**اعادة تقييم الشيعة العباسية**» على كتب الفرق بالدرجة الأولى وخاصة كتاب **فرق الشيعة** للنوبختي (٧٨) . والكاتب يثير نقاطاً مهمة حول كتب الفرق ومعالجتهاللمشاكل السياسية ووجهات نظر الفرق المختلفة حولها. كما وأنه يستعرض تطور الفرق العلوية من حسينية وحسنية وزيدية وتفرعاتهم حتى نهاية العصر العباسي الأول. وقد عالج نفس الموضوع المستشرق هودسون في مقالته «**كيف أصبحت حركة الشيعة الأوائل طائفة مذهبية (فرقة)**» وتتميز المقالة الأخيرة بعمقها وباستفادتها من مصادر تاريخية وفرقية .

وبحث المستشرق سا رجنت (٧٩) عن «**الحرم والحوطة : من الأماكن المقدسة في الجزيرة العربية**» وفيها يبحث في الأصول التاريخية لقدسية العوائل المسؤولة عن الاماكن المقدسة في الجزيرة العربية ومنها ندرك بأن علو منزلة بني هاشم وسمو شأنهم بين الناس لم يكن بسبب كون الرسول (ص) من بني هاشم فحسب بل ان لذلك جذوراً ترجع الى فترة الجاهلية وقد عززها الاسلام وزاد من شأنها فتقبل الناس زعامة الرسول (ص) ثم أخذوا ينظرون الى بني هاشم عموماً فكأنهم ورثة الرسول (ص) في حكم الجماعة الاسلامية . كما وأن تقلد العباس عم الرسول (ص) لبعض مسؤوليات الحرم المكي كالسقاية والرفادة واقرار الرسول (ص) لهذه الامتيازات في ايديه جعل له منزلة كبيرة من بين بني هاشم في الناس عامة .

وبحث المستشرق الفرنسي كلود كاهين (٨٠) في مقالة مفصلة عن الثورة العباسية « وجهات نظر عن الثورة العباسية » ... وفيها يبتدىء بشرح الأزمة السياسية الاجتماعية في آخر عهد الامويين ثم يتطرق إلى معنى أهل البيت عامة وما كان يفهمه الناس من هذا الاصطلاح ويشكو كاهين من غموض المصادر التي لا تجيب بوضوح على استشارات وأسئلة الباحث .

ثم يستعرض تطور مشكلة الخلافة بعد موت الرسول وانقسام المسلمين الى فرق مختلفة لكل منها وجهة نظر معينة حول الخلافة أو الامامة مستنداً على الفترات السياسية (الراشدة والاموية) التي مر بها تاريخ الدولة الاسلامية . ويفصل في الثورات التي قادها العلويون وأنصارهم ضد الأمويين وخاصة ثورة المختار الثقفي . ويؤكد على أهمية محمد بن الحنفية وأثره في تطور المعارضة العلوية وفي ظهور فكرة المهدي . ويقارن بين محمد بن الحنفية وابنه عبد الله ابي هاشم من جهة وبين غيره من العلويين الفاطميين من جهة أخرى فيرى بأن الفاطميين كانوا مغمورين سياسياً وان ذكرهم قليل في كتب التاريخ والادب في أواخر العهد الاموي وفي الفترة العباسية.

ثم يتكلم عن نشوء الفرقة الكيسانية وتطورها الى هاشمية ويستعرض الفرق الغالية الأخرى التي نشأت في هذا العهد . ثم يتطرق الى وصية أبي هاشم الى محمد بن علي العباسي ويرى بأن أهميتها قليلة والمهم هو أن أتباع أبي هاشم قد نقلوا دون شك ولاءهم الى محمد العباسي بعد وفاة أبي هاشم .

وينتقل البروفسور كاهين بعد ذلك الى ادعاءات العباسيين بالخلافةفيستعرض حياة العباس وابنه عبد الله ثم حفيده علي ويرى بأن انقسام العلويين هو الذي ساعد القضية العباسية على البروز .

وحين يتكلم عن الدعوة العباسية يفصل في العوامل التي هيأت خراسان لأن تكون مركزاً خصباً للدعوة . ويحاول البروفسور كاهين الاجابة على السؤال : ما هي عقيدة الدعوة العباسية ؟ فيستعرض أولا تفسير المستشرق ينبرك بأن الاعتزال هو عقيدة الحركة العباسية السياسية ويدحضه ثم يشرح ثانياً تفسير

البروفسور برنارد لويس وهو أن الغلو (الراوندية) كان أساس الحركة العباسية ولا يوافق عليه بل ينتهي الى القول بأن الثورة العباسية تمثل الرغبة العميقة للعودة الى الاسلام غير المرتبط بسيطرة عنصر واحد هذا على الرغم من وجود واجهات أخرى لها إلا أن تلك الواجهات ثانوية بالنسبة للشعار الرئيسي خاصة — ويستطرد البروفسور كاهين — وانه ليس هناك شيء يؤكد بأن الحركة اعدت باسم غير اسم الاسلام .

ويظهر البروفسور كاهين بأن الاعداء والمعارضين هم الذين اتهموا الدعوة بميول غير عربية وبآراء غير اسلامية وربما دخلت آراء غير اسلامية في فترة متأخرة وخاصة بعد وفاة أبي مسلم الخراساني ولكن العباسيين لم يشتركوا في تشجيعها .

وحين يتكلم كلود كاهين عن مشكلة البحث عن عقيدة للدولة الجديدة تعترضه فرقة الراوندية ومبادئهم وهو يرى بأن الراوندية ولدت في خراسان تحت رعاية أبي مسلم إلا أننا لا نعرف مدى تشجيعه لهم ولماذا سحق ثورتهم في خراسان بعد تأسيس الدولة . ولكن اعتقاد الراوندية بشرعية الحق العباسي في الحكم هو الذي أدى بالمنصور الى التهاون معهم أول الأمر . وهو يعتقد بأن عدم إدخال مبدأ الغلو والرجعة والتناسخ في العقيدة العباسية هو الذي جذب المسلمين اليهم أكثر من انجذابهم نحو العلويين .

وينهي البروفسور كاهين مقالته بملاحظات قصيرة عن مؤامرة الخلال ضد أبي العباس ثم عن الحالة بعد مجيء المنصور ومواجهته للاخطار الثلاثة عبد الله بن علي وأبي مسلم والعلويين . ثم ولاية العهد للمهدي وما جاء به من دعوة جديدة تقضي بأن حق العباسيين في الخلافة يستند على ان العباس عم الرسول (ص) ووارثه ويتناسى وصية أبي هاشم لمحمد العباسي .

وتمتاز مقالة البروفسور كاهين بعمق المعلومات وبذكاء الملاحظات التي أدركها . الا أن مواضيعها متشابكة واسلوبها غامض ولا شك فإن غموض الثورة نفسها وتعدد واجهاتها له أثره الكبير على عرض الافكار وأسلوبها .

وبحث مؤرخون عرب الثورة العباسية ومقدماتها فكتب الدكتور عبدالعزيز الدوري « **ضوء جديد على الثورة العباسية** » و « **نظام الضرائب في خراسان في صدر الاسلام** » . وفي المقالة الأخيرة يعدل الاستاذ الدوري عن رأيه السابق الذي يؤكد على سوء أحوال الموالي الاقتصادية والاجتماعية فيقول « اننا لا نسمع بشكاوى الا من تصرف الدهاقين في فرض الجزية ، وان هذه كانت محدودة . لذا فلا نرى أساساً لفرضية فلوتن أو غيره في أن الدعوة العباسية نجحت نتيجة ثقل الضرائب بل كان لنجاحها أسباب أهم وأخطر . »(٨١) وكتب الدكتور صالح أحمد العلي عن « **استيطان العرب في خراسان** »(٨٢) مؤكداً على قرى خراسان . وكتب الدكتور صدقي حمدي « **بحث في الثورة العباسية** »(٨٣) . أما الدكتور فاروق عمر(٨٤) فكتب مقالة عن « **ابراهيم الامام** » في دائرة المعارف الإسلامية ومقالا آخر عن « **العناصر المؤيدة للعباسيين الاوائل** » . ويؤكد الدكتور فاروق عمر على أهمية العرب ودورهم الفعال في الثورة العباسية وخطأ الرأي القائل بأن العصر العباسي الأول كان عصر النفوذ الفارسي .



حواشي الفصل الخامس

(١) ابن النديم ، **الفهرست** ، ليبزغ ، ١٨٧١ — ١٨٧٢ ، ج١ ، ص ٨٩ فما بعد ؛ انظر كذلك حاجي خليفة **كشف الظنون** ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٢) الدوري ، ضوء جديد على الدعوة العباسية ، **مجلة كلية الآداب** « بغداد » ، ١٩٥٧ ص ٦٥ .

(٣) أنظر : حاجي خليفة ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٨٣ . —الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ج ١ ، ص ٥١ .

(٤) الدكتور فاروق عمر ، مقالة ابن النطاح في **دائرة المعارف الإسلامية** ، الطبعة الجديدة (بالإنجليزية) .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٢٤ « طبعة القاهرة » .— يوسف العش . **فهرست المكتبة الظاهرية** ، ١٩٤٧ ص ١٩٩ .

(٦) فاروق عمر ، مقالة تاريخ خليفة بن خياط ، **مجلة الأقلام** ، ١٩٦٧ . — . idem تاريخ خليفة بن خياط « تقريض وتعليق » ، مجلة المكتبة ، ٦٤ ، ١٩٦٨ .

(٧) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي « بالألمانية » ، ج ١ ص ١٤٨ .— **دائرة المعارف الإسلامية** ، الطبعة الأولى مادة « طبري » .

(٨) فاروق عمر — **الخلافة العباسية** ١٣٢ — ٧٥٠ — ١٧٠ : ٧٨٦ ، أطروحة الدكتوراه « جامعة لندن » ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦ . (بالإنجليزية) .

(٩) Ibid ص ٢٨ . — أنظر كذلك المقدمة في طبعة القدس لكتاب أنساب الأشراف ١٩٣٦

(١٠) الدينوري ، **الأخبار الطوال** ، ليدن ١٨٨٨ ، ص ٣٥٨ .

(١١) فاروق عمر ، **الخلافة العباسية** ، ص ٢٩ — ٣٠ — . **دائرة المعارف الإسلامية** ، الطبعة الأولى مادة « يعقوبي »

(١٢) يقول اليعقوبي :

« فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه ويعملون على قدر ما يرون منه ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله » . أنظر طبعة طهران ١٣٢٣ .

(١٣) بروكلمان ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٠ – الجزء الإضافي الأول ، ص ٢٢٠ الترجمة الفارسية طبعت في بومباي سنة ١٣٠٠ هـ .

(١٤) شعبان ، الجذور الاجتماعية والسياسية . . (بالإنكليزية) ، أطروحة الدكتوراه ، هارفرد ١٩٦٠ ص٨ – ١٣ – أنظر كذلك مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني عشر ١٩٦١

(١٥) فاروق عمر ، المصدر السابق، ص ٣٢ فما بعد .

(١٦) انظر : Sourdel, Le vizirat, P P . 8 f ,

(١٧) قارن روايات الطبري بروايات العيون والحدائق F. H. A. ، ١ . ليدن١٨٦٩ عن حوادث الثورة .

(١٨) انظر : دائرة المعارف الإسلامية (١) . مادة « مسعودي ». – فاروق عمر ، المصدر السابق ، ٣٥ – ٣٦ .

(١٩) نسب هذا الكتاب إلى ابن القوطية الأندلسي . أنظر .. G. Lecomte, Ibn Qutoyba P P. 174 H .

(٢٠) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) الجزء الأول الإضافي ص ٢٥٧ . – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، ص ٣٠٦ فما بعد .

(٢١) فاروق عمر ، المصدر السابق ، ص ٣٨ فما بعد . – idem نقد وتعريف . . . ، مجلة المكتبة ، ٦٤ ، ١٩٦٨ .

(٢٢) الأزدي ، مخطوط تاريخ الموصل ، ص ٢٢٤ .

(٢٣) يقول المؤلف بأن غرضه من تأليف الكتاب هو :

« نحن نعمل على أن نروي كل شيء وننقل ذكرياته إلى هؤلاء الذين سيأتون بعدنا إلى هذا العالم ، وذلك من أجل أن يذكروا الحمل الثقيل الذي عاش تحت وطأته أجدادهم ، وليحذروا من الوقوع في الاضطهاد أنفسهم » ص ١١٦ .

(٢٤) إن مصطلح (العلماء) يعني هنا رجال العلم والمعرفة وليس رجال الدين أو الفقهاء . والظاهر أن اصطلاح العلماء بمعنى رجال الدين والفقة والشريعة شاع استعماله بعد هذه الفترة بقليل لا في عصر ابن المقفع .

(٢٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ (طبعة القاهرة ١٩٤٩)

(٢٦) أنظر : أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني القاهرة ١٩٥٣ — كرونباوم — شعراء عباسيون ، (مترجم) — عبد الحسيب طه حميده — أدب الشيعة ، بغداد ١٩٦٨ — حسن ابراهيم حسن — تاريخ الإسلام السياسي والديني ، ج ٢ ، ص ١٤٢ فما بعد. — صفاء خلوصي ، الشيعة وأثرها في الأدب العربي ، أطروحة للدكتوراه ، لندن ، ١٩٤٧ . زكي ، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دمشق ١٩٦١ — محمد نبيه حجاب ، مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ، القاهرة ١٩٦١ .

(٢٧) Severus Ibn al-Mugaffa' — History of the Coptic...

(٢٨) أنظر مجلة المشرق ، ١٩٢٣ عن المحاورة بين طيموثوس والخليفة المهدي .

(٢٩) Michael the Syrian, *chroniqur*, Paris, 1904' Bar-Hebraeus, d. 681 — 1286 Mukh *tasar tprikh al-kuwal*, Beirut, 1890.

أنظر كذلك مقالة البروفسور Segal في Historiaas of the Middle East) نشر بإشراف البروفسور برنارد لويس والبروفسور هولت في لندن ١٩٦٢ .

(٣٠) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٢٠ ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، ليدن ١٩٢٧ ، ص ٢٦٤

(٣١) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ص ٢٩٣ . — ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ، ٤١٢ .

(٣٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٧٤ .

(٣٣) اليعقوبي ، OP , cit ، ٢٧٩ .

(٣٤) اليعقوبي OP , cit ، ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(٣٥) R· Guest, a Coin of Abu Muslim, J.R.A.S. 1932, P. 554.

(٣٦) Lane poole, Catalogue.., vol, 1, p. 43

(٣٧) اليعقوبي البلدان، ص ١٠٠ فما بعد . — ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٤٣٤ .

(٣٨) الجامعة الأميركية في بيروت ، ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الأخيرة بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٤٧

(٣٩) الدوري ، مقالته في كتاب تفسير التاريخ ، بغداد ، ١٩٦٠ .

(٤٠) Weil, Geschichte der chalifen, Mannheim 1866

(٤١) Van Vloten, *De Opkomst der Abbasiden in chorasan*, *leyden* 1890, idem, *Recherches sur la Domination Arab* *Amsterdam*, 1894.

(ترجم إلى العربية بواسطة الدكتور حسن ابراهيم)

(٤٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات (مترجم) Van Vloten, *Rrcherches* ...
القاهرة ١٩٣٤ ص ١ — ٣

(٤٣) Welhausen, *The Arab Kindom and its fall*, Calcutta, 1922
مترحم إلى العربية بعنوان الدولة العربية وسقوطها ، عبد الهادي أبو ريدة ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٥٢٨ .

(٤٤) ولها وزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ٣٨٠ .

(٤٥) Noldeke, *Sketches pom eastern History*, London, 1892

(٤٦) Muir, *The Caliphate, its Rise, Decline and fall*. Edinburgh, 1924.

(٤٧) Arnold, *The Caliphate*, Oxford, 1941.

Barthold, *Turkestan down to the Mongol Invasion*, London, 1923.

(٤٩) Spuler, *Iran in froh — Islamischer Zeit*, Wiesbaden, 1952, p. 45.

(٥٠) Ppuler, *op.cit*, p. 46.

(٥١) أنظر فهرست الكتب الحديثة في آخر الكتاب .

(٥٢) يأنظر على سبيل المثال لا الحصر : حسن ، أبو مسلم الخراساني ، القاهرة ١٩٥٨ — يوسفي أبو مسلم سردار خراسان ، طهران ١٩٦٤ — أحمد فريد رفاعي عصر المأمون — زيدان ، أبو مسلم الخراساني ١٩٣٣ . — حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، القاهرة ١٩٤٨ — أحمد شلبي ، في قصور الخلفاء العباسيين ، القاهرة ١٩٥٤ .

(٥٣) الخضري ، الدولة العباسية ، القاهرة ١٩١٦ .

(٥٤) Hitti, *Histbry of the Arabs*, London, 1953.

(٥٥) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ .

(٥٦) أحمد شلبي ، التاريخ الإسلامي . . ج ٣ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٦ .

(٥٧) أنظر فهرست المراجع الحديثة .

(٥٨) الدوري ، العصر العباسي الأول ، بغداد ، ١٩٤٥ ، ص ٥ — ٧ .

(٥٩) الدوري ، *bp. cit.* ، ص ١٥ — ١٦ .

(٦٠) الدوري ، مقدمته لكتاب أصول الإسماعيلية « المترجم » ، ص ١ .

(٦١) الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، ص ١٦ .

(٦٢) الدوري ، الجذور التاريخية القومية العربية ، ص ٣١ — ٣٢ .

(٦٣) الدوري ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٦٤) الدوري ، ضوء جديد . . مجلة كلية الآداب ، ١٩٦١ .

(٦٥) الدوري ، مقالته في كتاب ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الأخيرة ص ٦٣ — ٦٩ .

(٦٦) الجومرد ، هارون الرشيد ، بيروت ١٩٥٩ — أبو جعفر المنصور ، بيروت ١٩٦٣ .

(٦٧) مصطفى ، في التاريخ العباسي ، دمشق ، ١٩٥٧ .

(٦٨) أحمد ، الخلافة والدولة في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٩ — ٣٧ .

(٦٩) الأشقر ، السفاح والمنصور ، بيروت ١٩٦٠ .

(٧٠) رستم ، أبو جعفر المنصور ، القاهرة ١٩٦٥

(٧١) الليثي ، الزندقة والشعوبية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٨ فما بعد .

(٧٢) B. lewis, Some observations..., *S.I.*, vol. 1, 1953. — Idem, *E.I.* (2), ʿAbbāsids, — Idem, government, Society..., *C.M.H.* new. ed.1966. — H. Gibb, government and Islam ·., *Elaboration dl'Islam*, VIII, 1961 - 1962. — The Caliphate..., *History of the Crusades*, vol· 1, 1958.

(٧٣) Quatremere, Avénemt des ʿAbhāsides.., *N J.D.* XVI, 1835, pp. 323,324-325.

(٧٤) Moscati, studi su Abu Muslim, *R.L.*, III, IV, V, 1949, 1950.

(٧٥) Idem, Il Testament di Abū Hashim, *R S.O.* 1952. pp. 28 ff.

(٧٦) Irye, The role of Abu Muslim, *M.W.* 1947.-
Fdem, The ʿAbbāsid Conspiracy, *Indo-Irauica*, 1952-53.

(٧٧) Dennett, *Mprwan b. Muhaumad*, ph. D. Thesis, Harvard, 1950·

(٧٨) Watt, The reappraisal of ʿAbbāsid .shi'inun in *Arabic and islamic Studies.. Brill*,1965.

(٧٩) Serjeant, Haraw and Hawtah., *Melanges Taha Husayn*, Cairo, 1963.

(٨٠) C. Cahen, points du vue sur la «Révolution ʿAbbāside». *R.H.*, 1963.

(٨١) الدوري ، نظام الضرائب في خراسان ، مجلة كلية الآداب ، ١٩٦٤ ، ص ٨٧ .

(٨٢) العلي ، استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الآداب ، ١٩٥٩ .

(٨٣) حمدي ، الثورة العباسية ، مجلة المعلم الجديد ، ١٩٦١

(٨٤) F. Omar, The Composition of the early ʿAbbāsid support, *B.C.A.* 1967, — idem, *E.I.* (2), Ibrāhīm al-Imām.

الفصل الثاني

تفاسير الثورة العباسية

« ان نقطة الجدل في اطروحتنا هذه هي ان سقوط الامويين لم يكن نتيجة ثورة في خراسان بل نتيجة ثورة في سوريا . »

الدكتور دانيال دينت — مروان بن محمد — ص ٢٧٦

« ان الروايات التي تظهر حماس الايرانيين لابي مسلم الخراساني صحيحة فقط في الفترة التي تلت نجاحه . فليس هناك اي دليل في رواياتنا التاريخية الموثوقة على حركة جماهيرة (ايرانية) كما يصورها بعض المؤرخين »

البروفسور هاملتون كب — فتح العرب لخراسان ، ص ٩٤

« ..ان المتذمرين من العرب المستقرين التابعين لقبائل متباينة ، الذين حرموا من العطاء والذين نظروا بعين الحسد الى اخوانهم المقاتلة من اصحاب الامتيازات ، كان هؤلاء العرب المستقرين يأملون تغيراً في الطبقة الحاكمة . ان هذا يفسر حقيقة كسب الدعوة العباسية لا لليمانيه وحلفائهم الربعيه فحسب بل وحتى المضريه الذين كانوا يشعرون بخيبة أمل »

الدكتور فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، ص ٨٥ (بالانكليزية)

أشرنا سابقاً ، في أكثر من مناسبة ، إلى أن المؤرخين المسلمين الأوائل لم يعطوا تفسيرات تاريخية واضحة للحوادث التي وقعت على مسرح التاريخ الإسلامي ، وخاصة الفتن الكبرى والثورات التي غيرت من مجرى التاريخ الإسلامي وأثرت في نهجه ، ولا هم حاولوا ، إلا في النادر ، أن ينتقدوا الحادثة أو يظهروا وجهة نظرهم فيها . هذا بالإضافة إلى أنهم يحذفون أو يهملون روايات تمس السلطان أو تؤثر على ذوي النفوذ في المجتمع . وحاول بعضهم أن يمتدح السلطان أو يبالغ في أعماله ويمجد إنجازاته على غير تقدير صحيح .

إن الباحث في موضوع الثورة العباسية بين طيات كتب الطبري وابن قتيبة والدينوري والبلاذري واليعقوبي والجهشياري وغيرهم لا يجد تفسيراً للثورة ولا نقداً لواجهاتها أو شعائرها وإنما جمعاً لروايات عن شخصيات لعبت دوراً مهماً فيها وسرداً لحوادثها البارزة وتطوراتها سنة بعد أخرى وشهراً فشهر . على أن الإمعان في قراءة بعض المصادر الأصلية يظهر لنا بأن بعض المؤرخين الرواد ومن تبعهم حاولوا نظراً لميولهم السياسية أو الدينية أن يذكروا بعض التعليقات حول طبيعة الثورة أو ينتخبوا الروايات التي تلائم وجهة نظرهم فيصبغوا الثورة بالصبغة التي يريدون لها أن تظهر بها [1] .

وهكذا فإن المؤرخين الأوائل المسلمين في محاولتهم جمع وتنسيق الروايات

التاريخية عن الثورة العباسية والعصر العباسي اندفعوا بطريقة شعورية أولاشعورية بالتأكيد على بعض المظاهر بدوافع من ميولهم العباسية أو العلوية أو الأموية أو الفارسية أو غيرها أو بسبب البيئة أو المدنية التي عاشوا فيها أو الرواة الذين اتصلوا بهم .

وهنا يأتي دور المؤرخ الحديث ليميز بين الروايات ويمحصها ويقدم الحقيقة بلا طلاء إذا أمكن تقديرها بالمناهج التاريخية العلمية . فالتاريخ الذي يقوم على أساطير لا يمكن أن يكتب له الخلود. لذلك فمن واجب المؤرخ ألا يخلق قديسين من شخصيات الثورة العباسية وإنما يعطي كل شخصية حقها بعد تمحيص الروايات التاريخية وبقدر جهده واجتهاده في فهم الحقيقة . ولقد عمل المؤرخون المحدثون من مسلمين وعرب ومستشرقين على تمحيص روايات وأخبار المؤرخين الرواد والتصرف على كنهها وقدموا تفسيراتهم المتنوعة لحوادث الثورة العباسية ويمكن تصنيفها كالآتي :

(ا) التفسير التقليدي :

لم تكن الثورة العباسية بالنسبة لغالبية الرعيل الأول من المؤرخين المسلمين أكثر من انقلاب Coup d état أدى إلى تحول في الأسرة الحاكمة فنقلتها من أموية إلى عباسية (٢) أما دوافعها ، فبالنسبة لنفس الفئة من المؤرخين ، لم تكن أكثر من الرغبة القوية عند الغالبية من المسلمين لأن يكون أهل البيت « بيت الرسول ﷺ » أو بني هاشم خلفا للدولة الإسلامية وورثة الرسول في الحكم .

(ب) التفسير العنصري (القومي)

ويفسر هذا الرأي الثورة العباسية على أنها ثورة عنصرية إيرانية Iranian nationalist Movement ضد السيادة العربية في الدولة . ويرى بأن سوء أوضاع الموالي والعجم من غير المسلمين من الناحية السياسية

والاجتماعية والاقتصادية هو الذي دفعهم إلى الانضمام إلى الثورة واحتضانها .

لقد نادى بهذا الرأي مستشرقون رواد من أمثال فان فلوتن و ولهاوزن وأيده مؤرخون عرب عديدون . إلا أننا لو رجعنا إلى أساس هذه النظرية العنصرية لاتضح لنا بأنها ترجع إلى طبيعة الظروف السائدة في أوروبا بصورة عامة وألمانيا خاصة في أواخر القرن التاسع عشر ومدى انتشار الأفكار القومية هناك في ذلك الحين . ولقد أثرت هذه الأفكار على المستشرق فان فلوتن أحد دعاة هذه النظرية فنظر إلى الأزمة في نهاية العصر الأموي على أنها أزمة بين بين الحكام العرب والسكان المحليين الإيرانيين وملخص رأيه أن هناك ثلاثة عوامل جعلت (أهل خراسان) يؤيدون دعوة « أهل البيت » ويحتضنوها وهي : (١)

١ ـ كره الشعب الإيراني المحكوم للحكام العرب الأجانب . وقد جمع فلوتن كل ما استطاع جمعه من المصادر العربية من روايات متناثرة غريبة ليدلل على التنافر بين العرب والفرس (٤) .

٢ ـ الحركة الشيعية ـ وهو يستعمل هنا اصطلاح « شيعة » مجازاً ليدلل على أنصار العلويين والواقع أن ما قام به العلويون في العهد الأموي من ثورات على الرغم من قلتها فإنها ، خاصة ذكرى كربلاء ، تركت في نفوس الناس آلاماً عميقة وجعلتهم يتعاطفون مع القضية العلوية .

٣ ـ التوقع الذي كان شائعاً بين الناس عن مجيء المنقذ المنتظر Messiah لينشر العدل ويزيل الظلم ويؤمن الاستقرار ويرجع الطمأنينة إلى النفوس القلقة .

وأضاف فان فلوتن مفسراً فقال : إن السبب الرئيسي للثورة العباسية لم يكن إلا نتيجة الأخطاء التي وقع بها الحكام العرب الذين فشلوا في تطبيق مبادىء العدالة الاجتماعية والاقتصادية على الشعوب المحكومة والتي اعتنقت الإسلام . وكان من نتيجة هذا التمييز في المعاملة انبعاث روح القومية الإيرانية كسلاح ذاتي للشعب الإيراني المضطهد .

ولقد وافق المستشرق ولهاوزن (٥) على رأي فان فلوتن و كأنه حقيقة مسلّم بها واعتقد بصحة أكثر فرضياته في كتابه « الدولة العربية وسقوطها » . ومع أنه انتبه إلى أثر القبائل العربية في خراسان إلا أنه أخطأ في تقدير الدوافع المحركة لها حيث أرجعها إلى العصبية .

والواقع فإن الخطأ الذي وقع به كلا المؤرخَين هو أنهما نظرا بمنظار ضيق إلى طبيعة الثورة الخراسانية ، ففلوتن لم يحاول تفهم وضع خراسان قبل انفجار الثورة ومثله كمثل المؤرخ الذي يؤمن بقواعد ونظريات معينة ثم يحاول أن يجمع مادته ليثبت تلك النظرية التي يؤمن بها مسبقاً . والخطأ في البداية يقود بطبيعة الحال إلى الخطأ في النهاية . أما ولهاوزن فالحق أنه أدرك أهمية القبائل العربية فخصص فصلا كاملا يبحث في قبائل العرب في خراسان منذ بداية استقرارهم إلى آخر سقوط الدولة الأموية . ولكن ولهاوزن رأى في النزعات القبلية والعصبية بين القبائل في خراسان الأساس المحرك لفعاليات شيوخ القبائل بل إنه أكثر من ذلك تتبع جذورها قبل ظهور الإسلام . ولم يُعر ولهاوزن للظروف الجديدة التي نتجت عن هجرة القبائل إلى أقاليم جديدة مثل العراق وفارس وخراسان أية أهمية . ومما لا شك فيه فإن الأحلاف الجديدة بين القبائل ، رغم تأثرها بالماضي ، كانت قد تطورت بتطور الظروف في البيئة الجديدة .

إن عدم إدراك ولهاوزن لهذا التطور الجديد في العلاقات القبلية في خراسان وتعقيداته هو الذي جعله يظهر بمظهر المؤيد لنظرية فان فلوتن أكثر من كونه معدلا لها أو مغيراً فيها . هذا ولا ننكر أنه خطا خطوة صحيحة في طريق فهم الثورة بتأكيده على أهمية القبائل ودورها .

ولقد تبنى هذا التفسير مؤرخون عرب ومسلمون من أمثال جرجي زيدان وأحمد أمين وفيليب حتي وحسن ابراهيم حسن ، وعبد العزيز الدوري ، وصديقي ويوسفي . (٧)

ولقد ظهر من بين المستشرقين من يعتقد بأن الترك الساكنين في بلاد ما وراء النهر دوراً في الثورة العباسية ضد الأمويين ، خاصة وأن الترك سبق وأن ساعدوا ثواراً كالحارث بن سريج المرجئي ضد الأمويين في خراسان . يقول المؤرخ أرمينوس فامبري مؤلف « تاريخ بخاري »[٨] :

« إن انضواء أتراك ما وراء النهر هم وأتراك خوارزم في يسر تحت راية العباسيين السوداء وتحمسهم كذلك لدعوتهم إنما يستبين في إجلالهم البالغ لذكرى أبي مسلم » « وإن أبا مسلم نجح نجاحاً مذهلا في أن يكسب إلى صفه في وقت قصير أتراك بلاد ما وراء النهر حتى ذهبت القصص التي نجدها إلى يومنا هذا تجري على لسان الأوزبك والتركمان تقرنه بالخليفة علي بن أبي طالب بجرأته وما أتى به من عجيب الفعال » .

ويشير فامبري في مناسبة أخرى بأنه اطلع في آسيا الوسطى على مخطوط يفصل في حياة أبي مسلم ويقول بأن التركمان كانوا يعتبرونه من أبناء جلدتهم حباه الله بصفات الرسل فأنقذ بذلك العقيدة الإسلامية من التلف . وإن الأغاني الشعبية التي غناها الشعراء الترك في مدحه جعلته بطلا . ويذكر المخطوط كذلك بأن الجيش الذي هزم به قحطبة بن شبيب الطائي الأمويين كان أكثره من الترك . وهي واقعة يفسرها ما كان لأبي مسلم من نفوذ بالغ في خراسان وبلاد ما وراء النهر .

وينتهي المستشرق فامبري إلى القول : « ومن عجب أن الأقدار التي هيأت لراية العباسيين السوداء أن ترفرف بعون التورانيين قدر لها فيما بعد أن تمرغ في التراب ببطش أحد الأمراء التورانيين كذلك » .

وفي مقال عن أبي مسلم في « **دائرة المعارف الإسلامية التركية** »[٩] التي تصدر في استانبول يعتقد الكاتب بأن أبا مسلم تركي في الأصل . ولعل هذا الكاتب أعجبته بطولات أبي مسلم الخراساني وسحرته الأغاني الشعبية التركية التي تتغنى بأمجاده فقرر اعتباره تركياً دون الرجوع إلى المصادر التاريخية الأصيلة .

وتشير الأستاذة ماليكوف سيار[١٠] في كتابها عن (أبي مسلم في

الفولكلور التركي) بأن القصص الشعبية والأغاني التركية تظهر أبا مسلم بطلا قومياً تركياً .

إلا أن التاريخ شيء والفولكلور شيء آخر وإن افتراض فامبري ومن اتبعه يفتقر إلى النصوص التاريخية والروايات الموثوقة التي تدعمه،وهو في اعتقادي رأي مبالغ فيه كثيراً .

(ح) التفسير الحديث :

لقد كان البروفسور هاملتون كب والبرفسور برنارد لويس من أوائل المستشرقين الذين انتبهوا إلى دور العرب الفعال في الثورة العباسية .

ولم يبحث البرفسور كب الثورة العباسية بحد ذاتها ، وإنما أشار في مقالات أخرى إلى أهمية دور العرب اليمانية في الثورة ونفى وجود حركة جماهيرية فارسية إلى جانب أبي مسلم الخراساني وأكد عدم عنصرية الثورة بملاحظته بأن المدن الخراسانية لم تستغل فرصة الثورة لتنتفض عن بكرة أبيها ضد الأمويين بل إن الروايات التاريخية تثبت عكس ذلك . وأدرك كذلك بأن أهمية التغيير العباسي هو دمج العرب من أصحاب الامتيازات في المسلمين عامة .

ويلاحظ البروفسور لويس دور العرب الخراسانية في الثورة خاصة في في مقالته عن العباسيين في دائرة المعارف الإسلامية (١٢) .

إلا أن هذه الملاحظات كانت قصيرة وحذرة ، وكان المستشرق دانيال دنيت أول من أعلنها بصريح العبارة بأن آراء فان فلوتن وولهاوزن تدعو إلى الشك وإعادة النظر وكان ذلك في أطروحته « **مروان بن محمد** ».(١٣) يبدأ المستشرق دنيت بمقدمة قصيرة يستعرض فيها بسرعة أهم المصادر الحديثة التي بحثت في أمر الدولة الأموية ويرى بأن الوقت قد حان لإظهار بحث نقدي عن الدولة الأموية في عهدها الأخير مستنداً على المصادر الأصلية التي ظهرت في الآونة الأخيرة ولم يستطع مؤرخون أمثال فان فلوتن وولهاوزن الاستفادة منهـــا .

ويستطرد دنيت فيقول بأن دراسة أي عهد من عهود الخلفاء الأمويين بدون الرجوع إلى الظروف التي سبقت عصره ممكنة إلا في حالة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ذلك لأنه من الصعب عزو فشله ضد العباسيين إلى عدم قابليته السياسية أو الإدارية . فهو من أحسن الأمويين كفاءة ، كما وأنه أحد العباقرة الأمويين في الحرب . لقد كان مروان الثاني دون شك ضحية الظروف القاهرة التي كانت خارجة عن إرادته والتي ترجع جذورها إلى حوادث وقعت قبل تسنمه الخلافة .

ويضيف دنيت بأن بعض المظاهر الإدارية والسياسية الغريبة عمت في الامبراطورية العربية وعرقلت المحاولات التي ترمي إلى إيجاد إدارة كفوءة في الدولة ولم تكن هذه المظاهر لتتبدل إلا بثورة .

ويتساءل دنيت ، لماذا سقطت الدولة الأموية ؟ وقبل أن يجيب يستعرض آراء المؤرخين المسلمين الذين يرون بأنهم اغتصبوا حكماً لم يكن لهم فيه حق شرعي . وأنهم ساسوا الناس سياسة مبنية على التحيز والتعسف والطغيان ، فأساءوا معاملة أهل الورع والتقوى وقربوا شرار الناس واستخدموا في الإدارة رجالا قساة اشداء غير كفوءين . وابتزوا مال المسلمين ظلماً وعدواناً . ثم يستعرض دنيت آراء المحدثين من المؤرخين فلا يوافق على النتائج التي توصل إليها فان فلوتن . ويؤكد بأنه حينما وقف قسطنطين الحادي عشر على أسوار القسطنطينية في ليلة ٢٨ مايس ١٤٥٣ م فإن نهاية الدولة البيزنطية كانت بيّنة وواضحة ولم يكن هناك وسيلة لإنقاذ المدينة إلا بمعجزة ، ولكن لم يكن واضحاً لمروان الثاني وجيشه في صباح ٢٤ كانون الثاني ٧٥٠ م بأنهم سيخوضون معركتهم الفاصلة . فلقد كان جيش مروان أكثر عدداً . وكان هناك وفر في المال والعدة والغذاء وكان مروان الثاني منتصراً في كل حروبه السابقة ضد الخوارج ، ولم يكن هناك تهديد خارجي أو ثورة داخلية . وهكذا فإن الجيش الأموي في معركة الزاب كان قد عبأ كل قواه دون أن يكون هناك أي تشتيت لقواته الضاربة .

ويحار دنيت في تفسيره خسارة الأمويين في معركة الزاب ، ويعترف بتطرفه حين يقول بأن ذلك قد يرجع إلى خطأ في الخطة العسكرية أو التكتيك العسكري الذي اتبعه مروان ليس إلا . ومع ذلك يتعمق دنيت باحثاً في في أسباب سقوط الدولة الأموية ويرى بأن ذلك قد يرجع إلى :

(١) لم يكن لمروان بن محمد أي حق شرعي بالخلافة . فلم يذكر اسمه في تفويض ولاية العهد . كما وانه كان ابن أمَة كردية ولم يكن من عادة الأمويين تولية العهد لأولاد الإماء من الأمراء . فقد حرموا مسلمة بن عبد الملك من الخلافة بسبب ذلك . إلا أن مروان اغتصب الخلافة نتيجة الاضطرابات التي أعقبت مقتل الوليد الثاني وذلك نتيجة ولاء جنده وإخلاصهم له . وقد رفض أهل الشام الاعتراف بخلافته أول الأمر كما ثار ضده أمراء من البيت المرواني . إن هذا الانقسام في سوريا وفي البيت الحاكم أضعف البلاد ودمر قوتها العسكرية .

(٢) فشل الأمويين بتنظيم حكومة مركزية قوية . فلم يسكن الخلفاء الأمويون في دمشق بصورة دائمة ، بل قضوا أوقاتهم في مدن أسسوها على طرف الصحراء . لذلك لم تكن الإدارة مركزية ، بل كان لكل إقليم إدارة ذاتية مكونة من الأمير والدواوين التابعة له .

إن نتائج فقدان المركزية كانت واضحة فلم يكن هناك نظام إداري سياسي يدعم الحكومة في الأقاليم . ثم عدم وجود جيش نظامي حيث كان كل المسلمين مدعوين للخدمة العسكرية عند الضرورة ثم يعودون إلى بلادهم وعوائلهم بعد انتهاء الحرب . ولم تكن تنظيمات الشرطة والأمن كفوءة مما أدى إلى انتشار الإشاعات والدعايات والتنظيمات السرية التي لم تكن فعالياتها كلها تصل إلى سمع الخليفة فأنتجت في النهاية تلك الثورة العارمة .

(٣) ويرى دنيت أن السبب الثالث يعود إلى عدم قدرة العرب على الحكم من جهة وعدم قبولهم الخضوع لأي خليفة أو سلطة من جهة أخرى . وهو يأخذ رأي ابن خلدون في « الاعراب » ويطلقه بصورة عامة على « العرب »

ولكن دنيت يعترف بقابلية بعض الخلفاء الأمويين الإدارية وحنكتهم السياسية والعسكرية ومحاولاتهم تقوية الدولة وتوحيدها ومنهم مروان الثاني .

وينهي المستشرق دنيت مقدمته قائلا بأن سقوط الأمويين لم يكن مظهراً من مظاهر ثورة الفرس بل تأكيداً للروح العربية المحبة للاستقلال النافرة من أي نوع من أنواع الضبط والنظام .

وتنقسم أطروحة دنيت إلى فصول : أولها يتعلق بنظام الضرائب بداياته وتطوراته . وثانيها يبحث في أثر هذا النظام المالي على إدارة الحكومة المركزية . وثالثها يناقش أهم المؤسسات الإدارية وخاصة الجيش الأموي . أما رابعها فهو عبارة عن دراسة لحياة مروان الثاني ونقد لعهده .

والنقطة التي يدور حولها الفصل الأخير ، وهو الفصل المهم بقدر ما يتعلق الأمر بموضوعنا ، هي أن جميع الاضطرابات التي حدثت في الجناح الغربي والشرقي للامبراطورية العربية ومنها الثورة العباسية هي نتائج مباشرة لاغتيال الوليد الثاني سنة ١٢٦ هـ . ٧٤٤ م . وقد شرح دنيت بالتفصيل الحالة في خراسان بعد مقتل الوليد الثاني وفصل في المنازعات بين شيوخ القبائل العربية من أجل السيطرة على ولاية خراسان وأكد بأن الثورة هي ثورة عرب خراسان لا مواليها ضد الأمويين .

إلا أن دنيت لم يوفق التوفيق كله في عرض وجهة نظره ، ولا شك فإن كثرة الروايات وغموضها وارتباكها كان له أثره في غموض عرض الفكرة لديه وقد أكد دنيت فقط على الواجهة السياسية للثورة وأهمل بصورة قاطعة الواجهة الدينية ولم يشر إليها إلا عرضاً .

أما الدكتور عبد الحي شعبان فقدم أطروحته «**الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية في خراسان** » إلى جامعة هارفرد سنة ١٩٦٠ وهي تستعرض تطور الحالة في خراسان وسياسة الخلفاء تجاهها منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الحكم الأموي . فيخصص الفصل الأول عن فتح العرب لخراسان . ويتعلق لفصل الثاني بموقف الخلافة الأموية من القبائل العربية في خراسان ، والفصل

الثالث بسياسة والي العراق وخراسان الحجاج بن يوسف الثقفي ، الرجل الثاني في الدولة الإسلامية بعد الخليفة ، تجاه الحالة في خراسان . أما الفصل الرابع فيبحث في إجراءات سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز في خراسان. ويفصل الفصل الخامس في تنظيمات هشام الأموي في خراسان .

والواقع فإن الدكتور شعبان يعطي صورة واضحة ومتكاملة لتطورات الحالة السياسية والاجتماعية لعرب خراسان من حيث استيطانهم وعلاقتهم بسكان البلاد المفتوحة وموقفهم من دمشق ومن بعضهم البعض .

ففي المقدمة يستعرض شعبان آراء بعض المستشرقين في الثورة العباسية فيبين رأيه فيقول :

« وفي رأيي أن الثورة العباسية كان هدفها دمج كل المسلمين العرب وغير العرب في الامبراطورية في مجتمع إسلامي واحد لكل فرد من أبنائه حقوق متساوية . إن هؤلاء الذين ساهموا في الثورة كانت نظرتهم للإسلام أوسع وتفسيرهم لمبادئه أكثر شمولا من وجهة النظر الأموية العربية الضيقة . إن هذه الثورة حدثت في خراسان وخاصة في مرو حيث ان الحالة الغريبة للفتح العربي وما أعقبها من تطورات أدت إلى اندماج القسم الأكبر من القبائل العربية في واحة مرو بالسكان المحليين الإيرانيين . إن هؤلاء العرب المندمجين بالسكان المحليين والذين فقدوا امتيازاتهم كأعضاء في الكتلة العربية الحاكمة والذين استأثروا كذلك ، وبصورة أعنف ، من حالتهم كرعايا خاضعين للارستقراطية الإيرانية غير المسلمة « الدهاقين » في مرو . هؤلاء الذين كانوا العنصر الرئيسي في الثورة العباسية . لقد ساعد بعض المسلمين من غير العرب « الموالي » الثوار ولكن هؤلاء الموالي لا يمكن أن يكونوا بأعداد كبيرة ذلك لأن الإسلام لم يكن حين ذاك منتشراً حتى في مرو نفسها » .

ويناقش شعبان في المقدمة أهم مصادره ومنها مخطوطة الفتوح لابن أعثم الكوفي الذي استغله في بحثه هذا بصورة أوسع ممن سبقه من المؤرخين .

أما في الفصل الأول فيعتمد الدكتور شعبان على النتائج التي توصل إليها

البروفسور كب في كتابه « فتح العرب لخراسان » ولكن هذا لا يمنعه من إبداء وجهات نظر تختلف عن ماجاء في هذا الكتاب معتمداً في ذلك على روايات تاريخية موثوقة وردت في ابن أعثم الكوفي أو الطبري .

ويفصل الفصل الثاني سياسة كل خليفة وولاته في خراسان ونوعية الإجراءات التي اتخذت تجاه تعبئة القبائل للحرب صيفاً واستقرارها شتاء . ويلاحظ الدكتور شعبان بأن مرو لم تمصر في أول الأمر ولذلك سكن العرب في القرى التي حولها مثل بوزان وميهرجان وسنان وفنين وغيرها . ويبين بأن كثيراً من مثيري القلاقل والاضطرابات من عرب البصرة أرسلوا إلى خراسان للتخلص منهم وخاصة قبيلة تميم ، إلا أن هناك من ذهب طمعاً في الجهاد . ويشرح المنافسة بين جديع بن علي الكرماني الأزدي ومضر بن سيار الذي لم يكن أكثر من زعيم قبلي ذي نفوذ واسع في خراسان .

ويتوسع الدكتور شعبان في سياسة الحجاج الثقفي في خراسان . . ويلاحظ ضعف الشعور القبلي لدى عرب خراسان حيث لم يبق أهمية رئيسية للنعرات القبلية ذلك لأن كل قبيلة أو فرع طور له مصلحة معينة في المنطقة التي سكن فيها ، فظهرت محالفات ومصاهرات جديدة تختلف عن المحالفات القديمة .

كان هدف الحجاج بن يوسف الثقفي إضعاف عناصر الشغب والحد من نفوذ زعماء القبائل في خراسان لتقليل الاحتكاك بين القبائل ودمجها في كتلة واحدة وراء الأمويين وقد اختار لتحقيق هدفه المهلب بن أبي صفرة الذي خلفه ابنه يزيد في ولاية خراسان . إلا أن هذا التدبير لم يحقق الهدف المرجو حيث ابتعدت « قيس » عن الأمويين . ولهذا اختار الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي القيسي والياً لخراسان . وقد أعاد قتيبة تنظيم العرب في خراسان وقسمهم إلى خمسة كتل : الأزد ، تميم ، أهل العالية ، بكر ، وعبد القيس . كما وطلب من كل منطقة في خراسان تجهيز عدد معين من الرجال لينضموا إلى حملاته العسكرية . واستخدم قتيبة السكان المحليين لمساعدة الجيش دون أن يسجل أسماءهم في الديوان . كما وكان هناك مرتزقة من الصغد وبخارى وخوارزم

في جيشه إضافة إلى العبيد . ولقد عدّ جيش قتيبة ٤٧٠٠٠ مقاتل من العرب عدا الموالي وغير المسلمين .

لقد كان الحجاج الثقفي ذا نفوذ كبير في الدولة وكان له أتباع مخلصون ساروا على خطته . ولكن سياستهم هذه التي استمرت في عهدّي عبد الملك والوليد الأول لاقت معارضة في قبل كتلة عربية أخرى يتزعمها يزيد بن المهلب وغيره . وكان يزيد بن المهلب على اتصال قوي بولي العهد سليمان بن عبد الملك . وكان من حسن حظ الحجاج أن يتوفاه الله قبل تولي سليمان الخلافة ذلك لأن مجيء سليمان شهد سيطرة الكتلة المعارضة لسياسة الحجاج وأدى إلى قتل أو عزل الكثير من الولاة والقادة من أتباع الحجاج .

ويشرح الدكتور شعبان سياسة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز في خراسان ثم ما أدخله هشام بن عبد الملك من تعديلات جديدة بناء على ما استجد من تطورات منها الاحتكاك بين القبائل القديمة والقبائل التي قدمت حديثاً إلى خراسان من العراق . ثم الاختلاف في وجهات النظر وأسلوب الحياة بين المقاتلة من « الرعيل الأول » والمقاتلة الجدد والعرب المستقرين الذين تركوا مهنة الحرب .

وحين يتكلم عن تطور الدعوة العباسية يقول باقتضاب بأنه يتفق مع ما ذكر المؤرخون إلا أنه يختلف معهم في نقطة مهمة واحدة وهي من هم أنصار أبي مسلم ؟ ويعتقد الدكتور شعبان بأن سند أبي مسلم الرئيسي جاء من العرب المستقرين في مرو وضواحيها الذين أدركوا بأن لا مفر من الثورة من أجل تغيير جذري لا في خراسان وحدها ، بل في كل الامبراطورية . هذا رغم وجود بعض الموالي ضمن أنصار أبي مسلم الخراساني .

ومن هذا التلخيص نلاحظ بأن الدكتور شعبان قد توصل إلى أن العرب لم يكونوا كلهم حكاماً وأصحاب امتيازات ومتنفذين ــ كما يعتقد فان فلوتن وغيره ــ بل كانت منهم جماعة تشاطر سكان البلاد المفتوحة في دفع الضرائب للدهاقين . إن هذه الكتلة من العرب المستقرين والذين فقدوا امتيازاتهم هي التي

أيدت الثورة ووقفت ضد الكتلة العربية الأخرى التي لا زالت تتمتع بامتيازاتها وتقاسم هذه الامتيازات مع الارستقراطية الإيرانية « الدهاقين الفرس » ، الذين سيطروا على الإدارة واحتفظوا بأكثر امتيازاتهم ، ومع الخليفة في دمشق .

ويؤكد البروفسور موسكتي بأن أبا مسلم حصل على عضد قوي من القبائل اليمانية ونفى هذا المستشرق أن يكون للدعوة العباسية أية صلة بمبادىء « الغلو » المتطرفة (١٧) .

ويثبت الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي بأن العرب سكنت القرى في إقليم خراسان إضافة إلى بعض المدن بعد تمصيرها وبهذا يعطي دليلا آخر على أهمية دور العرب المستقرين سكان القرى من أهل خراسان في الثورة العباسية .

ويعدل الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري من رأيه الأول في الثورة الذي يوافق رأي فان فلوتن و ولهاوزن فيقول في مقالة له بأن الثورة العباسية لم تنجح بسبب ثقل الضرائب على الموالي ، فلو استهدف الموالي والفرس المساواة الاقتصادية والاجتماعية حقاً فلماذا ثاروا مرات عديدة ضد العباسيين خاصة وأن هؤلاء الأخيرين حققوا تلك المساواة إلى درجة بعيدة . (١٨)

ويرى البروفسور كلود كاهين في الحركة العباسية محاولة لتطبيق أعمق لمبادىء الإسلام وإنهاء التحكم العربي متخذة من « أهل البيت » سبيلا لتحقيق هدفها . ولقد تحقق النصر تحت راية العباسيين لكونهم أكثر فعالية وتنظيماً من غيرهم من الهاشميين . ويؤكد البروفسور كاهين بأن العباسيين لا صلة لهم بعناصر الغلاة من الكيسانية والهاشمية أو بالمعتزلة . (١٩)

وبحث الدكتور فاروق عمر في أطروحته «**الخلافة العباسية١٣٢/٧٥٠ — ١٧٠ / ٧٨٦**» (٢٠) ، التي قدمها إلى جامعة لندن سنة ١٩٦٧ ، في الواجهة السياسية للثورة العباسية . وقد توصل بعد إعادة تقييم الروايات التاريخية في المصادر المعروفة كالطبري واليعقوبي والمسعودي وغيره وبعد الاستفادة

من مخطوطات لم تنشر بعد في حينه مثل ما يتعلق بالعباسيين من **أنساب الأشراف** للبلاذري ومخطوطة **الفتوح** لابن أعثم الكوفي **وأخبار العباس** للمؤلف المجهول وكتاب **التاريخ** لخليفة بن خياط ومخطوطة **تاريخ الموصل** للأزدي [٢١] وغيرها إلى القول :

« إن الدعاية التي قام بها الدعاة العباسيون كانت موجهة بصورة رئيسية للعرب المقاتلة منهم والمستقرين على السواء . فقد كان هناك دعاة عباسيون في قرى مرو حيث استقر العرب وفي كل مدينة فيها حامية عربية . لقد أدرك الدعاة بأن العرب وحدهم مصدر السلطة والقوة الضاربة الوحيدة في خراسان ومن أجل الوصول إلى السلطة يجب أولا كسبهم إلى الدعوة العباسية » [٢٢]

ولم يفضل الدعاة في بداية الدعوة قبيلة عربية على أخرى بالرغم من أنهم حصلوا على عضد من اليمانية أكثر من المضرية إلا أنهم كانوا دائماً يرحبون بالمضريين الذين يرغبون الانضمام للدعوة العباسية . وقد انضم دون شك بعض الموالي والفرس من سكان البلاد المحليين إلى الثورة إلا أن دورهم لا يمكن مقارنته بدور العرب المصيري » [٢٣] .

وفي رأي الدكتور فاروق عمر بأن ظروف خراسان من حيث قبائلها وعلاقتهم ببعضهم وبالسكان المحليين والسلطة المركزية الأموية في دمشق أثرت في إيجاد الجو المناسب للثورة دون شك ، ولكن يجب ألا نؤكد على ناحية معينة ونترك النواحي الأخرى .فالعرب المستقرون ، كما أكد الدكتور شعبان، كان لهم أسباب للاستياء والتذمر يشاركهم في ذلك الموالي والفرس . إلا أن علينا عدم إهمال العرب المقاتلة فقد كان لهم أيضاً أسباب للتذمر منها : أولا سياسة التجمير وهي إبقاء المقاتلة في الثغور وعلى خطوط العدو شتاء ، في الوقت الذي كان هؤلاء المقاتلة يرغبون العودة إلى مرو وقراها للاستقرار مع عوائلهم وقضاء فصل الشتاء هناك . ثانياً كان الوالي الأموي يسلبهم أحياناً فيئهم وغنيمتهم أو يأخذ أكثر من حقه منهم وهو الخمس ، وقد يأخذ بعض الغنائم

النفيسة ويرسلها إلى دمشق هدية للخليفة وهذا مما أثار القواد وشيوخ القبائل لأن الأربعة أخماس من الغنائم هي حق المقاتلة توزع بينهم . وثالثاً لقد أوجد النزاع المستمر بين شيوخ القبائل بسبب طموحهم للحصول على ولاية خراسان نوعاً من القلق والاشمئزاز لدى هذه القبائل بسبب المصادمات المستمرة بينها فكان اليماني والربعي والمضري قد سئم الحالة هذه فكان في الدعوة العباسية أمل جديد لحياة أكثر استقراراً ورفاهية .

كما وأن الوضع المرتبك في بلاد الشام نفسها وهي قلب الامبراطورية من ثورات المدن السورية ضد مروان الثاني ومؤامرات الأمراء الأمويين ضد سلطته « غير الشرعية » فككت من قوى الدولة وأوهنت من عزيمتها على مجابهة الأخطار وفسحت المجال للدعايات السرية بالعمل الفعال من أجل إسقاطها .

كما ويجدر بنا عدم إهمال الواجهة الدينية للثورة العباسية التي أكد عليها فان فلوتن وولهاوزن وبرنارد لويس وأهملها دنيت وشعبان على الرغم من أن الأخير يعترف بدورها . ونقصد بالواجهة الدينية دور المنظمة السرية الهاشمية التي تحولت إلى عباسية واستمرت في دعايتها حتى الانتصار فقد ظل « الهاشمية » من أخلص أتباع أبي مسلم الذي بدأ بهم حين سجل أول ديوان للعباسيين .

وعلى الرغم من إدراك الدكتور فاروق عمر لواجهات الثورة العباسية المختلفة ولمحاولتها جذب عناصر مختلفة تحت شعارات متباينة ــ وهذا في الحقيقة سر نجاحها ــ ، فإنه ركز في الفصل الثاني من أطروحته على الواجهة السياسية للثورة العباسية وذلك رغبةً منه في إبراز دور العرب الفعال في الثورة . ذلك الدور الذي كان لا يزال مغموراً ولم ينصفه أو يعطه حقه إلا القليل من المؤرخين .

أما المحور الذي تدور عليه أطروحة الدكتور فاروق عمر ، فهو الفكرة القائلة بأن الثورة العباسية ، مثل كل ثورات العالم الكبرى كالثورة الفرنسية والثورة الروسية ، ظهرت في فترة التنظيم والإعداد بواجهات مختلفة ورفعت

شعارات متعددة من أجل كسب كل العناصر المستاءة من الحكم القائم ، فنشر الدعاة بين كل فئة المبادىء التي ترتضيها تلك الفئة ووعدوها بتحقيقها . وما ان تنجح الثورة حتى تظهر بوجهها الحقيقي فتبدأ فترة من عدم الاستقرار في أعقابها حيث ينقسم الثوار على أنفسهم بسبب طموحهم أو تصادم مصالحهم وتستفحل حركات المعارضة للعهد الجديد بسبب خيبة آمال الفئات التي عززت بها الثورة وعدم التزام الثوار بالوعود التي قطعوها على أنفسهم .



حواشي الفصل الثاني

(١) أنظر على سبيل المثال : ابن أعثم الكوفي ، الفتوح (مخطوطة) ، ٢٢٦ أ فما بعد — الدينوري : الأخبار الطوال — حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض . نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول . —

(٢) نجد هذه النظرة في روايات للطبري واليعقوبي والعيون والحدائق مثلا ، ويذكرها كذلك جرجي زيدان والخضري وميور وأحمد أمين وبروكلمان .

(٣) Van Vloten‹ *Recherches sur la domivation Alab‹* pp. 35 ff

(٤) سنعود إلى موضوع التصادم هذا حين نشرح حالة الشعب الإيراني في الدولة .

(٥) Welhausen, *The Arab Kingdom and its fall*, pp. 170 ff.

راجع الترجمة العربية (الدولة العربية وسقوطها ، محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ص ٣٨٠ فما بعد) وهناك ترجمة عربية أخرى لنفس الكتاب بقلم الأستاذ يوسف العش .

(٦) ولهاوزن المصدر السابق ، ص٣٨٠ — ٤٦٧ .

(٧) أنظر فهرست المراجع الحديثة عن أسماء مؤلفات هؤلاء المؤرخين .

(٨) فامبري ، تاريخ بخارى ، ص ١٢٠ فما بعد .

(٩) دائرة المعارف الإسلامية (باللغة التركية)

(١٠) Mèlikoff-Sayar, Abū *Muslim le «porte-Hache» du* Kliorasan, paris, 1962.

(١١) گب : فتح العرب لخراسان، لندن ١٩٢٣ (بالإنجليزية)، ص ٩٤ ، راجع كذلك الترجمة العربية .

(١٢) (ʿAbbāsids) *E.I.* (2)

(١٣) Dennett, *Maswnob. Muhanswad,* ph. D. Thesis, Haward,1939, pp. 265 ff.

(١٤) دنيت ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ فما بعد ص ٢٣١ فما بعد .

(١٥) Sha'ban, The socialand political backgound of the ʿAbbāsid revolution. Ph. D. Thesis' Harvard, 1960.

(١٦) شعبان ، op. cit ، ص ٤٥

(١٧) — Abū Muslim, *E·I.* (2)

أنظر كذلك Moscoti, «Studi Su Abu Muslim», *R.L.*, 1949, 1950

(١٨) أنظر الحاشية رقم (٨١) و (٨٢) من الفصل الأول .

(١٩) راجع الحاشية رقم (٨٠) من الفصل الأول .

(٢٠) F. Omar, *The ʿAbbāsid Caliphate* 132 / 750 — 170 / 786, PH. D. Thesis, P.O.A.S. University of London, 1967.

(٢١) فاروق عمر : المصدر السابق ، الفصل الأول ، مناقشة المصادر ، ص ١٥ — ٧٠

(٢٢) فاروق عمر ، op. cit ص ٢٧٢ — ٧٤ .

(٢٣) Ibid

الفصل الثالث

واجهات الثورة العباسية

الباب الأول : الواجهة الدينية .

الباب الثاني : الواجهة السياسية .

الباب الأول

الواجهة الدينية

« قَدِم ابو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية فنزل على محمد بن علي (بن عبد الله بن العباس) فاشتكى فأوصى الى محمد وكان يسمى بعده الامام »
مخطوطة اخبار العباس ص ٧٤ أ — ٨٤ ب

قال ابو هاشم عبد الله الى محمد بن علي العباسي
« يا ابن عم انا كنا نظن ان الامامة فينا فقد زال الشك وصرح اليقين بانك الامام دون ابي واعطاه كتبه وسمى له شيعته »
البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٦٨٧ ب

كان من بين حركات المعارضة للخلافة الأموية هي الحركة التي تدعو لبني هاشم « أهل البيت » بصفة عامة وتعتقد بأن لهم الحق في أن يخلفوا الرسول محمد ﷺ في حكم الجماعة الإسلامية . وكان اصطلاح « شيعة » يعني الأتباع في ذلك الوقت ، ولم تكن حركة شيعة بني هاشم أو أهل البيت حركة واضحة المعالم منظمة الاتجاهات وإنما كانت تشتد أحياناً وتخفت أحياناً أخرى . ولما كانت حركة« الشيعة »حركة أنصار آل البيت من علويين وعباسيين وجعفريين فإنها لم تكن ملتفة حول شخصية واحدة أو فرع واحد من آل البيت. (٩)

فبعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ٤٠ هـ ــ ٦٦٠ م وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية واعتزاله السياسة « ت ٤٩ هـ ــ ٦٦٩م » قام العلويون من الفرع الحسيني بعدة محاولات للثورة ضد الأمويين كما قام عبد الله بن معاوية الجعفري بانتفاضته ضد الأمويين في العراق وفارس ، إلا أنها باءت بالفشل أيضاً برغم نجاحها الجزئي في بادىء الأمر . وكانت المعارضة العلوية تتميز باتجاهين رئيسيين :

أولا ــ الاتجاه المعتدل :

وأنصاره يعتقدون بأن الإمامة بالنص لا بالاختيار ، وان أحق الناس بها هم أبناء علي بن أبي طالب . وكان هذا الاتجاه يتمثل في ثورة الحسين بن علي وأخيه زيد بن علي في العراق .

ثانياً ــ الاتجاه المتطرف :

وأنصاره يدينون بآراء غير إسلامية منها الحلول والتناسخ والرجعة ، إلا أنهم صبغوا هذه الآراء بصبغة إسلامية حتى يمكن قبولها وانتشارها في مجتمع إسلامي . وترجع هذه الآراء المتطرفة في جذورها إلى أصول قديمة ظهرت في حركات دينية قبل الإسلام .

فلقد أبدى عبد الله بن سبأ احتراماً فائقاً للإمام علي إلى درجة التقديس مما اضطر الإمام إلى نفيه خارج المدينة . وبعد وفاة الإمام علي رضي الله عنه أنكر عبد الله بن سبأ ذلك وقال بأن شيطاناً قد قتل مكانه وأن الإمام علي قد أخفى نفسه بين الغيوم ولا بد أن يعود ليملأ الأرض عدلا . ويرى بعض الباحثين أن ابن سبأ قد ألّه الإمام علي فقال بأن جزءاً إلهياً حلّ فيه وإن هذه الصفات الإلهية تتناسخ في الأئمة من أبنائه واحداً بعد الآخر . وهكذا كون أتباع ابن سبأ أول فرقة غالية في الإسلام « السبأية » .

وقد ترعرعت السبأية في الكوفة والمناطق القريبة منها وتمخضت في سنة ٦٦ هـ عن حركة المختار بن عبيد الثقفي وهي تطور مهم في حركة المعارضة العلوية ذلك لأنها نقلت الإمامة من الفاطميين العلويين إلى محمد بن الحنفية وهو ابن الإمام علي من غير فاطمة رضي الله عنها . كما وأن مغزى الحركة الديني واضح من الآراء التي نادت بها ومنها إحاطة الأئمة بالعلوم الإلهية وأن محمد بن الحنفية محيط بالعلوم كلها وبأن الدين طاعة رجل وان معرفة ذلك الرجل أو الإمام تبطل التمسك بالفرائض . وادعى المختار الثقفي أنه نبي يوحى إليه وما أظهره من بدعة العرش الذي كان على شكل كرسي فخم يحمل على الأعناق . وأهم من كل ذلك فكرة البداء وفكرة المهدي . أما الفكرة الأولى ومعناها تغيير الإرادة الإلهية لقرار قد اتخذ من قبل فالظاهر أنها نسبت إلى المختار ويختلف المؤرخون في صحة نسبتها إليه (١٠) . أما الفكرة الثانية فقد ادعى المختار بأن محمد الحنفية هو المهدي المرتقب وعلى الناس اتباعه .

ويذكر المؤرخون كذلك بأن من مظاهر حركة المختار المهمة (١١) هو بروز دور الموالي وهم « المسلمون غير العرب » في هذه الثورة وإثبات وجودهم ككتلة ذات ميول علوية معارضة للأمويين . والمعتقد بأن هذه النظرة مبالغ فيها وهي تحتاج إلى إعادة النظر فيها . فلقد كانت الكتلة العربية التي أيدت المختار كبيرة وتتكون بصورة خاصة من بجيلة وهمدان وكندة وغيرهم وخاصمه عرب آخرون مثل القيسيين الذين يسكنون جبانة السبيع والكناسة في الكوفة . ولقد تدخلت عوامل كثيرة في تقرير أنصار المختار وخصومه منها العداء القبلي ومنها مدى تقبل القبائل لمبدأ التطرف « الغلو » أو رفضه ومنها الطبيعة البدوية التي ترى بأن العرب أسياداً وتأبى قبول التنازل عن بعض الامتيازات . ولعب العرب من أمثال ابراهيم بن الأشتر وموسى بن أبي موسى الأشعري دوراً كبيراً في ثورة المختار .

ولعل هذه العوامل نفسها هي التي أدت إلى تخلي العرب عن المختار في أحرج لحظاته وبالتالي إلى فشل حركته . والظاهر أن الدعوة العباسية استفادت من تجربة المختار فتداركت أخطاءه فانتصرت .

وعرفت حركة المختار بأسماء عديدة منها « الكيسانية » نسبة إلى كيسان أبي عمرة صاحب شرطة المختار ومنها « المختارية » ومنها « الخشبية » نسبة إلى العصي الخشبية التي كان الموالي يستعملونها في القتال .

وسواء أكان محمد بن الحنفية قد استغل هذا الجناح المتطرف من الحركة العلوية أو أن هذا الجناح استغل اسم محمد بن الحنفية فالظاهر أن الكيسانية اعتقدوا بإمامة ابن الحنفية ولم يؤمنوا بوفاته بل ادعوا بأنه اختفى في مكان مجهول أو في جبل رضوى وهؤلاء هم الكربية (١٢) .

أما الأتباع الذين آمنوا بوفاة ابن الحنفية فكانوا على أقسام أيضاً أهمها وأكبرها تلك التي ادعت بأن الأمامة انتقلت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وهؤلاء هم « الهاشمية » . وكان أبو هاشم طموحاً جمع حوله الأتباع ونظمهم وكان يتسلم منهم الخمس والهدايا . وكانت حركته محاطة

بالسرية وظل هو يزور البلاط الأموي رغم مراقبة الأمويين له .

ولقد تطورت الحوادث في مطلع القرن الثاني للهجرة « الثامن للميلاد » بصورة سريعة فثار زيد بن علي زين العابدين في الكوفة سنة ١٢٢ هـ وقمعت حركته بسرعة وعنف ، كما ثار عبد الله بن معاوية الجعفري في الكوفة سنة ١٢٧ هـ ٧٤٤ ـ ٧٤٥ م ونادى بالغلو واعانة بعض الشخصيات العباسية مثل عبد الله بن علي العباسي وعبد الله بن محمد بن علي « أبو جعفر المنصور فيما بعد » ولكن الجيش السوري لم يترك له المجال واضطره إلى الهرب إلى خراسان . وهكذا فقد تركزت معارضة بني هاشم « أهل البيت » في مطلع القرن الثاني للهجرة حول شخصيات ثلاثة :

أولا : جعفر الصادق من الفرع الحسيني ، وكان لا يدعو إلى شهر السلاح ضد السلطة الأموية ، ولذلك كانت معارضته سلمية سلبية .

ثانياً : عبد الله بن الحسن من الفرع الحسني وابناه محمد « ذو النفس الزكية » وابراهيم ، وكانوا يتحينون الفرص للثورة ضد الأمويين ولم تواتهم الفرصة بعـــد

ثالثاً : محمد بن علي بن عبد الله بن العباس حفيد العباس عم الرسول وهو الذي أوصى اليه أبو هاشم بالإمامة وقيادة « الهاشمية » من بعده .

تذكر الروايات التاريخية بأن اتباع أبي هاشم تشتتوا جماعات بعد وفاته سنة ٩٧ ـ ٩٨ هـ ، ٧١٦ م وأهم جماعة بينهم هي التي اعتقدت بأن أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي العباسي وأمره بزعامة المنظمة السرية الهاشمية حيث أصبح أتباعها جند العقيدة العباسية .

وبقدر ما يتعلق الأمر بادعاء العباسيين لهذه الوصية فلقد اختلف موقف المؤرخين المحدثين من مسلمين ومستشرقين من ذلك ، ففان فلوتن والبروفسور لويس والبروفسور موسكتي [١٣] يقبلونها على أنها صحيحة تاريخياً . أما ولهاوزن [١٤] فيعتبرها « ربما كانت رواية أسطورية أو خيالية، ويكذب

زتسترن ودي خويه كترمير رواية الوصية والسم [١٥] أما الأستاذ الدكتور الدوري فقد كان حذراً من قبولها أول الأمر « وعلى كل فيمكننا أن نجزم بأن أبا هاشم توفي ولا عقب له وبأن التفاهم بينه وبين محمد بن علي جعل الهاشمية ينضمون إلى محمد ويكونون نواة الدعوة العباسية ». ولكن الدكتور الدوري عدل عن رأيه بعد اطلاعه على مخطوطة أخبار العباس وأكد على أهمية الوصية وحقيقتها التاريخية [١٦] . ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن « وكان البيتان (العلوي والعباسي) متحدين على العدو المشترك وهو بنو أمية إلى أن انتقل حق الإمامة من العلويين إلى العباسيين بنزول أبي هاشم » وهو بهذا يقر بصحة الوصية [١٧] . أما البروفسور كلود كاهين فلا يقيد نفسه برأي فيقول : « إن مسألة حقيقة وصية أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي لم يعد لها اليوم نفس الأهمية التي كانت لها من قبل وإلى وقت قريب » ثم يضيف« ولكن من غير الممكن أن نشك في أن شيعة أبي هاشم قد حلفوا يمين الولاء لمحمد وأن هذا الأخير قد تصرف وكأنه إمامهم » [١٨] .

أما المؤرخون الأقدمون فالكثير منهم يؤكد أن أبا هاشم قد أوصى فعلا لمحمد العباسي . فيذكر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ — ٨٩٢ م) أنه « لما استخلف سليمان بن عبد الملك (٩٦، ٧١٥ — ٩٩ ، ٧١٧) أتاه أبو هاشم عبد الله . . وافداً في عدة من الشيعة . . وكان محمد بن الحنفية حين حضرته الوفاة أوصى اليه وقلده أمر الشيعة والقيام بشأنهم . فلما دخل عليه استبرع بيانه وعقله . . ثم شخص فبعث سليمان ومعه دليلا وأمره أن يخدمه فحاد به عن الطريق وقد أعد له أعرابياً في خبا ومعه غنم له ومعه سم فوافاه وقد كاد العطش يأتي عليه فاستقى من الأعرابي فسقاه لبناً قد جعل فيه ذلك السم فلما شربه مرض فمال إلى محمد بن علي وهو بالحميمة فمات عنده [١٩] . وفي رواية ثانية للبلاذري لا تختلف كثيراً عن الأولى يقول أن أبا هاشم قال لمحمد العباسي : « يا ابن عم إنا كنا نظن أن الإمامة فينا فقد زال الشك وصرح اليقين بأنك الإمام دون أبي وأعطاه كتبه وسمى له شيعته » [٢٠] . وفي

رواية ثالثة للبلاذري أن أبا هاشم قال لمحمد : « إن هذا الأمر أمر أنت أول من يقوم به ولولدك آخره »[٢١] . ويوافق اليعقوبي البلاذري في روايته عن الوصية إلا أنه كعادته لا يذكر مصادره في بدء كل رواية فيقول بعد أن سقي أبو هاشم السم قال : « ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس فإنه بأرض الشراة فأسرعوا السير حتى أتوا محمداً بالحميمة فلما قدم عليه قال له يا ابن عم أنا ميت وقد صرت إليك وهذه وصية أبي إلي وفيها أن الأمر صائر إليك وإلى ولدك والوقت الذي يكون فيه ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به » أما الطبري فيتفق في جوهر الرواية مع سابقيه ولكنه يقول إن أبا هاشم قال لمحمد: « يا ابن عمي إن عندي علماً أنبذه إليك فلا تطلعن عليه أحداً إن هذا الأمر الذي ترتجيه الناس فيكم »[٢٢]

والجدير بالذكر أن روايات البلاذري « ت ٢٧٩ – ٨٩٢ » واليعقوبي « ت ٢٨٤ – ٨٩٧ » والطبري « ت ٣١٠ – ٩٢٣ م » ربما استقيت من مصدر واحد هو إمّا الهيثم بن عدي « ت ٢٠٦ – ٨٢١ » أو المدائني « ت بين ٢١٥ – ٢٣٤ هـ ، ٨٣٠ – ٨٤٨ » وكلا الراويين على جانب لا يستهان به من حيث صحة رواياتهما التاريخية . هذا من جهة ومن جهة أخرى إن الاختلاف في أسلوب الرواية وكلماتها مع أنها تؤدي إلى نفس المعنى وتروي نفس الحادثة يؤكد صحة الخبر المروي ويزيد نسبة الثقة فيه .

ويعالج موضوع الوصية مؤرخين آخرين فيذكر ابن سعد « ت ٢٣٠ – ٨٤٥ » في طبقاته أن الوفاة لما حضرت أبا هاشم « أوصى إلى محمد بن علي . . . وقال له أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك وصرف الشيعة إليه . ودفع كتبه ورايته إليه » . ويؤكد ابن حبيب « ت ٢٤٥ – ٨٥٩ » إن سليمان سم أبا هاشم الذي مات عند محمد العباسي[٢٣] . ويذكر ذلك أيضاً ابن قتيبة « ت ٢٦٧ – ٨٨٩ » ويقول أن أبا هاشم عرف محمداً العباسي برجاله وكتبه . وإذا صح لنا ان نعزو كتاب الإمامة والسياسة إلى ابن قتيبة فهو يذكر خبر الوصية ويقول إن أبا هاشم « أشهد له (لمحمد العباسي) من الشيعة رجالا[٢٤] » . ويؤيد المسعودي[٢٥] « ت ٢٤٥ – ٩٥٦ » خبر انتقال

الإمام من العلويين إلى العباسيين بوصية أبي هاشم ولكنه يخطىء حينما يقول بأن الوصية كانت لعلي بن عبد الله العباسي وليس لابنه محمد . أما كتاب العيون والحدائق فيقول أن أبا هاشم سم بحلواء وليس بلبن وبعد أن أحس أبو هاشم بها « تحامل إلى الحميمة وكتب كتباً إلى ولد عبد الله بن عباس بنو عمه واعلمهم خبر الدعاة وسلم إليهم خاتماً يختم به الكتب إلى الدعاة وكتب بذلك إلى الشيعة بتسليم الأمر لبني العباس (٢٦) . ولا يفوتني أن أذكر بأن الجاحظ (٢٧) « ت ٢٥٥ – ٨٦٨ » يندد بالأمويين لأنهم سموا أبا هاشم عبد الله .

ومن المصادر المهمة التي تبحث في الوصية هى مخطوطة « أخبار العباس ولده » للمؤلف المجهول . تقول المخطوطة تحت عنوان « أخبار الإمامة » والكيسانية منسوبون إلى المختار بن عبيد . . وكان يلقب كيسان وهو أول من قال بإمامة محمد بن علي وبها كان يقول علي بن عبد الله « العباسي » وولده إلى أيام المهدي وكان تشيع العباسية أصله من قبل محمد بن الحنفية » . وتقول المخطوطة « قدم أبو هاشم . . فنزل على محمد بن علي « العباسي » فاشتكى فأوصى إلى محمد وكان يسمى بعده الإمام » . وتفصل المخطوطة في علاقة محمد بأبي هاشم والظروف التي أدت إلى موت أبي هاشم ولكنها لا تذكر أن أبا هاشم قد سم وإنما تقول إنه مات موتاً طبيعياً (٢٨) . ومهما يكن من أمر فإن أهم ما يذكر في موضوع الوصية في هذه المخطوطة هي « الصحيفة الصفراء » . ويرجع أصل هذه الصحيفة إلى محمد بن الحنفية الذي ورثها عن أبيه علي بن أبي طالب حيث أعطاه إياها الحسين بن علي أخاه . وتحتوي هذه الصحيفة على « علم رايات خراسان السود متى تكون وكيف تكون ومتى تقوم ومتى زمانها وعلاماتها وآياتها وأي أحياء العرب أنصارهم وأسماء رجال يقومون بذلك كيف صفتهم وصفة رجالهم وأتباعهم فكانت تلك الصحيفة عند محمد بن علي بن الحنفية حتى إذا حضره الموت دفعها إلى ابنه عبد الله بن محمد وهو الذي يكنى أبا هاشم وكانت عنده حتى إذا حضره الموت . . ومات

الحميمة عند محمد بن علي فدفع الصحيفة اليه وأوصاه بما أحب . . » [٢٩] . ثم تسرد المخطوطة الوصية الشفوية التي أوصى أبو هاشم محمداً بها وهي لا تختلف في فحواها عما ذكر في المصادر السابقة ولو أنها تتميز بالتفصيل والشمول فتذكر أنه بعد وفاة أبي هاشم قام محمد العباسي وخطب في الشيعة قائلا : « لئن كنتم أصبتم بموته لقد خصصت بذلك منه وقد جمعني وإياكم القيام بهذا الأمر وعلمت منه كثيراً مما لم تعلموا فاتقوا الله ربكم وحافظوا على هذا الحق الذي سعيتم في إقامته واحفظوا ألسنتكم فلا تطلقوها إلا في مواضع النفع والغنا وتصبروا للمكروه فقد قرن بكم فإن حفظتم ذلك فأنتم شيعتي وخاصتي وأولى الناس بي في محياي ومماتي » . فأجابه أحد كبار الأتباع قائلا : « قد أوصى إليك صاحبنا الذي كنا نأتم به وذكر أن هذا الأمر فيك وفي ولدك وقد قبلنا ذاك فمرنا بأمرك نقف عليه ولا نتعده » [٣٠] . ولما كان كتاب « نبذة من كتاب التاريخ » للمؤلف المجهول من القرن الحادي عشر مختصراً لمخطوط أخبار العباس وولده الآنفة الذكر فإن ما ذكر عن أخبار الوصية في المخطوط ذكر باختصار في « النبذة » [٣١] .

أما المصادر التاريخية المتأخرة فهي ليست ذات قيمة تاريخية كبيرة بالنسبة للوصية ومهما يكن من أمر فإنني أستطيع أن أقول بأنها تجمع على تأكيد الوصية معتمدة على هذه الرواية أو تلك . فابن عبد ربه [٣٢] (ت ٣٢٨ — ٩٤٠) ينقل الوصية معتمداً على الهيثم بن عدي ولكن الرواية فيها الكثير من التفصيل والتطويل مما يدل على الوضع والإضافة في قسم منها خاصة وأنها تتنبأ عن حوادث تاريخية وقعت فعلا أثناء الدعوة والثورة العباسية وهي كذلك تختلط مع وصية محمد العباسي إلى دعاته الذين أرسلهم فيما بعد إلى خراسان . وكذا يؤكد كل من المقدسي وابن عساكر وابن الأثير وابن خلكان وابن خلدون والمقريزي وابن تغري بردي والداودي هذه الوصية ولكن المعلومات التي ينقلونها تكون مشوشة أحياناً لأنها تعتمد على درجة دقتهم ومقدار اهتمامهم في نقل الحقائق عن حوادث سبقت

زمانهم بقرون ولذلك نلاحظ نسخاً حرفياً من مصادر سابقة وحتى في هذا النسخ هناك أخطاء في الأسماء والحوادث والسنين لا مبرر لها (٣٣).

لا بد لي أن أضيف بأن مصادر الفرق تعطينا معلومات واضحة بالرغم من كونها ضئيلة وليست كافية لرسم صورة متكاملة لهذه الوصية المهمة في التاريخ السياسي والعقائدي في الإسلام. فالنوبختي « ت حوالي ٣٠٠ — ٩١٢ » وسعد القمي « ت ٣٠١ — ٩١٣ » وهما من أقدم مَن كتب في الفرق والعقائد متفقان على أن أبا هاشم « أوصى إلى محمد بن علي عبد الله العباسي وأنه دفع الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله وأنه مات عنده بأرض الشراة بالشام وهؤلاء غلاة الراوندية » (٣٤). أما الأشعري فيقول حينما يتكلم عن الكيسانية : « ويزعمون أن الإمام بعد أبي هاشم محمد العباسي وقد مات أبو هاشم بأرض الشراة منصرفة من الشام فأوصى هناك إلى محمد » (٣٥) ويؤيد هذا القول البغدادي والشهرستاني والاسفرايني (٣٦).

ولكن بالرغم من إقرار هؤلاء الكتاب بأن أصل الحركة العباسية يرجع إلى الكيسانية والهاشمية فإنهم لم يتهموا الفرقة العباسية بالتطرف أو الغلوّ كما اتهموا الكيسانية بذلك. ولقد نسب هؤلاء الكتاب الغلوّ أو التطرف إلى فرق أخرى كثيرة منها الجناحية والمنصورية والحرية والبيانية (٣٦ أ). ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الكتب أُلفت في عصر الدولة العباسية نفسها فلم يجروْ هؤلاء على الإفصاح والإيضاح أكثر. ولا بد لي أن أستدرك فأقول إن هذه الكتب نسبت الغلو إلى فرق تفرعت من العباسية وانشقت عليها بعد تأسيس الدولة الجديدة مثل غلاة الراوندية والرزامية والمسلمية والمقنعية والخرمية. الخ. ولقد قامت هذه الفرق بين آونة وأخرى في العصر العباسي الأول بثورات وانتفاضات ضد الحكم القائم. ولذلك يفرق هؤلاء الكتاب بين العباسية مؤيدي الدولة وبين الفرق المنشقة عليها فيتهمون المنشقين بالتطرف والغلو، فالطبري (٣٧) مثلا يتهم الراوندية بالغلو ويقول بأنهم « اعتقدوا بأن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الأئمة

واحداً بعد واحد إلى ابراهيم بن محمد وأنهم آلهة ، واستحلوا الحرمات . . فعبدوا أبا جعفر المنصور . . » وهذا يدل على اعتناقهم مبدأ الحلول والتناسخ[٣٨] ولكن الطبري يؤكد أن السلطة العباسية نكلت بهم لتطرفهم . ويذكر النوبختي وسعد القمي أن غلاة الراوندية قالوا بأن أبا هاشم أوصى إلى محمد العباسي « فهو الإمام وهو الله عز وجل وهو العالم بكل شيء فمن عرفه فليصنع ما شاء وهؤلاء غلاة الراوندية »[٣٩] . وهكذا نلاحظ بأن المؤلفين يستدركان القول وينسبان الاعتقاد لا إلى العباسية ولكن إلى غلاة الراوندية . وينسب المسعودي[٤٠] آراء متطرفة إلى فرقة أخرى منشقة عن العباسية وهي المسلمية التي نادت بإمامة أبي مسلم ، بعد مقتله سنة ١٣٧هـ سنة ٧٥٤م من قبل المنصور، « وانه لم يمت ولن يموت حتى يظهر ويملأ الأرض عدلا . . » ولكن فعاليات الدعوة العباسية في خراسان والآراء التي نادى بها أحد كبار دعاتها ومن ذوي السابقة في الدعوة خداش[٤١] ، وكذلك جذورها التي تنبع من الفرقة « الهاشمية » وفروعها التي انشقت عليها بعد نجاح الثورة كل ذلك يدل على أن للدعوة العباسية واجهة متطرفة . إلا أن هذه الواجهة كانت واحدة فقط من الواجهات العديدة التي طرحتها الثورة العباسية لتجذب أكبر عدد ممكن من المتذمرين والمستائين وذلك عن طريق طرح شعارات والمناداة بعقائد تستهوي هؤلاء الناس .

يظهر مما سبق أن المصادر الأصلية التي ناقشنا رواياتها المستندة على رواة مختلفين تتفق على الحقيقة التاريخية للوصية وتذكر أنه في سنة ٩٧ هـ ، سنة ٧١٥ م سنة ٩٨ هـ ، ٧١٦ م كان أبو هاشم في طريق عودته من الشام إلى الحجاز بعد زيارته لسليمان بن عبد الملك . وقد تمرض أبو هاشم إما بسبب السم الذي دبره له الخليفة الأموي أو بسبب مرض طبيعي وكان في منطقة الشراة ولذلك أمر أصحابه أن يعرجوا به إلى الحميمة مقر العباسيين فأوصى هناك لمحمد بن علي العباسي وجعله إماماً للحركة السرية الهاشمية . ولم يكن لأبي هاشم ولداً ولذلك أمر أتباعه باتخاذ محمد العباسي إماماً لأنه أعلم[٤٢] من غيره

وكيف لا وقد أخذ محمد العلم على يدي أبي هاشم نفسه . هذا رغم وجود أقرباء لأبي هاشم من العلويين إلا أن عدم اتفاقهم في الرأي والتنافس بينهم بينهم على زعامة الشيعة العلوية والخصومة على ولاية إرث الإمام علي وفاطمة كل هذه ربما كانت أسباباً منعت أبا هاشم من إسناد زعامة الهاشمية إلى شخصية علوية وقد حول محمد العباسي المنظمة الهاشمية إلى منظمة عباسية صرفة .

ولا بد لنا ــ استكمالا للتطور التاريخي لادعاء العباسيين بالخلافة وتجنباً لتشويه وجهة النظر العباسية بتجزئتها ــ أن نستمر في عرض المرحلة الثانية التي مر بها هذا الادعاء .

فبعد أن تأسست الدولة العباسية الجديدة وقبض العباسيون على السلطة أعلنوا في أكثر من مناسبة عن عزمهم على « اتباع كتاب الله وسنة نبيه » ونددوا « بأهل الجور » أي الأمويين الذين فشلوا في تطبيق مبادىء العدالة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتقرب العباسيون إلى الفقهاء ورجال الحديث في محاولة كسب تأييدهم للنظام الجديد . وهكذا فقد تبرأ العباسيون من كل العناصر ، وخاصة المتطرفة منها ، التي ساندتهم في ثورتهم وبدأت السلطة الجديدة تضرب بشدة على كل حركة معارضة أو كل ثائر حاول أن يعبر عن سخطه لأن النظام الجديد لم يكن كما توقعه أو لم ينفذ ما رفع من شعارات أثناء الثورة .

وكان لا بد للعباسيين أن يجدوا أساسا جديدا لتثبيت دعواهم بالخلافة عليه فلم تعد (وصية أبي هاشم) ملائمة لهم بعد تسنمهم الحكم ذلك لأنها من الناحية السياسية تربطهم بالعلويين وتظهر أن حقهم بالخلافة جاء عن طريق أبناء الامام علي بن أبي طالب (رض) ، ثم انها من الناحية العقائدية تفضح ان جذور حركتهم السرية تعود إلى المنظمة الكيسانية والهاشمية المتطرفة. وبمعنى آخر فان حاجة العباسيين إلى تأييد الفقهاء والناس لنظامهم الجديد هو الذي دعاهم إلى أن يتبرؤا من صلتهم بأبي هاشم ومنظمته المتطرفة

ويعلنوا تمسكهم بالكتاب والسنة . أما الأساس الجديد لدعوى العباسيين فقد كان يستند إلى أن العباس عم الرسول (ﷺ) وأنه ورثه يوم وفاته ولذلك فالامامة في ولده .

ولا بد من القول بأن هذا التحول لم يحدث فجأة وانما كان هناك فترة انتقال بين الادعاء الأول والثاني وتمتاز هذه الفترة بمرونتها وغموضها وتظهر بصورة خاصة في تعليقات وخطب الساسة والخلفاء العباسيين . ففي خطبة أبي العباس [٤٣] (١٣٢ / ٧٥٠ — ١٣٦ / ٧٥٤) يؤكد ان العباسيين ينتمون إلى الرسول من جهة الاباء فيقول « .. وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله وقرابته وانشأنا من ابائه وانبتنا من شجرته » ثم يتكلم عن حق « أهل البيت » و« ذوي القربى » ولا يخفى ما لهذه الاصطلاحات من مرونة في المعنى تختلف الروايات في تفسيره . ثم يهاجم الخليفة العناصر المعارضة التي بدأت تتحرك بعد تأسيس الدولة الجديدة ولكن خطبته بصورة عامة امتازت بالمرونة السياسية حيث يقرن فيها الوعد بالوعيد . ولا تختلف خطبة داود بن علي [٤٤] عم الخليفة عن الخطبة الأولى من حيث مرونتها السياسية ومحاولتها التوفيق بين العلويين والعباسيين بالرغم من أن نبرتها أكثر عباسية من سابقتها . فداود بن علي يحمد الله ويشكره لأنه « اصار الينا ميراثنا من نبينا (ﷺ) » .

اي ان العباسيين هم ورثة الرسول (ﷺ) وهم أحق الناس بالخلافة من بعده . الا ان داود يستدرك فيقول « الا انه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله (ﷺ) الا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار بيده إلى أبي العباس » . ولكن داود يعود فيقول « فاعلموا ان هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم » . وفي مناقشة بين الفقيه الاوزاعي وعبد الله بن علي عم الخليفة في الشام يؤكد عبد الله ان الحق حق بني هاشم ويلمح ان العباسيين ورثوا حقهم في الخلافة عن طريق العلويين [٤٥] .

ولكن الأمر لم يبق على هذه الصورة المرنة الغامضة زمناً طويلاً فلقد

انشق بنو هاشم إلى عباسيين حاكمين وعلويين معارضين وبمرور الزمن تبلورت وجهتي النظر العباسية والعلوية . ويعتبر المنصور ، الخليفة الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، أول من أبرز وجهة النظر العباسية بصورة واضحة لا ريب فيها ففي رسائله المتبادلة مع محمد النفس الزكية الثائر العلوي (الحسني) في الحجاز يقول « لقد علمتَ انه لم يبق من بني عبد المطلب بعد النبي (ﷺ) غيره (العباس) فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده : فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا اسلام في دنيا ولا آخرة الا والعباس وارثه ومورثه »[٤٦] . وفي زمن المنصور كان الصراع السياسي والفكري بين العلويين والعباسيين على أشده فقد راقب المنصور الامام جعفر الصادق (رض) وابنه اسماعيل[٤٧] كما سجن عبد الله بن الحسن المحضى وعددا من العلويين وتشدد في البحث عن محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم حتى اضطرهما إلى الثورة وقضى على ثورتهما[٤٨] وسمى نفسه « المنصور » بعد انتصاره على العلويين . هذا ولا يخفى ما لهذا اللقب من أهمية روحية بين الناس فهو يعني « الشخص المعاون من قبل الله لاحراز النصر » وبكلمة أخرى فهو يعني المنقذ المنتظر أو القائم المنتظر الذي كان يتوقعه الناس[٤٩] . وكان المنصور في اتخاذه هذا اللقب يرد على ادعاءات العلويين ويظهر للناس ان قيادته هي الصحيحة . وردا على ادعاءات عبد الله بن الحسن المحض بان ابنه محمد النفس الزكية هو المهدي المنتظر روّج المنصور أحاديث تقول بأن « المهدي هو محمد بن عبد الله » ولكن أمه ليست هاشمية[٥٠] وذلك للدلالةعلى ان المهدي هو محمد ابن المنصور تمهيدا لاعلانه وليا للعهد .

ولقد شجع المنصور الشعراء ، وهم أسلحة الدعاية في ذلك العصر ، على ترويج الادعاء العباسي كما وانه شجع الكتابة في الامامة . فقد ألف عيسى بن روضة صاحب المنصور وكان متكلما جيد الكلام كتابا في الامامة ربما لدعم وجهة النظر العباسية . وكذلك ألف أبي سهل الفضل بن نو بخت

صاحب المنصور كتابا في الامامة (٥١) . وقد راجت أحاديث كثيرة نسبت إلى الرسول (صلعم) وإلى عبد الله بن العباس والامام علي بن أبي طالب (رض) والامام جعفر الصادق (رض) وغيرهم تدعم رأي العباسيين في الخلافة (٥٢) . كما وذكرت روايات أخرى بأن عبد الله بن الحسن المحض نفسه هو الذي أشار على جماعة من أهل خراسان بأن يتخذوا محمد بن علي العباسي اماما وقائدا باعتباره أفضل بني هاشم وسيدهم (٥٣) .

وهكذا فقد خاض المنصور معركة سياسية وفكرية مع العلويين تبلورت بموجبها وجهة النظر العباسية ولذلك فحينما تسلم المهدي الخلافة (١٥٨ – ٧٧٥ / ١٦٩ – ٧٨٥) كان عهده عهد استقرار نسبي واعلن المهدي رسميا بأن حق العباسيين بالخلافة يعود إلى ان العباس عم الرسول ووارثه . فيقول النوبختي حين يتكلم عن أصل الشيعة العباسية « ... فأوصى أبو هاشم إلى محمد بن علي ... فأوصى محمد إلى ابنه ابراهيم المسمى بالامام وهو أول من عقدت له الامامة من ولد العباس واليه دعى أبو مسلم ثم أوصى ابراهيم إلى أخيه أبي العباس ثم أوصى أبي العباس إلى المنصور والمنصور إلى المهدي . فردهم المهدي عن اثبات الامامة لمحمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم وأثبت الامامة بعد النبي واله للعباس بن عبد المطلب ودعاهم اليها . وقال كان العباس عمه ووارثه أولى الناس به ... » ويؤكد ذلك سعد القمي أيضاً (٥٤) . ويقول المسعودي أن الراوندية ادعوا « بأن رسول الله (صلعم) قبض وان أحق الناس بالإمامة بعده العباس بن عبد المطلب لأنه عمه ووارثه وعصبته لقول الله (واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وان الناس اغتصبوه حقه وظلموه إلى أن رده الله اليهم وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وأجازوا بيعة علي بن أبي طالب باجازة ابن عباس له وذلك حين قال (يا ابن أخي هلم إلي ابايعك فلا يختلف عليك اثنان) » (٥٥) . ويوضح الاشعري ان الادعاء الذي ظهر رسمياً زمن المهدي كان رجوعا عن الادعاء الذي سبقه فيقول « ثم رجع بعض هؤلاء (الكيسانية) عن القول وزعموا أن النبي نص على العباس بن عبد المطلب ونصبه اماما ثم نص العباس على امامة عبد الله ... وهؤلاء هم

الراوندية »[٥٦] . ويقول الشهرستاني ان الهاشمية تفرعت إلى فروع احداها نادت بان « للعباسين حق في الخلافة لاتصال النسب وقد توفي رسول الله وعمه العباس أولى بالوراثة »[٥٧] .

ويؤكد ابن حزم ان الراوندية قالت بأن الخلافة لا تجوز الا في ولد العباس بن عبد المطلب وان العباس عصب رسول الله ووارثه فاذاكان كذلك فقد ورث مكانه . ويرد ابن حزم عليهم فيقول « ان هذا لو كان لجاز في المال واما الرتبة فما جاء قط في الديانات انها تورث ولقد مات النبي والعباس حي فما ادعى العباس لنفسه قط في ذلك حقاً »[٥٨] .

ان تعليق ابن حزم الاخير ليدعونا أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ الطموح السياسي للعباسيين . فالمصادر لا تذكر للعباس بن عبد المطلب[٥٩] أي طموح سياسي لنيل الخلافة بعد وفاة الرسول (صلعم) . فلم يكن العباس من اوائل المسلمين حيث أنه على الاغلب أسلم قبيل فتح مكة سنة ٨ هـ — ٦٣٠ م . ومع ذلك فقد أبقى الرسول (صلعم) مسؤولية سقاية الحجاج على عاتقه بعد الفتح . وأيد العباس علي بن أبي طالب بعد وفاة الرسول (صلعم) ولكن الملاحظ ان منزلة العباس الدينية المتصلة بالحرم المكي قبل الاسلام وبعده وكذلك قرابته القريبة من الرسول (صلعم) وشيخوخته وسعت من شهرته بين الناس واتخذها العباسيون فيما بعد أساسا في دعم حقهم بالخلافة . فالمنصور يقول في رده على محمد النفس الزكية « ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والاولياء لأن الله جعل العم أبا » . وقال أيضاً « ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين اخوته »[٦٠] . ولم يكن عبد الله بن العباس[٦١] طموحاً من الناحية السياسية وكانت علاقته بالعلويين طيبة . وبالرغم من أن الروايات ذات الصبغة العباسية تظهره بمظهر المدافع عن حق العباسيين في البلاط الاموي الا ان المعتقد أن عبد الله بن العباس كان يلمح احيانا بحق الهاشميين بصورة عامة وليس حق العباسيين بالتخصيص .

ونفى عبد الله بن الزبير كلا من عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية إلى الطائف لعدم مبايعتهما له .

ولذلك فان الطموح السياسي للبيت العباسي بدأ بظهور علي [٦٢] بن عبد الله بن العباس الذي كان نشطا من الناحية السياسية ولذلك نظرت اليه السلطة الاموية بعين الشك والحذر الا ان عبد الملك بن مروان كان يتردد اليه لأنه كان يرى بأن التصادم معه ربما أدى إلى ازدياد شهرته بين الناس . أما الوليد الأول فقد سجنه وضربه بالسياط ثم نفاه إلى الشراة فاتخذ الحميمة مكانا لاقامته . وبعد وفاة علي العباسي ١١٨ — ٧٣٦ ظهر ابنه محمد [٦٣] شخصية قوية بين العباسيين . وكانت علاقة محمد العباسي بأبي هاشم عبدالله علاقة صداقة وتلمذة . ويظهر أن صلته بعبد الله بن الحسن كانت جيدة أيضا . الا انني يجب أن أستدرك فأقول بأن المعارضة الهاشمية للأمويين كانت تبقى موحدة ما دامت السلطة الاموية قويت ولكن ما ان بدأت هذه السلطة بالضعف وبدأ الأمل يكبر في امكان اسقاط دولة الامويين حتى ظهرت قيادات متعددة من بين بني هاشم مما أدى إلى تصدع وحدة المعارضة الهاشمية . والذي يهمنا هنا أن نقول ان ابا هاشم هذا هو الذي أوصى لصديقه وتلميذه محمد العباسي بوصيته المشهورة واعلمه أسماء دعاته وأتباعه . وبهذا انتقلت القيادة من العلويين إلى العباسيين . ان هذا التقارب بين أبي هاشم (وهو علوي غير فاطمي) وبين محمد العباسي ربما يمكن تفسيرة على ضوء الروايات التي تقول بأن كلا الادعائين الحنفي (نسبة إلى محمد بن الحنفية) والعباسي كانا مرفوضين وغير معترف بهما من قبل العلويين من نسل فاطمة (رض) أي الحسنيون والحسينيون . ولقد حذر الدعاة العباسيون اتباعهم من الاشتراك في ثورة زيد بن علي حين قيامها أو مساعدة ابنه يحيى في خراسان كما وان أبا مسلم الخراساني قتل عبد الله ابن معاوية بن جعفر بن أبي طالب [٦٤] وذلك لأن خراسان لا تتسع لأكثر من دعوة واحدة هي الدعوة العباسية .

وهكذا نرى بأن النواة الثورية للدعوة العباسية تشكلت حول محمد

العباسي الذي يعتبر بحق المنظم الاول للدعوة السرية باسم العباسيين . ثم انتقلت قيادة الدعوة من بعده إلى ابنه ابراهيم الامام [٦٥] حيث بدآ وجها فعالاجديدا للدعوة انتهى بدخول الجيوش الخراسانية مدينة الكوفة سنة ١٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ – ٧٥٠ م واعلان أبي العباس خليفة أول للدولة الجديدة .

وهكذا فقد انتقلت (الهاشمية) إلى (عباسية) وعُرفت العباسية بأسماء عديدة في خراسان خاصة في فترة الدعوة السرية من ٩٨ هـ – ١٢٨ هـ ومن هذه الاسماء الهاشمية للشيعة العباسية ، الكفيّة الخداشية ، الراوندية . واحتفظت هذه المنظمة السرية بخصائص التطرف التي كانت موجودة في منظمة أبي هاشم السرية الا انها تميزت بمرونة أكثر وذلك بظهورها بواجهات متباينة ورفعها شعارات مختلفة . .

ويظهر التطرف في مبادىء احد الدعاة وهو عمّار بن يزيد خداش وقد لقب بهذا اللقب – على أغلب الظن – دلالة على خدشه أي تمزيقه للدين . فلقد أرسل بكير بن ماهان داعية الكوفة عماراً هذا ليبشر بالدعوة العباسية سنة ١١٨ – ٧٣٦ م فبدل اسمه وبدأ ينشر مبادىء الخرمية فنجح في جذب السكان المحليين وبعض العرب أيضاً خاصة وأنه تساهل في العقائد الاسلامية وطعّمها بعقائد محليّة ايرانية ودعى إلى اباحيّة النساء وغيرها من المبادىء المزدكية . فلما ذاع أمره بين الناس قبض عليه والي خراسان الأموي أسد القسري وصلبه [٦٦] . وعندئذ بدأ الامام محمد العباسي من مبادىء خداش وأرسل إلى الدعاة رسالة يظهر غضبه عليهم لاتباعهم مذهب خداش . ويقول الطبري عن خداش « انه أظهر دين الخرمية ودعا اليه ورخص لبعضهم في نساء بعض » ويتهم المقدسي خداش بأنه أول من بشر بمذهب الباطنية . ويصف الطبري خداش بأنه صاحب الهاشمية . ويقول صاحب مخطوطة أخبار العباس أن محمد بن علي العباسي لما سمع بخبر خداش أرسل أبا هاشم بكير بن ماهان ومعه رسالتين إلى الدعاة في خراسان يقول في احداهما « اما بعد فقد عصمنا الله واياكم بطاعته وهدانا وإياكم سبيل الراشدين قد كنت

أعلمت اخوانكم رأيي في خداش وأمرتهم أن يبلغوكم قولي فيه واني أشهد الله الذي يحفظ ما تلفظ به العباد منزكي القول وخبيثه اني بريء من خداش وممن كان على رأيه ودان بدينه وآمركم أن لا تقبلوا من أحد ممن أتاكم عني قولاً ولا رسالة خالفتُ فيها كتاب الله وسنة نبيه (صلعم) » . (٦٧)

وسواء كان خداش يعمل بتوجيهات من محمد العباسي امام الدعوة ام أن خداش خرج عن الدعوة العباسية بدافع من طموحه حيث أراد أن ينصب نفسه زعيماً ، فان الامام محمد العباسي أدرك خطورة المبادىء التي أعلنها خداش ، بعد افتضاحها ، على سير الدعوة العباسية فأنكرها . ولكن الواجهة المتطرفة للدعوة بقيت موجودة وتمثلت (بالراوندية) (والفاطمية) . يقول المدائني : (٦٨)

« ان رجلاً من الراوندية ... تكلم بالغلو ودعا للراوندية فزعم ان الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم الائمة في واحد بعد واحد إلى ابراهيم بها محمد (العباسي) وانهم آلهة واستحلوا الحرمات فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم فعبدوا أبا جعفر المنصور » . وتنسب الراوندية إلى عبد الله الراوندي أحد الدعاة العباسيين في خراسان (٦٩) .

ويقول مؤلف مخطوطة أخبار العباس :

« كان قوم في دعوة بني العباس من أصحاب خداش يسمون الخداشية فسموا في زمن أبي جعفر (الفاطمية) وذلك أن شيعة ولد العباس افترقت بعد ابراهيم فقالت فرقة رجعت الوصية والامامة إلى آل علي . وظهر أبو خالد بنيشابور فطلبه أبو مسلم » (٧٠) .

وقد بقي بعض أنصار الدعوة البارزين يدينون بالتطرف فقد قتل أبو مسلم محمداً بن سليمان متهماً اياه بالخداشية ، كما وقضى على خلايا الراوندية في خراسان وثار الراوندية في هاشمية الكوفة على الخليفة أبي جعفر المنصور كما واتهم بعض صحابة محمد المهدي ولي عهد المنصور (بالرزامية) وهي فرقة متطرفة تفرعت من الراوندية . وبدت المبادىء المتطرفة في ثورات

عديدة قامت في ايران في العصر العباسي الأول مثل حركات سنباذ والمقنع (المقنعيه) وبابك الخرمية (الخرمية) . [٧١]

ان حركة خداش تعكس بصورة خاصة موقف المؤلفين في التاريخ والعقيدة في الفترة ما بعد القرن الثاني للهجرة ـ الثامن للميلاد وخاصة رجال السنة منهم ولذلك فهي لا تصور الا وجهة نظر واحدة ولا تعطي صورة حقيقة للفرقة الخداشية . فالمعروف ان الدعوة العباسية تطور لدعوة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وهي دعوة تتصف بالغلو . ولم يكن هناك ما يمنع الدعاة العباسيين أن يظهروا بشعارات دينية مختلفة فيدعوا إلى الاسلام الصحيح امام العرب والمسلمين ثم يمزجوا ذلك بمبادىء ذات صلة بالديانات الايرانية القديمة حينما يدعون إلى الثورة ضد الامويين أمام جمع من الايرانيين . فالمهم بالنسبة للدعاة هو كسب أكبر عدد من الأنصار ضد السلطان . ولقد اختلف المؤرخون المحدثون في موقفهم من تعاليم خداش ؛ اما كاترمير [٧٢] فيقول ان خداش كان مسيحياً من الحيرة يصنع الخزف ثم اعتنق الاسلام وهاجر إلى الكوفة حيث عمل معلماً . وانضم هناك في الدعوة السرية للعباسيين حتى أرسله بكير بن ماهان إلى خراسان وهناك تجرأ خداش على أن ينحرف عن التعاليم التي أصدرت اليه من قبل الامام وان الطريق الذي سلكه الدعاة قبله وتطرف في مبادئه غير الاسلامية فقيل عنه « خدش خداش الدين » . وبيّن كاترمير ان قتله اما كان من قبل الدعاة العباسيين الذي غاضهم ما نشره من اراء غير اسلامية أو من قبل اسد القسري والي الامويين على خراسان . وبهذا فان كاترمير يرى بان خداش حاد عن تعاليم الدعوة العباسية وعصى الامام العباسي . اما فان فلوتن فيرى بأن خداش بعد اسلامه اشتغل بتدريس القرآن ثم انضم الى الدعوة العباسية وارسل إلى خراسان حيث بدأ ينشر بين الناس بعض العقائد الخرمية مما أدى إلى نفور الامام والشيعة العباسية منه . ويستطرد فلوتن فيقول « وليس بعيداً أن يكون خداش قد دعا لنفسه بعد أن خرج على الدعوة العباسية .. وزعم انه يحيط بالاسرار

الالهية .. ثم أقام نفسه زعيماً . . . وهكذا تحقق الخطر الذي تنبأنا به وهو أن يسيء الدعاة استعمال ما علموه من أسرار الدعوة ويخونوا الامانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم جهاراً ... ثم انقطعت الصلة بين الخراسانيين وداعي الدعاة في العراق وظلت على ذلك حتى موت خداش » . (٧٣) ويؤكد ولها وزن ان خداش كان أول داعية ينجح في الدعوة العباسية حيث تدفق اليه أهل مرو بكثرة وقبلوا كلامه واتبعوه فالظاهر انه المؤسس الحقيقي لشيعة بني العباس في مرو عاصمة خراسان . وان الدعاة أصبحوا أكثر تعلقاً بخداش منهم بمحمد بن علي العباس نفسه. ولم يتنكر محمد بن علي لخداش الا بعد موت الاخير لا قبل ذلك ووصمه بالخروج والتضليل والفساد وانه حمل الشيعة على غير منهج الامام ، « كأنما كان خداش قد وجد حزب الشيعة امامه حزباً منظماً قبل أن يدخل هو فيه » (٧٤) . ويستطرد ولهاوزن فيقول بأن خداش استفاد من مبادىء المزدكية كاشتراكية النساء مثلاً ولكن ذلك لم يكن السبب الذي من أجله نفر العباسيون من خداش لأن « العباسيين في ذلك الوقت جمعوا الزنادقة حولهم وهم لم ينبذوهم ولم يظهروا بمظهر المتمسكين بمذهب السنة والجماعة الا بعد أن وصلوا إلى غايتهم ، اما في أول دعوتهم فانهم حاولوا استغلال كل معارضة من جانب فرق الشيعة لحكومة الامويين ... وهم (أي العباسيين) لم يقدموا أشخاصاً بل قدموا قضية أرادوا الدفاع عنها وهي نصرة الحق والعدل على الباطل وكانوا يأخذون البيعة للرضى من آل البيت وهو شخص مجهول » . ويعتقد ولها وزن بأن هدف العباسيين الأول هو أن يتعلق أكبر عدد من الأنصار حولهم فلم يعبأوا بالاباحية التي كانت موجودة عند (الهاشمية) وينتج من ذلك بأن استقلال حركة الشيعة الهاشمية برئاسة خداش في خراسان أقلق الامام العباسي وداعيته في الكوفة كثيراً اللذين خشيا أن تفلت زمام الحركة من أيديهما في خراسان ولكن الامام محمد استطاع آخر الامر أن يعيد سيطرته بعد مقتل خداش وعين سليمان بن كثير الخزاعي رئيساً للنقباء . وهكذا فان ولها وزن

يؤكد الواجهة المتطرفة للدعوة العباسية ويرى ان الامام لم يعترض على تطرف خداش الا بعد مقتله ، ولكن اعتراضه وقلقه في الحقيقة كان ناتج عن طموح خداش ونزعاته الاستقلالية التي قد تؤدي إلى قطع الصلة بتنظيمات الدعوة في الكوفة والحميمة .

أما موسكتي فهو لا يرى مبرراً لاتهام الدعوة العباسية بالغلو ويرى بأن عزو التطرف إلى خداش وأبي مسلم ما هي الا اتهامات تحتاج إلى التمحيص لأنها تمثل وجهة نظر بعض الكتاب وأهل العقائد السنيّة (٧٥) . ويوافق على هذا الرأي كلود كاهين (٧٦) حيث يقول بأن القسم الأكبر من أتباع العباسيين في خراسان ظلوا ضمن نطاق الاسلام الصحيح. ويشكو من قلة المعلومات التاريخية عن حركة خداش ويرى ــ والحالة هذه ــ أنه من الصعوبة اعتباره داعية عباسياً بل قد يكون من فرقة أخرى موالية لأهل البيت ولكن العباسيين كسبوه إلى جانبهم . وبعد هذا ما يقوله ويدعو له خداش قد لا ينال تأييد الامام العباسي الذي أنكر تصرفات خداش بعد مقتله . وليس هذا بالمستغرب خاصة واننا نعرف بأن هناك عناصر متطرفة في الدعوة العباسية . وأخيراً فان كاهين يرى بأن العباسيين مثلوا الاسلام الصحيح في حركتهم وان عدم ادخالهم لمبادىء الغلو والرجعة والتناسخ هو الذي جذب المسلمين نحوهم أكثر من غيرهم من فرق المعارضة . ويتساءل كاهين لماذا لم يتهم أعداء العباسيين الحركة العباسية بانحراف العقيدة ؟ ذلك لأنهم لم يكونوا منحرفين دينياً .

اما الدكتور الدوري(٧٧) فيرى بان خداش اظهر قبولا لبعض مبادئ الخرمية وتساهل في ادخال بعض العقائد غير الاسلامية فانضم اليه عدد كبير من الايرانيين . وكان دوره الرئيسي في جلب الخرمية وبهذا تجاوز الحدود المرسومة للدعاة حين قبل هذه المبادئ وخاصة اشتراكية مزدك وبذلك خلق مشكلة خطيرة وبذلك تبرأ منه الامام محمد العباسي وارسل بكير بن ماهان الى خراسان فاعاد تنظيم الحركة السرية وأخذ السمع والطاعة منهم للامام. فالاستاذ الدوري يرى بان التطرف من جملة المبادئ التي اتصفت بها الدعوة

ولكن خداش تجاوز الحدود المرسومة فأجبر الامام على التنكر لمبادئه.

والواقع فان الباحث في حركة خداش ضمن اطار الدعوة العباسية يلاقي تناقضات كثيرة والغموض لا يزال يكتنف الحركة الخداشية لقلة المعلومات التاريخية. فالمصادر تختلف في وقت تبرأ الامام من خداش. هل كانت بعد مقتله كما يقول اخبار العباس والطبري ام قبلها حيث لا يؤيد كتاب العيون والحدائق رواية الطبري ويستشف كذلك من كتاب العيون والحدائق ثنائية الدعوة السرية في خراسان(٧٨) وكان هناك دعوة هاشمية (نسبة الى ابي هاشم عبدالله(استمرت علوية من حيث شيعتها ودعوة عباسية تضم شيعة العباسيين ويوصم ابن حزم خداش وابا مسلم بالمروق والخروج عن الدين بينما يتجاهل كتاب الفرق والعقائد الاخرين اسم خداش.

ثم عدم وضوح معنى اصطلاح (الخزميّة) ومرونته في تلك الفترة يعتبر عقبة في سبيل تحديد المبادئ التي بشر بها خداش واتباعه.

وهناك تناقض في آراء الباحثين المحدثين حيث يقول ولهاوزن والاستاذ الدوري بان خداش نجح نجاحاً كبيراً فلماذا اذن يتنكر له الامام محمد العباسي؟ ألم يكن من الاجدر بالامام ان يشجعه او يسير على منهجه الناجح بعد موته؟ ام هناك اسباباً اخرى سياسية دعت الامام الى اتخاذ الموقف الذي اتخذه. واننا نجد من الصعوبة القول بان خداش كان يمثل وجهة نظره فقط وليس منهاج الدعوة السرية الهاشمية في الفترة قبل وفاته. ولكن الموقف تبدل بعد افتضاح امره وصلبه من قبل الامويين.

والخلاصة فان الدعوة السرية (العباسية) التي ترجع في اصولها الى الدعوة (الهاشمية) استغلت المبادئ الدينية الاسلامية ولكنها لم تتورع من ادخال آراء غير اسلامية متطرفة فظهرت بواجهة اسلامية للبعض وبواجهة متطرفة خرمية للبعض الآخر مما اكسبها مرونة وجلب لها الاتباع.

الباب الثاني

الواجهة السياسية

« أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »
القرآن الكريم – سورة الحج – الآية رقم ٣٩

« إن العربي يقول ... وهل اكثر النقباء الا من صميم العرب ومن صليب هذا النسب كابي عبد الحميد قحطبة بن شبيب الطائي ... ومَن كان يجري مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مثل مالك بن الطواف المزني . وبعد فمن هذا الذي باشر مثل مروان ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن صبارة ومن قتل ابن حنظلة الاعرب الدعوة والصميم من أهل الدولة »
الجاحظ – مناقب الترك ص ١٣

« فكانت الفتنة بين مضر بن سيار وعلي بن الكرماني ومن كان من العرب حتى اضجر ذلك كثيراً من اصحابهما وجعلت نفوسهم تتطلع الى غير ما هم فيه والى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة يدعو اليماني من الشيعة اليماني والربيعي الربيعي والمضري المضري حتى كثُر من استجاب لهم وكفوا بذلك عن القتال في العصبية » .
المؤلف المجهول – مخطوطة اخبار العباسي ص ١١٩ أ

لقد اسهب فان فلوتن وولها وزن والدكتور الدوري والاستاذ بندلي جوزي(٧٩) ويعقوبفسكي(٨٠) في ابراز الوضع الاجتماعي والاقتصادي السيء للشعوب الايرانية الخاضعة للسيادة العربية واكدوا على الروايات المبعثرة التي تظهر تعسف الولاة الامويين في التمييز الاجتماعي بين العرب والموالي وفي جباية الضرائب المفروضة على السكان المحليين.

ولسنا هنا بصدد تكرار ما ذكره اولئك المؤرخون فذلك مسطور في صفحات عديدة من كتبهم الا اننا نحاول بايجاز عرض الظواهر التي بينوها والرد عليها.

يورد اصحاب هذا الرأي الادلة التالية لاسناد دعواهم:

ان نجاح العرب السريع اكسبهم ثقةً واعتزازاً بانفسهم ورافق ذلك اعتزاز القبائل بانسابها حيث ترتبط المنزلة الاجتماعية بالنسب فنظروا الى سكان البلاد المفتوحة نظرة احتقار ولم تكن هذه النظرة ناتجة عن جنسية هؤلاء الناس غير العربية بسبب مهنهم اليدوية والزراعية.

أبعد العرب الموالي عن الوظائف الادارية الا في اعمال الجباية واعمال الكتابة في الدواوين وحرموهم من وظائف القيادة او الوظائف النبيلة.

حرم العرب الموالي من الانخراط في ديوان الجيش كمقاتلة ولذلك كانوا

محرومين من العطاء الا في النادر واذا ما اشتركوا في القتال منحوهم الفيء والغنيمة.

لم يكن غير العربي او الهجين يحلم بمنصب الخلافة فقد حرم منها مسلمة ابن عبد الملك رغم قابلياته الفذة.

اما من الناحية الاجتماعية فلم يكن غير العربي يخاطب بالكنية، ورفض العرب تزويج بناتهم من الموالي ولم يرحبوا بفكرة التزاوج مع الاجنبيات، كما واعتُبر بعض الموالي مفسدة للدين والدنيا.

اما عن الضرائب فلقد اشتدت وطأتها على الموالي وغير المسلمين من سكان البلاد المفتوحة فبالاضافة الى الخراج ضريبة الارض والجزية ضريبة الرأس فرض العرب ضرائب اضافية على الاعمال اليدوية وضرائب وهدايا النوروز والمهرجان وهي ضرائب ساسانية اعيدت في العصر الاموي. ولقد كانت هذه الضرائب غير المحدودة اشد انهاكاً للسكان من ضريبتي الجزية والخراج.

ان اول ما نود ان ننبه اليه هي اختلاط الروايات التاريخية في مطلع القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد بسبب ظهور الفرق الدينية السياسية ونشوب الفتن الكبرى بين المسلمين. وبقدر ما يتعلق الأمر بحالة الموالي والفرس يجدر الانتباه الى مبالغات الشعوبية ومغالطاتها. هذا رغم اننا لا ننكر وقوع مثل هذه الحالات من الضغط الاقتصادي والتمييز الاجتماعي إلا انها لم تكن في الحقيقة لتدل على الوضع العام بسبب كونها حالات فردية اصابت العجم (الضعفاء) واصابت العرب (الضعفاء) كذلك. ولا قياس على الحالات الاستثنائية.

ومع ان التزام العناصر العربية لزمام الامور في الدولة العربية يبدو شيئاً منطقياً الا ان العرب استخدموا الموالي بكثرة في ادارة الدواوين وكذلك في الاعمال المالية. وبرز من الموالي في العصر الاموي بعض القادة والولاة والقضاة وحتى خلفاء في آخر عهد الامويين. ولم يحتاج الامويون الى الموالي

في الجيش الذي كان جل مقاتلته من القبائل العربية ولم يكن هناك الكثير من الموالي المحاربين فلم يكن في جيش قتيبة الباهلي اكثر من ١٦٠٠ مقاتل غير عربي . اما الناحية الاجتماعية فلقد ظهر الكثير من الموالي اصحاب الكنى واود ان اشير الى ابي سلمة الخلال وابي مسلم الخراساني وابي هاشم بكير بن ماهان . ولعل عناية العرب بانسابها في مجتمع قبلي فرض عليهم التزامات معينة في عدم التزاوج مع الاجانب وليس في هذا ضير يوجب السخط والتذمر ويكون سبباً في ثورة عارمة .

ولقد وقع ثقل الضرائب على كل الناس من عرب وموالي وعجم غير مسلمين ولقد مر النظام المالي بين مد وجزر خلال الفترة الاموية فحينما فرضت الجزية على الموالي فرض الخراج على العرب في عهد الحجاج ثم في عهد عمر بن عبد العزيز والغى نصر بن سيار الضريبة الواحدة في خراسان وفرض الخراج على الارض مهما كانت جنسية الشخص المالك، وفرض الجزية على أهل الذمة. فامتعض منه الدهاقون واتباعهم الذ ين كانوا معفوين من الضرائب ، حيث كانت الضرائب تجبى من العرب المستقرين في قرى خراسان والذين امتهنوا الزراعة والتجارة ومن الموالي كذلك . ولقد كان العرب اول من تذمر من سياسة الامويين ،وقد جر العرب الموالي الى اخراجهم من علوية وعباسية وخارجية وغيرها وادخلوهم فيها فكان العرب اول من نظم الموالي وقادهم تحت ألوية عربية .

واذا ما استبقنا الحوادث والقينا نظرة على الوضع السياسي في ا لجناح الشرقي (ايران) للدولة الاسلامية في العصر العباسي لادركنا بان ايران كانت مصدر خطر على العباسيين يوازي بل يفوقه في احيان كثيرة خطر بلاد الشام على العباسيين . فلو كان أمل الايرانيين رفع الغبن الاقتصادي والاجتماعي لكان الاجدر بهم ان يساندوا الدولة العباسية التي ثاروا من اجلها وساندوها بكل قواهم كما يدعي نفس الفئة من المؤرخين المحدثين .

ولقد اظهرت حوادث الثورة العباسية بأن الايرانيين في مدن كثيرة لم

يشتركوا في الثورة ولم ينحازوا اليها بل ان قسماً منهم انحاز الى جانب نصر بن سيار والى الامويين على خراسان ضد الثوار العباسيين. واكد البروفسور گب(٨٢) انه لم تشترك في بلاد ما وراء النهر اية مدينة في الثورة العباسية فلو كان الضغط الاقتصادي والتمييز الاجتماعي للايرانيين المغلوبين قد بلغ ما يصوره هؤلاء المؤرخون لانتهزت تلك البلاد الفرصة — فرصة الثورة العباسية، وانتفضت عن بكرة ابيها مشتركة في الثورة.

كل ذلك يؤكد باننا يجب ان نبحث عن اسباب الثورة العباسية في ظواهر اخرى غير ظواهر الصراع العنصري والتمييز الاجتماعي والاقتصادي ذلك التمييز الذي إنْ وُجد فقد شمل العرب وغير العرب من العامة.

ان ما اهمله المؤرخون المذكورون هو سياسة الامويين الادارية والمالية في خراسان ومدى تأثيرها على مصلحة القبائل العربية من اهل خراسان من جهة ومن جهة اخرى سياسة الامويين العسكرية من حيث توسعهم في تركستان والسند ومدى تقبل القبائل العربية المقاتلة لها. ولم يعط هؤلاء المؤرخون كبير اهتمام الى علاقة العرب من اهل خراسان بسكان البلاد الاصليين وبالوالي الاموي والحكومة المركزية في دمشق ثم علاقة هذه القبائل بعضها ببعض تلك العلاقة التي حتمتها وقررتها المصالح الجديدة المتنوعة لهذه القبائل بعد استقرارها في المناطق الجديدة.

إن معرفة حالة خراسان قبل الثورة سيقودنا إلى معرفة أسباب الاستياء والتذمر عند (أهل خراسان)، وبالتالي أسباب الثورة العباسية.

تحديد اقليم خراسان: تعني (خراسان) بلاد المشرق او بلاد الشمس المشرقة. وقد اطلق هذا الاصطلاح في العصر الساساني على منطقة واسعة في القسم الشرقي من الامبراطورية جنوب نهر جيحون Oxus الذي يكون الحدود الطبيعية بين الشعوب الايرانية والشعوب التورانية(٨٣).

اما العرب فلقد اطلقوا هذا الاصطلاح على كل الاقاليم الشرقية حتى نهر الاندس Indus بما في ذلك بلاد التركستان وترانسكسونيا Transoxonian

وكان يحدها نهر جيحون من الشمال وصحراء (دشت كافر Dayht-ekavit) ، خوزستان وسجستان من الجنوب ، والصحراء الكبرى وطبرستان وبحر قزوين من الغرب ، وجبال هندوكوش ونهر الاندس من الشرق .

الا اننا يجب ان نستدرك فنقول بان التحديد الجغرافي لاقليم خراسان خضع دائماً للظروف السياسية ومصلحة اخرى الى قوة السلطة الحاكمة في ايران ولذلك كانت سعة الاقليم او صغره تتغير بين حين وآخر واستمر هذا الحال حتى بعد الفتح العربي الاسلامي للاقليم . ولقد ادرك الجغرافي ياقوت الرومي الحموي هذه الحقيقة حينما لاحظ ان الجغرافيين المسلمين اخطأوا في تحديدهم منطقة خراسان حيث ضموا اليها المناطق التي كانت تحت سلطة امير خراسان ولم تكن طبيعياً ضمن اقليم خراسان .

وتشمل خراسان مدن مهمة منها اربعة تناوبت مركز العاصمة في اوقات مختلفة اثناء الحكم الاسلامي للاقليم وهذه المدن هي نيشابور ، هيرات ، بلخ ومرو الشاهجان .

فتح العرب لخراسان: يتفق المؤرخون العرب ان خراسان فتحت ايام الخليفة عثمان بن عفان (٢٣/ ٦٤٤– ٣٥/٦٥٦) وعلى يد القائد عبدالله بن عامر بين ٢٩ / ٦٤٩ – ٣٥ / ٦٥٥(٨٥) . فبعد سلسلة من المعارك الفاصلة في شرقي العراق التي قررت مصير الجيش الساساني وانهكت قواه وانهت مقاومته للجيش العربي اصبح المجال مفتوحاً امام العرب للتغلغل في بلاده ايران . ولقد لجأ يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين الى مرزبان مرو سنة ٣١ هـ – ٦٥١ م الذي احتمله بعض الوقت ولكنه خاف من طموحه ونزعته لسلب السلطة من المرزبان فتآمر عليه مع أمير باذغيس فقُتل يزدجرد بعد محاولته الهرب في ضواحي مدينة مرو . ان تحالف مرزبان مرو مع أمير اجنبي ضد ملكه الساساني ليعطينا دليلاً واضحاً على درجة الانهيار الذي وصلت اليه الدولة الساسانية .

لقد ادى موت الملك الساساني وانهيار الجيش الى فقدان السلطة المركزية وهذا بدوره فسح المجال امام المرازبه وهم النبلاء الايرانيون المحليون المسؤولون

عن الدفاع المحلي ان يقوموا بمهمة الدفاع هذه كل في منطقته وان يحاربوا او يعقدوا ما شاؤوا من المعاهدات مع العرب الفاتحين .

ولقد عقد مرزبان مرو معاهدة مع العرب وبموجبها :

١ — ليس للمسلمين (أي العرب) أي شأن بتقدير الضرائب بل عليهم ان يستلموا مقدارها من الدهاقين . ومعنى ذلك أنه ترك للدهاقين أمر تقرير الضرائب وجبايتها وهم وحدهم المسؤولون أمام الوالي عن جباية الضرائب .

٢ — على الايرانيين أن يفسحوا المجال لاستيطان العرب وسكناهم في قراهم وبيوتهم . وكان لهذا الاجراء أهمية كبيرة لأنه كان الأساس في علاقات العرب الفاتحين بالسكان المحليين الايرانيين .

٣ — سمح العرب للمرزبان وعائلته ان يحتفظوا بالأراضي الخاصة التابعة لهم واعفيت هذه الأراضي من الضريبة .

٤ — تعهد المرزبان رفرسانه الأساورة (وهم الخياله التابعون إلى الأمير الأيراني) ان يساعدوا الوالي العربي إذا ما استنجد بهم .وبالمقابل يؤدي الوالي للمرزبان نفس الواجب .

ولقد ترك العرب إدارة خراسان بيد الدهاقين وهؤلاء هم طبقة النبلاء المحليين وكانوا في العهد الساساني مسؤولين عن الإدارة وتنظيم الضرائب وجبايتها . وكان الدهاقون — حسب التقاليد الساسانية — معفوين من الضرائب كما أعفي منها قسم من الجيش وموظفو الحكومة ورجال الدين ولذلك كان عبء الضرائب يقع على العامة من فلاحين وكسبه والمشاة في الجيش.وفي الفترة ما بعد الفتح العربي رضي الوالي بمقدار ٦٠ ألف درهم كضريبة سنوية واحدة يدفعها الدهاقون عن خراسان وهذه الضريبة قليلة نسبياً إذا ما قورنت بالضرائب التي كانت تدفع سابقاً وهذا يدل على تسامح العرب ومرونتهم .

وقد حاول بعض ولاة العرب اشراك رؤساء القبائل العربية التي اشتركت في فتح خراسان في الأعمال الإدارية أو الاشراف على جباية الضرائب في

مناطق معينة من الاقليم من أجل تدريبهم على الإدارة وقد نجحت هذه العملية حيناً وفشلت أحياناً . ولذلك بقي الدهاقون مسطيرين على الإدارة والجباية .

بدء استيطان العرب في خراسان : لم تكن السنوات التي تلت الفتح العربي لخراسان سنوات سهلة ولا هي فترة استقرار في تاريخ خراسان فلقد عبر السكان الايرانيون أكثر من مرة عن رفضهم للحكم العربي بانتفاضات محلية . ولم يكن مركز الوالي قوياً هناك بسبب ضعف السلطة المركزية في المدينة أو الكوفة نتيجة الحروب الأهلية والفتن المذهبية التي تلت مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان . ولقد اضطرت القوات الإسلامية على الانسحاب من خراسان فعلاً في خلافة علي بن أبي طالب (٣٥ / ٦٤٤ — ٤١ / ٦٦١) بسبب ضعف الجبهة الداخلية والثورات المحلية في خراسان .

ولكن تولي معاوية بن أبي سفيان [٨٧] (٤١ / ٦٦١ — ٦٠ / ٦٨٠) للخلافة وما تلاه من استقرار فسح المجال أكثر للحكومة بتوجيه اهتمامها إلى خراسان . ولقد كانت خراسان تابعة — عادة — إلى والي العراق وهو الذي يعين والي خراسان أو يحكمها مباشرة . فحين عين معاوية زياد بن أبيه والياً على العراق أعطاه كذلك خراسان وكرمان . وكان والي العراق يولي أمير خراسان وهذا بدوره يولي أمراء نيشابور ، طوس ، هيرات ، مرو وبلخ . وكذلك امراء ترمذ سمرقند ، بخاري ، شاش ، وخوارزم . وبقي هذا الاجراء الإداري متبعاً خلال الفترة الاموية حتى مجيء الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ / ٧١٧ — ١٠١ / ٧٢٠) الذي ألغى ولاية العراق وعين ولاة على البصرة والكوفة وفصل خراسان عن العراق ووضعها تحت سيطرته مباشرة وعين لها والياً مستقلاً . وقد سار يزيد بن عبد الملك (١٠١ / ٧٢١ — ١٠٥ / ٧٢٤) على سياسة عمر أول الأمر إلا أنه أعاد بعد ذلك ولاية العراق وعين مسلمة ابن عبد الملك والياً عليها ومسؤولاً عن خراسان التي أصبحت تابعة للعراق مرة ثانية . وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ / ٧٢٤ — ١٢٥ / ٧٤٣) عيّن خالد بن عبد الله العشري والياً على العراق الذي عين أخاه أسد

العشري والياً على خراسان . ولكن تعصب الولاة القبلي والثورات في بلاد ما وراء النهر اضطرت الخليفة إلى جعل خراسان تحت سيطرته المباشرة بدلاً من سيطرة والي العراق وإلى تبديل الولاة بصورة مستمرة — إلا أن هشام عاد واسند ولاية خراسان إلى سلطة والي العراق ولكن موت خالد العشري وتعيين يوسف بن عمر الذي أراد تعيين اميراً جديداً على خراسان من أعوانه دفع هشام إلى فصل خراسان عن العراق وعين نصر بن سيار الذي كان رجلاً حازماً متدبراً لعواقب الأمور فطناً حاذقاً لامور الحكم والسياسة . وقد بقي نصر والياً على خراسان بالرغم من محاولات يوسف بن عمر والي العراق لاستعادة سيطرته على خراسان حيث قال للخليفة :

« ان خراسان دَبرةٌ دبرة فإن رأى أمير المؤمنين ان يضمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت فإنه كان مع الجنيد وولي جسيم أعمالهم فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وانا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين فإنه اديب أديب ونصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت[٨٨] ».

ولقد كانت سياسة الامويين منذ البدء هي العمل على إنشاء قواعد ثابتة يقيم فيها المقاتلة العرب بصورة دائمية في خراسان وذلك لاقرار الاستقرار والأمن وللجهاد على الحدود الشرقية[٨٩] ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان وعلى عهد واليه على البصرة (وخراسان طبعاً) قام أمير بن أحمر والي مرو باسكان العرب هناك فكان أول من عمل على استيطان العرب في حوالي سنة ٥٤ هـ سنة ٦٦٥ م . ثم تمت المرحلة الثانية للاستيطان العربي سنة ٥١ هـ — سنة ٦٧١م على يد الربيع بن زياد الحارثي حيث نقل ٥٠ ألف من المقاتلة اضافة إلى عوائلهم واغلبهم من أهل البصرة واسكنهم خراسان . ثم استمرت هجرات العرب إلى خراسان تتوالى في فترات متقطعة وكانت سياسة أمير البصرة أن يرسل مثيري الفتن والاضطرابات وقطاع الطرق من الجماعات القبلية . ولا شك فإن هناك الكثير ممن رغب الهجرة إلى خراسان بدافع الجهاد والالتحاق بالمقاتلة على الحدود الشرقية للدولة[٩٠]

ان القبائل العربية التي هاجرت إلى خراسان كانت في غالبيتها من البصرة ومنها من الكوفة وكان طبيعياً ان تحمل هذه القبائل تقاليدها القبلية معها إلى البيئة الجديدة ولكن بمرور الزمن ظهرت تكتلات جديدة بين القبائل العربية القبلية القديمة . ولذلك نلاحظ الفخذ الصغير من العشيرة الكبيرة قد ينضم إلى عشيرة أخرى أو إلى تكتل قبلي آخر قوي نظراً لأن مصلحته اقتضت ذلك بغض النظر عن نسبه أو حلفه القديم . وهكذا ظهر زعماء وشيوخ قبائل يتمتعون بنفوذ كبير لا على عشيرتهم فحسب بل على قبائل أو افخاذ أخرى من قبائل مختلفة . فلم يكن جديع الكرماني الازدي أو نصر بن سيار أو سليمان الخزاعي شيوخاً لقبائل بل انضمت إليهم مجموعات قبلية أخرى لا صلة لهم بها من حيث النسب أو العصبية (٩١) .

ثم ان ارسال عناصر عربية جديدة من البصرة والكوفة وكذلك ارسال الجند السوري إلى خراسان لتعزيز مركز الأمير أو لدعم السياسة الاموية أدى إلى حدوث شقاقة وتصادم بين القادمين الجدد والعرب القدماء من أهل خراسان . فدمشق مثلاً كانت تشجع أمير خراسان على ارسال أكبر مقدار ممكن من الغنائم والفيء إلى بيت المال العام بينما عارض ذلك القواد وشيوخ القبائل المقاتلة واصروا على الاحتفاظ بأربعة اخماس الغنيمة وهو حقهم .

ان النزاع حول ريع خراسان وغنائمها من جهة وحول سياسة التجمير وهي ابقاء القوات المقاتلة شتاءً على خط النار ومنع عودتهم إلى عوائلهم أدى إلى اختلافات حادة بين (المقاتلة العرب) والامويين وكان لذلك نتائجه السيئة على الدولة الاموية فهي أولاً — أدت إلى ضعف سلطة الوالي وإلى مد وجزر في سلطة الخليفة الاموي ومدى تأييد القبائل له وقد اجبرت الخلفاء احياناً إلى التغاضي حتى عن حصتهم في الغنائم وإلى ارسال ولاة أقوياء لاعادة سلطة الحكومة . ولانهاء التكتلات كان الخليفة يعين قرشياً محايداً والياً على خراسان أو يجعل خراسان ولاية مستقلة تتبع الخليفة مباشرة كما ذكرنا ذلك سابقاً . ولا ننسى فإن ضعف الحكومة في دمشق بسبب التناحر بين امراء البيت الأموي

أو بسبب سياستهم القبلية كان له دوره في ضعف مركز الحكومة في خراسان .
وثانياً – ان هذا الخلاف بين الوالي والعرب من أهل خراسان دفع العرب إلى البحث عن أماكن أخرى غير مرو للاستقرار فيها ولو بصورة وقتية للتخلص من الاحتكاك بالوالي مثل مرو الروز ، هراة ، نيسابور وطالقان وغيرها . أو الاستقرار خارج مدينة مرو الشاهجان في القرى القريبة منها . ان هذا الاستقرار كانت له نتيجته المهمة ذلك لأنه ربما دفع العرب للحصول على الأراضي وزراعتها أو الاشتغال بالتجارة . فقد تذمر جماعة من بني تميم من الوالي الأموي لأنه سلط عليهم الدهاقين غير العرب لجباية الضرائب وهذا يدل على اشتغالهم بالزراعة واستيطانهم . فقد رأى هؤلاء التيميون بأن الواجب يقضي اعفاءهم من الضرائب لأنهم عرب ومسلمون كما وانهم استاؤوا لتسلط الدهقان الفارسي عليهم .

وكان لهؤلاء (العرب المستقزون) سبباً آخر للتذمر فهم بعد استقرارهم لم يصيروا مقاتله وحذفت أسماؤهم من الديوان ولم يكن لهم عطاء فكانوا ينظرون بعين الحسد إلى اخوانهم المقاتله أصحاب الامتيازات الذين كانوا دون شك ، أحسن منهم حالاً من حيث تسلمهم العطاء واشغالهم المناصب السياسية والعسكرية. أما ثالثاً – فقد كان للسياسة الأموية نتيجة مهمة وهي انها اسرعت في دمج العرب المستوطنين واختلاطهم مع السكان الايرانيين المحليين ، حيث شعر الجانبان بنفس الاخطاء السياسية وبعين المساوىء الاقتصادية وكان مصدر تذمرهم واحد وهو سوء سياسة الامير الأموي وجشع الدهقان الفارسي .

ولنا هنا ان نضرب مثلاً واقعياً عن السياسة الأموي وموقف العرب من أهل خراسان منها . فلقد كانت خراسان في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري سنة ١١١ هـ – سنة ٧٣٠ م في عهد الخليفة هشام الأموي مشغولة بحروب مع الايرانيين في بلاد ما وراء النهر . وكان الجيش الإسلامي يتكون من المقاتله العرب من القبائل ووحدة من الجيش السوري وحوالي ١٦٠٠ من الموالي الخراسانيين وعدداً من العبيد الذين يصحبون الجيش . وبمرور الزمن

أخذت بعض القبائل العربية من أهل خراسان تفضل الاستقرار في المدن والقرى المحيطة بها وتكره الحرب السنوية الطويلة الأمد . ان هذا الاتجاه عند بعض القبائل العربية قد أدى إلى ظهور عوامل جديدة في الموقف وإلى اتباع سياسة جديدة من قبل الخليفة هشام . فلقد اضطر الخليفة إلى ارسال ٢٠ ألف مقاتل من الكوفة والبصرة وأرسلهم إلى واليه الجنيد واخبره كذلك بأن يجند ١٥ ألف مقاتل في الجيش الذي سيرسله إلى ساحة القتال في الحدود الشرقية ، قائلاً :

« فافرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر ألفاً [٩٢] ».إن هذا الأمر من قبل الخليفة يحتاج إلى بعض التفسير على ضوء ما استجد على الحالة في خراسان . فعلى الرغم من وجود حامية عربية تقدر بحوالي ٤٠ ألف مقاتل فقد كان الخليفة يدرك تردد هؤلاء في القتال ولذلك فإن هذا الأمر لا يمكن ان يعني تجنيد ١٥ ألف من العرب الخراسانية المترددين في القتال.ومن الصعب تصور هؤلاء الـ ١٥ ألف من موالي خراسان حيث لم يكن هناك على احسن التقادير أكثر من ١٦٠٠ مقاتل من الموالي كما وان عدد المسلمين من الفرس لم يكن يقدر بألوف كثيرة . ولذلك فإن النص الآنف الذكر لا يمكن ان يفهم منه أكثر من أمر الخليفة بتحديد عدد المقاتله المرسلين إلى الجبهة بـ ١٥ ألف مقاتل. وعلينا ان نفهم النص كالاتي :

« فأفرض لخمسة عشرة ألف مقاتل فلا غاية لك في الفريضة لاكثر من ذلك [٩٣] » .

وبمعنى آخر فإن الخليفة أمر واليه على خراسان بان يسقط أسماء هؤلاء المقاتلة الذين يرفضون الجهاد من الديوان ويحرمهم من العطاء ، وفي الوقت نفسه فإنه سيرسل إلى خراسان مقاتلة جدد ممن يرغبون في القتال ولذلك فلا حاجة باجبار المترددين والمتقاعسين بعد وصول القوات الجديدة فالحرب على الجبهة لا تحتاج إلى أكثر من ١٥ ألف مقاتل . وهكذا فإن الخليفة هشام يعترف ضمناً بأن عملية الاستيطان والاندماج بين العرب والسكان الايرانيين

قد بدأت فعلاً . وبدأ العرب يحبون الاستقرار والاشتغال بمهن أخرى غير الحرب ولا يمكن للسلطة الاموية معارضة هذا الاتجاه الجديد بالقوة .

ان التدبير الذي اتخذه الخليفة هشام يدل أيضاً بصورة واضحة إلى ان العرب الخراسانية قد انقسموا في هذا العهد إلى قسمين : مقاتلة محاربين ومستقرين مستوطنين .

ولقد اتخذت عملية الاستقرار أشكالاً مختلفة ولكن ما لدينا من معلومات قليلة مبعثرة بين طيات الكتب التاريخية والجغرافية وكتب التراجم لا يعطينا فكرة واضحة عنها . والظاهر ان العرب من أهل خراسان استقروا بصورة دائمية أو وقتية في مرو وفي القرى المحيطة بها مثل سيفان وميهرجان وفنين واللين وغيرها كثير ، حيث يشير الطبري إلى قرى وأماكن سكنها العرب قرب مرو منها قرية بونيه وهي تابعة لطي وباسان قرية بني نصر وقرى سفيذغ واللين وفنين وكلها تابعة لقبيلة خزاعة ثم هناك قرى بني العنبر وكندة .

وسكن العرب مناطق أخرى غير واحة مرو وقراها مثل مدينة بلخ والقرى (المصانع) القريبة منها. واستوطن قسم منهم في بلاد ما وراء النهر مثل مدينة سمرقند

وعدا هذا وذاك فقد كان للعرب مسالح (أي مراكز عسكرية وقتية تتبدل مواضعها حسب تبدل الخطر الخارجي وحسب تبدل خطة القواد العسكرية) . ولذلك فإن استقرار العرب فيها كان وقتياً في العادة . لقد استغل الدعاة العباسيون الذين انبثوا في المدن والقرى التي استقر فيها المقاتلة العرب أو التي استوطن فيها المستوطنون العرب أسباب التذمر التي يعاني منها هؤلاء محاولين كسبهم بشتى الوسائل والشعارات والوعود منددين بالسلطة الأموية مثيرين الحساسيات بين المقاتلة والمستقرين وبين العرب « القدماء » وبين من هاجروا حديثاً إلى خراسان مستفيدين من تصادم مصالح هذه الكتل المختلفة ومن طموح شيوخ القبائل وتطلعهم إلى النفوذ وإلى ولاية خراسان مثل الحارث بن سريج وجديع الكرماني وشيبان الصغير ونصر بن سيار وشريك بن شيخ المهري وغيرهم .

حواشي الفصل الثالث

(٩) فاروق عمر : الخلافة العباسية (بالإنكليزية) ص ٧٤ فما بعد . ص ٢٥٢ .

(١٠) محمد جابر عبد العال الحيني : حركات الشيعة المتطرفين ، القاهرة ، ١٩٦٧ ص ٨٨ .

(١١) عن المختار الثقفي أنظر : الطبري المطبعة الحسينية ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ فما بعد — ابن أعثم الكوفي ، الفتوح (مخطوط) ص ٢٣٤ — ٢٥٨ — ابن الأثير ، الكامل ، القاهرة ١٣٠٢هـ ، ج ٧ ص ٧١ فما بعد . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١٥٠ فما بعد . البلاذري : أنساب الأشراف ج ٥ ، ص ٢١٨ فما بعد — المسعودي مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢١ — دائرة المعارف ا سلامية (بالإنكليزية) .

(١٢) أنظر

Rajkowski - *Eprly shi'ism in Iraq*, ph. D. Theris 1955: Gibb, government and Islam..» Elaberation d'Islam VII, pp. 115-127. — Hodgson, How did the early shi'ism become a sectarian?, J.A.O.P., 1955.— watt, the reappraisal of Abbāsid shi'ism *in Arabic And Islamic studeis*, 1965. - Cahen, «points de vue,.. » *R.H*: 1963. — Moscati, per una storia dela Antica si'o, *R.S.O.* 1955.

(١٣) فان فلوتن — السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ص ٩٢ فما بعد . برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، ص ٧٨ ، دائرة المعارف الإسلامية الجديدة(العباسيون) موسكتي ، وصية أبي هاشم ١٩٥٢ ص ٩ وما بعدها .

(١٤) ولها وزن : الدولة العربية وسقوطها (بالإنكليزية (ص ٥٠٣) .

(١٥) دائرة المعارف الإسلامية (مادة أبو هاشم) . دي خويه ، أنساب الأشراف للبلاذري، في مجلة ١٨٨١ ، ص ٣٩٤

إلا ان ادعاء دي خويه بأن العباسيين هم الذين سموا أبا هاشم وادعوا أنه أوصى إليهم بقيادة حركته السرية لا يعتبر تخريجاً صحيحاً لأنه لا يستند على مصادر تاريخية . كرّمير حول دولة الخلفاء العباسيين ، المجلة الآسيوية الجديدة ١٨٣٥ ص ٣٢٤ — ٣٢٥

(١٦) الدوري : **العصر العباسي الأول** ، ص ٢١ . الدوري . ضوء جديد على الدعوة العباسية ، **مجلة كلية الآداب والعلوم** ، العدد الثاني ١٩٥٧ . ص ٦٨ .

(١٧) حسن ابراهيم حسن — تاريخ الإسلام : ج ٢ ص ١١ .

(١٨) كاهين — وجهة نظر حول الثورة العباسية (باللغة الفرنسية) ، ١٩٦٦ ، ص ٣١١ .

(١٩) البلاذري : **مخطوطة أنساب الأشراف** ، ص ٦٧٨ أ — ٦٨٧ ب عن الهيثم .+ عدي .

(٢٠) البلاذري : **نفس المصدر السابق** ، ص ٦٨٧ ب أبو مسعود الكوفي عن عوانة .

(٢١) البلاذري **نفس المصدر** ص ٦٧٦ ب المدائني . وانظر أيضاً ص ٧٤٦ ب قالوا .

(٢٢) اليعقوبي : **التاريخ** ، نجف ١٩٦٤ ، ج ٣ ص ٤٣ . الطبري : تاريخ الرسل ، طبعة ليدن ، السلسلة الثالثة ، ص ٢٤ .

(٢٣) ابن سعد : **الطبقات** ، ج ٥ ص ٢٤١ . ابن حبيب ، **أسماء المغتالين** . . (نوادر المخطوطات تحقيق هارون ١٩٥٤) ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(٢٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١١١ . نفس المصدر ، **الإمامة والسياسة** (منسوب إليه) ج ٢ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٩ عن الهيثم بن عدي .

(٢٥) المسعودي : **مروج الذهب** ج ٦ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢٦) **العيون والحدائق** (للمؤلف المجهول) ص ١٨٠ .

(٢٧) الجاحظ : **فضل بني هاشم على بني عبد شمس** (السندوبي) ص٧٩ .

(٢٨) **مخطوطة أخبار العباس** ص ٧٤ أ — ٨٤ ب .

(٢٩) **مخطوطة أخبار العباس** ، ص ٨٤ ب — ١٨٥ أ عن يونس بن ضبيان عمن حدثه عن أبي جعفر محمد الباقر .

(٣٠) **المصدر السابق** ، ص ٨٥ أ — ٨٧ ب عن ابراهيم بن سلمة . والجدير بالذكر أن هناك رواية تذكر الوصية ، وكأنها حدثت قبل وفاة أبي هاشم بكثير حينما كان محمد يدرس على يديه حيث أوصى أبو هاشم أتباعه باتباع أبي هاشم بعد وفاته (ص٧٨ب)

(٣١) نبذة من كتاب التاريخ (المؤلف المجهول) ص ٢٤٨ ب — ٢٥٠ ب

(٣٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٤ ص ٤٧٦ — ٤٧٧ .

(٣٣) المقدسي : البدء والتاريخ ج٦ ، ص ٥٦ ــ ٦٠ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٦٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٨ ــ ٣٩ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، قاهرة ١٨٨٢ ، ج ٢ ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩ . ابن خلدون ، العبر . . طبعة القاهرة ، ج ٣ ص ١٠٠ المقريزي ، منتخب التذكرة (مخطوطة ص ٨٠ أ ــ ٨٠ ب الخطط ، ج ٤ ص ١٧٧ . ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥ عن رشد بن كروب. الداودي : عمدة الطالب ، ص ٢٨١ ــ ٢٨٢ . الصفدي : الوافي بالوفيات ريتر ١٩٣١ ج٤ ص ١٠٣ .

(٣٤) النوبختي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ . القمي : المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٣٥) الأشعري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١

(٣٦) البغدادي : المصدر السابق ،ص ٢٧ ــ ٢٨ . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص ١٥ ــ ١٦ . الاسفرايني ، التبصير بالدين ص ٧٥ : مخطوطة التبصير بالدين (باريس) ص ٧٨ ب .

(٣٦) النوبختي ص ٣٣ ــ ٥٠ ، القمي ص ٢٦ ، ٤٦ ــ ٤٧ . الأشعري ج ١ ، ص ٥ ، البغدادي ص ٢٢٧ ــ ٢٤٢ ، الشهرستاني ص ١٣٢ فما بعد . ابن حزم ص ١٨٠ ــ ١٨٥ . الاسفراييي ص ٧٠ ــ ٧٤ . الملطي : التنبيه والرد ص ١١٨ ــ ١٢٢ .

(٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، السلسلة الثالثة ص ٤١٨ ــ ٤١٩ عن المدائني . كذلك المقدسي ، البدء . . ج ١ ص ٨٣ . أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ج ٢ ، ص ٣ .

(٣٨) الطبري : تاريخ الرسل ، السلسة الثالثة ص ١٢٩ ــ ١٣٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ١ ص ٥٩ ــ ٦٠ . ابن الطقطقي : الفخري ص ١٤٢ ــ ١٤٣ . ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ص ٣٩٥ ــ ١٩٦ .

(٣٩) النوبختي ص ٢٢ ــ ٢٩ ، ص ٤٦ ــ ٤٧ ، القمي ص ٣٩ ــ ٤٠ ، ص ٦٩ ــ ٧٠ .

(٤٠) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٦ ص ١٨٦ ــ ١٨٧ ، أخبار الدول المنقطعة (المؤلف مجهول وتنسب للأزدي) ص ١٠٩ مخطوطة .

(٤١) الطبري : نفس المصدر السابق ، السلسلة الثانية ص ١٥٨٨ . فان فلوتن : السيادة العربية ص ٩٨ . كاهين : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٤ فما بعد : دائرة المعارف الإسلامية، مادة العباسيين (الطبعة الجديدة كتبها الأستاذ البروفسور برنارد لويس) .

(٤٢) مخطوطة أخبار العباس ص ٧٩ ب .

(٤٣) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٤٦٧ ــ ٤٦٨ . الطبري ، نفس المصدر السابق،

السلسلة الثالثة ص ٢٩ – ٣٠ ، المسعودي : **مروج الذهب** ج٦ ، ص ٩٧ – ٩٩ . **نبذة من كتاب التاريخ** ، للمؤلف المجهول ص ٢٩٢ أ .

(٤٤) الطبري : **تاريخ الرسل** ، السلسلة الثالثة ، ص ٣٢ – ٣٣ ، المبرد ، الكامل ، ج٤ ص ١١٠ .

(٤٥) الذهبي : **تذكرة الحفاظ** ج١ ص ١٧٠ .

(٤٦) الطبري : **المصدر السابق** ، السلسلة الثالثة ، ص ٢١٩ . المبرد : **الكامل** ج٤ ص ١١٨ الأزدي ، مخطوطة تاريخ الموصل ، ص ١٦١ –١٦٣ . **غرر السيّر** للمؤلف المجهول (مخطوطة) ص ١٨٣ أ . أنظر البلاذري : **أنساب الأشراف** (مخطوطة) حيث ينقل الرسالة ولكن باختصار ص ٦١٥ أ .

(٤٩) ابن الحائك الهمداني : **الإكليل** ، تحقيق انستلر الكرملي ، بغداد ، ١٩٣١ ، ص ٧١ – ٧٢ . نشوان الحميري : **شمس العلوم** ، ليدن ١٩١٦ ص ١٠٣ . إن لقب المنصور يظهر في الروايات الأسطورية منها والتاريخية بمظهر المهدي أو المنقذ المنتظر فهناك « منصور حمير » و « منصور اليمن » وقد نادى أتباع المختار زعيمهم قائلين « يا منصور أمت » . وقال أتباع زيد له بأنهم يأملون أنه « المنصور » وأن الوقت وقت زوال الأمويين وكان من جملة شعارات الدعوة العباسية « يا محمد يا منصور » إشارة إلى محمد بن علي العباسي . الطبري : السلسلة الثانية ص ١٦٧٦ ، ١٩٧٢ ، **أخبار العباس** ، ص ١١٠ أ فما بعد . ولها وزن **الدولة العربية** ص ٢٣٤ ، ٢٤٥.

(٥٠) الأصفهاني ، **الأغاني** ، ج١٢ ص ٨٥ » . . إن النبي ﷺ قال « المهدي منا محمد ابن عبد الله وأمه من غيرنا يملأها عدلا كما ملئت جوراً » .

(٥٢) النجاشي : **الرجال** ، ص ٢٠٨ . آغا برزك : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** ج٢ ، ص٣٣١

(٥٢) البلاذري : **أنساب الأشراف** (مخطوطة) ص ٧٠٠ أ . الأصفهاني : **مقاتل الطالبيين** ، ص ١٧٧ – ١٧٨ . **نبذة من كتاب التاريخ** (للمؤلف المجهول) ص ٢٣٩ أ ، ٢٤٠ أ ٢٤٢ أ . **أخبار العباس** (مخطوطة) ص٥ أ فما بعد . **أخبار الدول المنقطة** (مخطوطة) ص ٩٧ ب – ٩٨ أ . ابن عساكر : **تاريخ دمشق** ج٧ ص ٢٢٦ – ٢٤١ . الأصبهاني **حلية الأولياء** ج ١ ، ص ٣١٥ – ٣١٨ . ابن عبد ربه ، **العقد** : ج ٤ ص ١٣ . المقريزي : **المقفى الكبير** (مخطوطة) ص ٢٠٨ ب . ابن كثير : **البداية والنهاية** ج ١٠ ص ٤٨ . العاملي : **أعيان الشيعة** ، ج ٢ ص ١٣٣ ، ج٤ ص ١٣٣ ، ج ٤ ص ٥٥٤ ، ج ٦ ص ٢٤ ، ٢٧٩ .

(٥٣) العيون والحدائق (المؤلف المجهول) ، ص ١٦٩ فما بعد .
(٥٤) النوبختي ، ص ٤٢ ـــ ٤٣ .
(٥٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٦ ص ٥٤ ـــ ٥٥ .
(٥٦) الأشعري ، ج١ ، ص ٢١ .
(٥٧) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ١١٢ .
(٥٨) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ص ٩٠ ـــ ٩٢ .
(٥٩) ابن سعد : طبقات ، ج٤ ص ١ ـــ ٢٠ ، البلاذري : أنساب الأشراف (مخطوطة) ص ٧٠٧ ب ، ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٦٤ ـــ ١٦٥ ، دائرة المعارف (العباس) .
(٦٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، السلسلة الثالثة ، ص ٢١١ .
(٦١) ابن هشام ، سيرة ج٢ ، ص ١٠٠٨ ، البلاذري : أنساب الأشراف ص ٧٢٤ ب ج٤ ، ص ٣ ، أخبار العباس (مخطوطة) ص ٩أ ، ١٢أ ، ٣٦ ب .
(٦٢) البلاذري : أنساب الأشراف ج ٤ ، ص ٧٦ ، ج ١١ ص ٢٢٦ ، ٢٥٤ ، المخطوطة ص ١٧٤٤أ ، ١٧٤٥أ ، ٧٤٥ ب . ابن سعد ـ طبقات ج٤ ص ٢٢٩ . أخبار العباسي ص ٦٢ ب ، ٦٤ ب ، ٦٥ ب ، ٦٩ أ ، الأصبهاني : حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٠٧ .
(٦٣) البلاذري : المصدر السابق ص ٧٤٨ ب ، ٧٥٠ ب ، أخبار العباس ص ٧٣ ب ، ٧٨ ب ، ٨٧أ ، ٧٩أ .
(٦٤) أخبار العباس ص ١١٠أ ، ١١٥ ب . نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٥٥أ . الأصفهاني الأغاني : ج ١١ ص ٧٤ . أنظر كذلك الجاحظ ، البيان ج ٢ ص ٨٥ .
(٦٥) دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة ، مادة (إبراهيم الإمام) كتبها فاروق عمر .
(٦٦) فان فلوتن : السيادة العربية ، ص ٩٨ . ولها وزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ٤٨٣ الدوري : العصر العباسي الأول ، ص ٢٣ ـــ أنظر المصادر الأصلية الطبري ج ٢ ص ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٦٣٩ . أخبار العباس (مخطوطة) ، ص ١٠٠ ب .
(٦٧) أخبار العباس (مخطوطة) ص ١٠٠ ب ـــ ١٠١ أ .
(٦٨) الطبري ٣ ، ص ١٢٩ ، ص ٤١٨ .
(٦٩) أخبار العباس ، ص ١٠٥ ب .
(٧٠) op. cit ، ص ١٩٩ أ .
(٧١) أنظر الطبري ٣ ، ص ٥٨ ، ص ٣٦٥ . أخبار العباس ص ١٩٩ . الجاحظ : الحيوان ، ص ٧ ، ص ٨٣ .

F. Omar., *The ʿAbbāsid Caliphate* PP 229-238

(٧٢) كاترمير ، المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

(٧٣) فان فلوتن ، المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ص ١٠٣ .

(٧٤) ولها وزن op. cit ص ٣٨٨

(٧٥) موسكتي P. 476, VI, *R.L.*, Prudi Du Abu Muslim·

(٧٦) كاهين op. cit ص ٣٢٥

(٧٧) الدوري ، نظرة جديدة . . ، ص ٧١ — ٧٢ — Idem العصر العباسي الأول ، ٢٣ — ٢٧ ، ٣٦

(٧٨) كتاب العيون والحدائق ، ص ١٨٠

(٧٩) جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، بيروت .

(٨٠) Ya kubovsky — «Vosstaniye Mukanni, *S*.V., 1948. pp. 35 ff.

(٨١) أنظر : أبو يوسف ، الخراج ، قدامة بن جعفر ، الخراج — الجهشياري ، الوزراء والكتاب . البلاذري فتوح البلدان . ابن أعثم : الفتوح . الدوري ، نظام الضرائب في خراسان ، كلية الآداب ، ١٩٦٤ . شعبان : الجذور السياسية والاجتماعية . كب : سياسة عمر بن عبد العزيز المالية (بالإنكليزية) Arabica ١٩٥٥ دنيت : الجزية والاسلام ، هارفرد ، ١٩٥٠ . لوكارت ، نظام الضرائب الإسلامي في صدر الإسلام بالإنكليزية (كوبنهاغن ١٩٥٠ . الريس) ، الخراج في الدولة الإسلامية القاهرة .

(٨٢) Gibb, *The Arab conquent of Central Asia* London, 1923.

(٨٣) Irani, Khorason after th Arab Conquest, *All India Ortentol Conference*, 1946. p. 530 — 531.

(٨٤) ياقوت : معجم البلدان . ليدن ١٩٢٤ ، ج ٢ ، ص ٤١٠

(٨٥) طبري I . ص ٢٥٦٩ ، ٢٦٨٢ فما بعد . شعبان ، المصدر السابق ، ص ٢٢ العلي : استيطان العرب . . . المصدر السابق .

(٨٦) البلاذري : فتوح . ٤٠٤ فما بعد . يعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٩٣ . الطبري ، ص ٢٨٣٦ فما بعد .

(٨٧) البلاذري : فتوح ، ص ٤٠٩ فما بعد .

(٨٨) الطبري ٢ ، ١٧١٨ . دنيت : المصدر السابق ، ص ١٥٣

(٨٩) العلي ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٩٠) العلي op. cit ، ص ٣٨

(٩١) فاروق عمر ، الخلافة العباسية (بالإنكليزية) ، الفصل الثاني (الواجهة السياسية للثورة العباسية) .

(٩٢) الطبري ٢ ، ص ١٥٤٥

(٩٣) الطبري ٢ ، ص ١٥٤٥ . شعبان ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

الفصل الرابع

تنظيم الدعوة وتفجير الثورة

قال ابو هاشم عبد الله لاتباعه :

« .. وهذا صاحبكم (يعني محمد بن علي العباسي) فأتمّوا به واطيعوه ترشدوا فقد تناهت الوصايا اليه » .

مخطوطة اخبار العباس ، ص ٧٩ ب

قال محمد بن علي العباسي لاتباعه :

« .. ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدح فيها فساد وهم جند لهم ابدان واجسام ومناكب.. وبعد فإني اتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق » .

الهمداني ـ كتاب البلدان ، طبعة ليدن ، ص ٣١٥

قال محمد بن علي العباسي الى بكير بن ماهان :

« .. فامض على بركة الله لوجهك ... وما تلقى به العامة ان تدعوهم الى الرضا من آل محمد وتذكر جبور بني اميه وان آل محمد اولى بالامر منهم .. وابلغ اصحابك ما القيت اليك ومرهم بالكف الا في مثل ما القيتُ حتى يأتيهم رأيي وحذر شيعتنا التحرك

في شيء مما تتحرك فيه بنو عمنا آل ابي طالب فإن خارجهم مقتول وقايمهم مخذول وليس لهم من الامر نصيب وسنأخذ بثأرهم ... »

مخطوطة اخبار العباسي ، ص ٩٣ أ – ٩٣ ب

قال ابو مسلم الخراساني :

« امرني الامام (ابراهيم الامام) ان انزل في اهل اليمن وأتألف ربيعه ولا ادع نصيبي من صالحي مضر واحذر اكثرهم من اتباع بني امية واجمع اليّ العجم ... »

مخطوطة اخبار العباسي ، ص ١٣٨ ب

يعتبر محمد بن علي العباسي أول منظم للدعوة العباسية السريه . أما ابنه ابراهيم الإمام فكان المفجر لهذه الدعوة حيث نقلها من دعوة سرية إلى علنية ولكنه لم يجن ثمار عمله حيث قتل قبل ان يحقق العباسيون الانتصار فكان أبو العباس عبد الله بن محمد العباسي أول خليفة لبني العباس .

ويمكن تقسيم الأدوار التي مرت بها الدعوة إلى :

١ — الدور السري التحضيري ويبدأ من سنة ٩٧ هـ أو سنة ٩٨ هـ أو سنة ١٠٠ هـ على اختلاف الروايات التاريخية وكان مقر الدعوة الحميمة ونشاطها في الكوفة ثم مرو . ولم تكن تنظيماتها قد تبلورت في بادىء الأمر وجابهت انتكاسات قوية هزتها مثل حركة خداش والقبض على بعض الدعاة العباسيين .

٢ — الدور العلني الثوري ويبدأ بإرسال الإمام ابراهيم أبا مسلم الخراساني إلى مرو سنة ١٢٨ هـ — سنة ٧٤٥ — ٧٤٦ حيث أعلن الثورة ضد الامويين سنة ١٢٩هـ بعد ان اختمرت الحركة السرية العباسية . وينتهي هذا الدور بإعلان أبا العباس عبد الله نفسه خليفة في مسجد الكوفة سنة ١٣٢ هـ — سنة ٧٤٩ م ، وعندئذ اعلنت الحركة السرية عن صبغتها العباسية .

تنظيم الدعوة

لما تُسلم محمد العباسي زمام قيادة الحركة الهاشمية (نسبة إلى أبي هاشم) وصولها إلى عباسية خالصة في ولائها واهدافها . بدأت فترة أكثر تنظيماً ونشاطاً من سابقتها . فلقد تعرف محمد العباسي أول الأمر على اتباع الهاشمية الكبار فعرفهم سلمة بن بجير كبير الدعاة بالامام الجديد . فكتب محمد العباسي فيهم سجلاً ومنهم [١] :

سالم بن بجير - أبو هاشم بكير بن ماهان - أبو سلمة حفص بن سليمان - حفص الأسير - ميسرة النبال - موسى بن سريج السراج - زياد بن ورهم الهمداني - معن بن يزيد الهمداني - المنذر بن سعيد الهمداني وابراهيم بن سلمة .

وكان منهم كذلك فيما قيل أبو عمرو الازدي وابو الهذيل حسان السراج وأبو ابراهيم محمد بن المختار والوليد الأزرق .

ويلاحظ بان الاتباع الأوائل كانوا من قبيلة بني مسليه ومواليها وكذلك من قبيلة همدان . وذكر أحد الرواة « انما تأصل أمر الدعوة في بني مسليه وتولوا أمرها والقيام بها مدة قبل سلمة بن بجير » . ولكن عددهم ظل قليلاً ذلك لأن الامام العباسي ودعاته كانوا حذرين من الكوفة لتقلبها وميولها المتطرفة العلويه ولكثرة الشغب والعصبيات فيها . كل ذلك دعا إلى عدم الثقة فيها . ولذلك كان الاتباع قلة معدودة تبلغ الثلاثين ذلك لأن الامام قال لهم « امسكوا عن الجد في أمركم حتى يهلك اشج بن أمية (يقصد عمر بن عبد العزيز) .. ولا تستكثروا من أهل الكوفة ولا تقبلوا منهم إلا أهل النيات الصحيحة » [٢] .

وقد ترأس الدعوة في الكوفة بين ٩٨ هـ - ١٠٠ هـ أربعة رجال مشهورين : بجير بن سلمة ثم أبو رباح ميسرة النبال ثم سالم(وربما كان هذا سالم بن بجير)

ثم بكير بن ماهان (أبو هاشم).

ولم يمض وقت طويل حتى قرر الامام عملاً بنصيحة أبي هاشم عبدالله وبنصيحة بكير بن ماهان أيضاً أن ينقل مركز النشاط للدعوة إلى خراسان مع الاحتفاظ بالكوفة كنقطة ارتباط بين مرو (خراسان) والحميمة مقر الإمام. ثم سافر بكير بن ماهان إلى السند من أجل ميراث حصل عليه ومر في طريقه إلى جرجان ومرو حيث قضى فيها شهرين. واستطاع هناك أن يكسب بعض الأتباع منهم أبو عبيدة قيس بن السري وابو عامر إسماعيل بن عامر ويزيد بن النهيد وشبر بن النهيد وأبو محمد سليمان بن كثير وكان «من سكان مرو من أهل الديوان» [٣]: ويقال أنه «أول من عرف الدعوة بخراسان» [٤] وضم إلى الدعوة مالك بن الهيثم الخزاعي وعمرو بن اعين وزياد بن صالح وطلحة بن زريق وأبا داود خالد بن ابراهيم وعلاء بن الحارث وموسى بن كعب وعدة آخرين من خزاعة. وبعض الموالي كذلك. وقد أسس بكير بن ماهان نواة الدعوة العباسية وحذر الاتباع من الثورة مع آل أبي طالب [٥]. وكان هؤلاء هم الكفية.

ثم أرسل الإمام محمد العباسي أبا عكرمة زياد بن درهم السراج إلى خراسان وأمره بالسير على خطة بكير بن ماهان في كسب الاتباع وقال له: «فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد فإذا وقعت بالرجل في عقله وبصيرته فاشرح له أمركم .. وليكن اسمي مستوراً من كل أحد إلا عن رجل عدلك في نفسك .. وتوثقت منه وأخذت بيعته..فإذا قدمت مرو فاحلل في اليمنيين وتألف ربيعه وتوق مضر وخذ نصيبك من ثقاتهم» [٦] وأمره بتحاشي أتباع الفاطميين [٧].

ولقد كان اختيار محمد العباسي لخراسان موفقاً ويظهر ذلك من إدراكه لحالة الأقاليم الاسلامية الأخرى فهو يقول في وصيته لأتباعه حين اختلف الرأي حول المكان المناسب للدعوة.

«أما الكوفة وسوادها فشيعة علي. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف

وأما الجزيرة فحرورية واعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية — وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء .. وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق» (٨) .

إن هذا الرأي الذي أدلى به محمد العباسي ليصور بوضوح نزعات الأقاليم الاسلامية ولم يشر هذا الكلام إلى مصر التي كانت قريبة من الشام فلم يكن بالامكان اتخاذها مركزاً لحركة معارضة أو لاعلان ثورة أما افريقيا فلقد اصطبغت المعارضة هناك بصبغة خارجية منذ زمن طويل ذلك لأن البربر اتخذوا المبدأ الخارجي ليعارضوا به الحكم العربي . أما اختيار خراسان فلقد أرجعه المؤرخون (٩) إلى عوامل عديدة منها نظرية الحق الملكي المقدس الساسانية والمصاهرة بين العلويين والساسانيين (زواج الحسين من ابنة الملك الساساني) ومنها ما عاناه الخراسانيون من ضغط اقتصادي واجتماعي على يد الأمويين . ولكن هذه العوامل لا تقف أمام النقد العلمي الصحيح وهي تعد الآن قديمة في مغزاها التاريخي . وليس من السهل التعرف على الدوافع التي دفعت الامام لاختيار خراسان ولكن يمكن القول بأن خراسان كانت موطن المقاتلة العرب الذين مرستهم الحرب الطويلة مع ترانسكسونيا والذين عبروا مراراً عن تذمرهم من السياسة الأموية المالية والعسكرية . والمعلوم أن الخلفاء الأمويين منذ زمن عبد الملك بن مروان (٦٥ / ٦٨٥ — ٨٦ / ٧٠٥) أدركوا القلق وعدم الاستقرار السائد هناك . يقول مؤلف كتاب أخبار العباس :(١٠)

«في خراسان جمجمة العرب وفرسانها»

ولقد أصيبت الدعوة العباسية بانتكاسة وقتية ولكنها قويت وتحركت نوعاً ما حين عيّن خداش وهو عمار بن يزيد داعية في خراسان سنة ١١٨ هـ على أنه دعا إلى مبادىء غالية بعيدة عن الاسلام قريبة إلى المزدكية (الخرّميّة)

فقتله الوالي الأموي . وتبرأ منه الإمام العباسي وأرسل بكير بن ماهان ثانية إلى خراسان ومعه كتابان الأول لعامة الاتباع والثاني للحلقة الخاصة منهم .

يقول الإمام في الرسالة الأولى(١١) : «سلام عليكم فاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ... وأشهد أن الله يبدي الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحاكيم . فتبارك ذو الفضل العظيم ، أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله الذي لا يزيد في ملكه من اطاعه ولا ينقص من ملكه من عصاه بيده الملك ويبقى ملكه وهو عزيز ذو انتقام ...

... وتمسكوا بصالح الذي عاهدتم الله عليه وأدّوا الأمانة فيما عهد إليكم من أوليائه وخافوا الله أن تعصوه في شيء مما أمركم به واعتصموا بحبل الله جميعاً وخذوا بحظكم منه واشكروا بلاءه الذي أصبح بكم من سوابغ نعمه واعتبروا ما بقي بما سلف وإنما ضرب الله لكم أمثال ما مضى من الأمم لتعقلوا عن الله أمره بانكم قد رأيتم من الدنيا وتصرفها بأهلها إلى ما صار من مضى منهم وخبر ما يصيب الناس فيما بقي من الدنيا ... ثم اعلموا علماً يقيناً أن لأهل ولاية الله منازل معروفة كأنما ينظرون فيما أعطاهم الله من اليقين إلى عواقب الأمور ومستقرها .

...لاتصدقوا كذباً ولا تجمعوا خبيثاً ولا تخالفوا تقياً ولا تحتقروا يتيماً صغيراً ولا تنتهكوا ذمة ولا تفسدوا أرضاً ولا تشتموا مؤمناً ولا تقطعوا رَحماً... ولا تعصوا إماماً ولا تركبوا زيفاً ولا تطيعوا آثماً...ولا تختانوا ولاة أموركم وأحسنوا مؤآزرتهم وصيانة أمرهم،أعينوهم إذا شهدتم وانصحوا لهم إذا رغبتم.

... واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق التقوى لزوم حقه وخير الملل ملة إبراهيم وأفضل السنن سنة محمد (ص) وأعظم الضلالة ضلالة بعد هدىً ... ونفس تناجيها بتقوى خير من نفس أمارة بالسوء فاتقوا الله ولا تكونوا أشباهاً للجناة الذين لم يتفقهوا في الدين ولم يعطوا بالله اليقين . وإن الله أنزل عليكم كتاباً واضحاً ناطقاً محفوظاً قد فصل فيه آياته وأحكم فيه تبيانه وبين لكم حلاله وحرامه وأمركم أن تتبعوا ما فيه فاتخذوه إماماً وليكن لكم

قائداً ودليلاً فعليكم به ولا تؤثروا عليه غيره ... فإن الله قد بيّن لكم ما تأتون وما تتقون فقال لنبي الرحمة (قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وقال لنبيه ﷺ (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد). أسأل الله أن يجعلنا وإياكم مهتدين غير مرتابين والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» .

ثم دفع اليهم أبو هاشم بكير بن ماهان كتاباً آخر قال فيه الامام(١٢) :

«أما بعد عصمنا الله وإياكم بطاعته وهدانا وإياكم سبيل الراشدين . فقد كنت أعلمتُ إخوانكم رأيي في خداش وأمرتهم أن يبلغوكم قولي فيه وإني أشهد الله الذي يحفظ ما تلفظ به العباد ومن زكيّ القول وخبيثه وإني بريء من خداش وممن كان على رأيه ودان بدينه وآمركم ألا تقبلوا من أحد ممن أتاكم عني قولاً ولا رسالة خالفت فيها كتاب الله وسنة نبيه (ص) والسلام» .

ثم جاء قحطبة الكاثي بكتاب جديد عن الامام وكان قحطبة قد تأخر لمرض احتبسه فدفعه للشيعة العباسية فقرأه كامل بن المظفر أبو صالح وفيه يقول :

«وفقنا الله وإياكم لطاعته.قد وجهت إليكم شقة في بكير بن ماهان فاسمعوا منه وأطيعوا وافهموا عنه فإنه من نجباء الله وهو لساني إليكم وأميني فيكم فلا تخالفوه ولا تقضوا الامور إلا برأيه وقد آثرتكم به على نفسي لثقتي به في النصيحة لكم واجتهاده في إظهار نور الله فيكم والسلام» .

فازدادوا لابي هاشم تعظيماً وقلدوه أمرهم فأقام بين أظهرهم يتناول كور خراسان برسله ودعاته .

وقد نظم بكير بن ماهان العباسية تنظيماً محكماً فقسم الأتباع إلى نقباء يرأسهم شيخ النقباء والقائم بأمر خراسان سليمان بن كثير الخزاعي وكان ذلك سنة ١١٨ هـ . وأكد على وجوب بقاء الشعارات العامة وهي الدعوة للرضا من آل البيت والتنديد بظلم الأمويين وجورهم والثأر للمظلومين من أهل البيت الذين لهم الحق بالخلافة .

أما النقباء فهم اثنا عشر نقيباً[١٤] :

من خزاعة : (١) سليمان بن كثير

(٢) مالك بن الهيثم

(٣) زياد بن صالح

(٤) طلحة بن زريق

من تميم : (٥) موسى بن كعب

(٦) عيسى بن كعب

(٧) لاحظ بن قريظة

(٨) القاسم بن مجاشع

ومن طي : (٩) قحطبة بن شبيب

ومن شيبان : (١٠) خالد بن إبراهيم الذهلي

ومن بجلة : (١١) أسلم بن سلام

ومولى حنيفة: (١٢) شبل بن طهمان

ونلاحظ هنا بأن الأكثرية الساحقة منهم كانوا عرباً وكان هناك (نظراء النقباء) وعددهم ١٢ أيضاً وهم نواب للنقباء يخلفونهم إذا ماتوا أو فصلوا أو تركوا . وكان هناك ٥٨ داعية آخرين حيث يكون المجموع ٧٠ داعية . وتشير بعض الروايات إلى وجود (دعاة الدعاة) كذلك وربما كان هؤلاء مسؤولين عن تنظيم الدعوة خارج منطقة مرو في الأقاليم الأخرى[١٥] .

وهنا يجدر الانتباه إلى أن بعض الأسماء العربية لها ألقاب فارسية ولذلك لا يمكن اعتبارهم فرساً لأن كثيراً من مشاهير العرب سموا بأسماء المدن الفارسية التي عاشوا فيها مثل جديع بن علي الكرماني (الأزدي) والفضل بن سليمان الطوسي (التميمي) وحازم بن خزيمة المروزي (التميمي) . وهناك بعض العرب الذين تبنوا أو نعتوا بأسماء أو ألقاب فارسية مثل عمرو بن حفص الأزدي والهيثم بن معاوية العتكي وكان كل منهما يسمى (هزار مرو) . ولقد ظن بعض المؤرخين أن اصطلاح (أهل خراسان) يعني السكان الفرس المحليين

إلا أن المؤرخين الرواد المسلمين أطلقوا عادة اصطلاحات (أهل البصرة) (وأهل الكوفة) (وأهل الشام) (والجند الشامي) على القبائل العربية التي سكنت هذه الأمصار . وقد فهم مؤرخون آخرون من اصطلاح (سكان القرى) التي يستعملها بعض الرواد من المؤرخين أو الاخباريين أنهم سكان البلاد المحليين من الفرس الذين يتعاطون الزراعة إلا أننا لاحظنا بأن العرب وخاصة المستوطنين منهم في خراسان سكنوا القرى وامتهنوا الحرف .

وتخبرنا الروايات التاريخية أن دعاة آخرين أرسلوا إلى مناطق مختلفة من خراسان . فكان كل الدعاة الذين أرسلوا إلى نسا عرباً وكذا دعاة أبيورد وأرسل دعاة آخرين إلى بلخ ومرو الروذ وآمل وخوارزم . وكان العرب يكونون القسم الأكبر من هؤلاء الدعاة (١٦) .

وكان أتباع الدعوة يدفعون الخمس إلى الامام ليقوم بواجبه في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وكان بعض النقباء ينتهزون فرصة الحج ليلتقوا بالامام ويسلموه الخمس والهدايا ويتشاورون معه في أمر الدعوة وتطوراتها ولكن مغاليات محمد العباسي لم تكن تخطىء دائماً مع الأمويين . فقد أنذره الخليفة هشام بن عبد الملك وحذره ثم سجنه في دمشق متهماً إياه بعدم وفائه الدين الذي عليه لأحد الرجال . ولكن صحابة هشام نصحوه بألا يضيق على محمد فتزداد شهرته وينظر إليه منقذاً مرتقباً من الحكم الأموي وزعيماً للمعارضة ضدهم خاصة وأن العباسيين لم يألوا جهداً في هذا المجال فوضعوا الأحاديث عن الرسول (ص) بأنه تنبأ بأن الخلافة ستكون في أحفاد العباس وأنه سمى على العباسي «أبا الاملاك» ، وأن الخلافة ستبقى في يد العباسيين حتى يسلموها إلى عيسى بن مريم . كما وانهم استغلوا النبوءات والملاحم مدعين أن هناك (علامات مخبرات) عن مجيء العباسيين أصحاب الرايات السود من قبل المشرق وأنهم منتصرون لا محالة فلا ترد لهم راية قط . وان ابن الحارثية هو قائد هذه الجيوش القادمة من الشرق «يفتح الأمر بابن الحارثية من ولدي ثم يتوارثونه ...

ومنهم المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً » . ورفعوا شعار « يا محمد يا منصور » والمنصور هذا هو المنقذ الذي تتوقعه القبائل اليمانية[١٧] . وتظهر بوضوح فكرة الملاحم والاسرائيليات والتنبؤات بفكرة (المهدي) من بني العباس وبفكرة النقباء) الاثني عشر والدعاة السبعين اقتداءً بنقباء بني إسرائيل وبنقباء الرسول (ص) بعد بيعة العقبة .

تفجير الثورة

توفي محمد بن علي العباسي سنة ١٢٥ هـ — ٧٤٢ - ٧٤٣ م وكان قد أوصى لابنه إبراهيم بأن يكون إماماً للدعوة العباسية[١٨] . كما أوصى بكير بن ماهان قبل وفاته سنة ١٢٥ — ١٢٦ هـ برئاسة الدعوة في الكوفة إلى أبي سلمة حفص ابن سليمان الخلال . وتسلم إبراهيم الامام القيادة بدأ وجه جديد فعّال للدعوة فلقد كان اتصاله وثيقاً برؤساء الدعوة بكير بن ماهان ثم الخلال في الكوفة وسليمان الخزاعي في مرو .

وكان من أبرز ما قام به إبراهيم الامام بادىء ذي بدء هو اختيار اللون الأسود شعاراً للعباسيين وذلك لأن راية الرسول (ص) كانت سوداء أثناء فتح مكة وكانت راية علي بن أبي طالب في بعض حروبه سوداء أيضاً . كما وأن اختيار اللون الأسود كان اختياراً موفقاً لأنه يوافق اللون الذي تذكره الملاحم والنبوءات على أنه لون الرايات القادمة من المشرق للقضاء على جور الأمويين وإدالة دولتهم . لذلك كانت الأتباع العباسيون يسمون (بالمسوّدة) وكانت الدولة العباسية تسمى دولة المسوّدة[١٩] .

وكان إبراهيم قد أمر بكير بن ماهان بالرحيل إلى خراسان ليأمر الشيعة بالاستعداد وتسويد الرايات والثياب ، ويخبرهم بنبأ وفاة أبيه محمد ، فبايع الجميع الامام الجديد . وقد عاد بكير ومعه بعض الشيعة العباسية الذين التقوا

بابراهيم الامام وتعرفوا عليه وعجّلوه بأمر الثورة قائلين[٢٠] :

«حتى تأكل الطير لحوم أهل بيتك وتُسفكَ دماؤكم ، تركنا زيداً مصلوباً بالكناسة وابنه (يحيى) مطروداً في البلاد ، وقد شملكم الخوف وطالت عليكم مدة أهل البيت السوء» .

ولقد كان للتطورات السياسية في بلاد الشام نتائجها على الوضع في خراسان . فلقد بدت بوادر الضعف واضحة في الدولة الأموية منذ تولي الخلافة الوليد الثاني (١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م – ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م) . فلقد أبقى الوليد مضر بن سيار والياً على خراسان . والمعروف عن مضر أنه قبل توليه الولاية كان قائداً للمقاتلة العرب في بلخ ومعارضاً عنيداً لأمن العشري والي خراسان في حينه ، وقد ظهر في ولاية أسد القسري كذلك زعيماً عربياً جديداً لقبائل الأزد وللمقاتلة العرب البصريين «الجدد» حيث ساند أسد العشري وكان ساعده الأيمن في الادارة والحرب ضد خاقان الخُتّل في بلاد ما وراء النهر . ولقد قيل في تعيين مضر بن سيار الكناني والياً على خراسان بأنه لم يكن له عشيرة قوية هناك وهذا ما يجعله محايداً مستنداً إلى الحكومة المركزية[٢١] ولذلك هذا الزعم لا يقف أمام النقد فقد كان نصر زعيماً لكتلة عربية كبيرة في خراسان لا تضم مضر وحدها بل أفخاذ عديدة من قبائل أخرى . والظاهر أن العرب في خراسان كانوا قد انقسموا – بدافع من مصالحهم لا عصبياتهم القبلية – إلى كتلتين . تلتف الأولى حول مضر بن سيار وتتكون من «الرعيل الأول» من العرب القدماء في خراسان وتلتف الثانية حول جديع الكرماني وتتكون من المقاتلة «الجدد» . والحقيقة فإن تعيين الخليفة هشام وتأكيد الخليفة الوليد الثاني لهذا التعيين كان يدل دلالة واضحة على مساندة دمشق لكتلة مضر بن سيار لاعتقادها بأنها الكتلة الأقوى في خراسان وبواسطتها يمكن السيطرة على خراسان[٢٢] . إلا أن الخليفة الوليد ما لبث أن غيّر رأيه وجعل ولاية خراسان تابعة للعراق مرة أخرى . ولقد عزل والي العراق يوسف بن عمر مضر بن سيار وقام بتغييرات أخرى في عمال الولايات التابعة لخراسان مثل الشاش وآمل وصفانيان

إلا أن مضر أخّر سفرته من خراسان فقتل الوليد الثاني فجأة إثر مؤامرة دبّرها يزيد الثالث الذي أعلن نفسه خليفة (سنة ١٢٦ هـ — ٧٤٤ م) . وقد عين يزيد منصور بن جهور والياً على العراق فعين الأخير بدوره أخاه منظوراً والياً على خراسان . إلا أن مضر الذي عاد بسرعة إلى مرو استلم الولاية مرة أخرى دون تفويض شرعي من الخليفة أو الوالي ورفض الاعتراف بسلطة منظور بن جهور[٢٣] . وكان عمل مضر هذا يعتبر بمثابة إعلان للعصيان ضد دمشق وكان حكمه يعتبر غير قانوني لأنه لا يستند إلى تأييد الخليفة .

ولقد قام مضر بن سيار خلال هذه الفترة من ولايته على خراسان بعدة محاولات لجمع الشمل والوفاق بين القبائل العربية برئاسته وخطط لمشاريع اصلاحية في نظام الضرائب .

فلقد أعاد نصر العاصمة إلى مرو بدلاً من بلخ التي كان أسد العشري قد اتخذها عاصمة لخراسان في فكرة ولايته . ثم نظم نصر الادارة الاقليمية فعين ولاة محليين مضريين ويمانيين على المدن والمناطق المختلفة من خراسان مثل سرخس ونسا وابيورد .

ولم يفلح نصر في كسب ودّ جديع الكرماني الأزدي ولذلك فقد أقصاه من مركزه كزعيم للأزد ولكن هذا الاجراء لم ينجح بسبب نفوذ الكرماني وضعف مَن خلفه على رأس الأزد ولذلك أعيد إلى مركزه . أما «الإصلاح المالي» الذي قام به نصر فهو في الحقيقة لم يكن أكثر من تعديل وتصليح لإساءة الدهاقين لاستعمال وظائفهم وذلك بفرض الضرائب على المسلمين من عرب وسكان محليين وإعفاء المشركين من أعوانهم ومعارفهم من الضريبة . أي أنهم أثقلوا على المسلمين في الضريبة مقابل إعفاء المشركين من الضرائب المقررة عليهم من قبل بمعاهدة مرو نفسها . وكان هذا الاجراء من جانب نصر في حقيقته تقرباً منه إلى المستوطنين العرب وكذلك المسلمين من السكان المحليين الايرانيين . وقد عين نصر منصور بن عمر ليراقب الدهاقين ويعيد تنظيم الضرائب وفرضها على من تُستَحق عليه . وقد أعفى المسلمين من الضرائب

الإضافية الثقيلة التي فرضها عليهم الدهاقين وأعاد فرضها على أهل الذمة . يقول الطبري ان نصر قال :

«فأيما رجل من المسلمين كان يؤخذ منه ضريبة من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك إلى منصور بن عمر يحوله عن المسلم إلى المشرك» .. فأتاه ٣٠ ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم و٨٠ ألف مشرك ألغيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم ورفعه عن المسلمين(٢٤) ولم يكن نصر في هذا مبتدعاً نظاماً جديداً بل أعاد تطبيق الشروط المنصوص عليها في معاهدة مرو . ومما لا شك فيه فإن هذا الإجراء استفز الدهاقين وأتباعهم وأثار تذمرهم .

كما قام نصر بحملات في بلاد ما وراء النهر وترانسكسونيا وخاصة الشاش واتفق مع أميرها على طرد الحارث بن سريج المرجئي بن الشاش إلى فيراب .

إلا أن منافسي نصر بن سيار من زعماء القبائل مثل الكرماني استغلوا الأزمة التي نشبت بينه وبين دمشق بعد مقتل الوليد الثاني . وكان الكرماني طموحاً يتردد في استعمال أنكى الوسائل من أجل الوصول إلى السلطة حتى لو كان ذلك – كما قال عنه أحد معارفه – «بمساعدة اليهود» . وقد اعتقل نصر الكرماني ووضعه في السجن سنة ١٢٧ هـ – ٧٤٤ م . ونقل نصر مقرّه إلى قريه (ماجان) القريبة من مرو محاولاً التقرب من شيوخ القبائل من ربيعة واليمن(٢٥).

إلا أن جديع الكرماني استطاع الهرب من السجن بمساعدة أعوانه وتمركز في قرية (نَوش) حيث انضم اليه الأزد وخاصة معن وكذلك أعداد لا بأس بها من العرب المستقرين من قبائل مختلفة . ولكن نصر استطاع أن يحسم الخلاف ووعد بدفع العطاء للعرب وخاصة منهم أتباع الكرماني .

وفي العراق حدث تبدل مهم بإقصاء منصور بن جمهور الكلبي وتعيين عبدالله بن عمر بن عبد العزيز من قبل الخليفة يزيد الثالث . وقد ثبت عبدالله

نصراً والياً على خراسان وهكذا عادت الصفة القانونية لولاية نصر واعتبر ذلك دون شك فوزاً كبيراً لنصر بن سيار وكتلته ، فما كان من ابن الكرماني إلا أن يعلن عصيانه على نصر مرة ثانية . وانسحب إلى قرية (ماسرجسان) [٢٦] وانضم إليه يحيى بن نعيم مع أفخاذ من ربيعة وكذلك انضم اليه كندة وبعض مضر وقسم كبير من الجند السوري[٢٧] . وهكذا فلم يكن هناك صبغه قبلية معينة لأنصار الكرماني أو اتباع نصر بل كانت المصالح هي التي تتحكم في قرارهم بالانضمام إلى أي من الجانبين .

وفي سوريا فقد أدى موت يزيد الثالث وعدم وجود سلطة معترف بها في دمشق على أثر الاضطرابات التي تلت ذلك حتى مجيء مروان إلى الخلافة ، إلى ضعف مركز نصر ذلك لأنه لم يكن يمثل سلطة شرعية معروفة في خراسان في الوقت الذي أخذ مركز الكرماني يزداد قوة وكذلك ساعد هذا الوضع القلق على ظهور الحارث بن سريج المرجيء مرة ثانية على المسرح السياسي في خراسان . ولكن مجيء مروان الثاني (١٢٧ / ٧٤٤ — ١٣٢ / ٧٥٠) إلى الخلافة وتعيين يزيد بن عمر بن هبيرة الذي اعترف بولاية نصر لخراسان أعاد القوة إلى مركز نصر الذي اعترف بخلافة مروان . ولكن البلبلة السياسية استمرت فلم يكن من رأي كل اتباع نصر الاعتراف بخلافة مروان حيث عدها الكثير من القبائل اغتصاباً للحكم من أصحابه الشرعيين ، وقد استغل ذلك الحارث بن سريج المرجيء الذي ثار الحارث مستغلاً الخلاف وجمع له داعيته جهم ابن صفوان أتباعاً كثيرين . وطالب الحارث تطبيق كتاب الله وسنة نبيه وتعيين موظفين قديرين نزهاء[٢٨] . ويغلب على الظن أن الحارث لم يكن مخلصاً فيما دعى إليه وإنما كان زعيم قبيلة ورجل سياسة حاول بهذه الشعارات أن يكسب الانصار وهو لم يتورع عن الانضمام إلى الترك المشركين [٢٩] واستخدامهم — قبل الآن — لشن الهجمات على المسلمين وقد عاش بين هؤلاء المشركين سنين عديدة .

ولما كان جديع الكرماني لا يزال يدعو إلى إقالة نصر وتعيين والي آخر من

بكر بن وائل بدله فإن الحارث والكرماني اتفقا على حرب نصر . وقد دحر نصر الحارث في الجولة الأولى إلا أنه اضطر بعد تقدم اتباع الكرماني إلى الانسحاب إلى نيشابور ودخل الكرماني والحارث مدينة مرو[٣٠] . ولكن الحارث اضطر إلى قتال الكرماني ذلك لأن أتباع الحارث وخاصة أصحاب الورع منهم أدركوا بأنه رجل سياسة ومثال أكثر من كونه صاحب مبدأ ولذلك بدأ الكثير ينسحب منه وقد أدرك الكرماني أن الوقت قد حان للتخلص من الحارث فهاجمه وشتت أعوانه وقتله في رجب سنة ١٢٨ هـ — نيسان ٧٤٦ م إلا أن نصر بن سيار لم يترك الكرماني يتمتع بنشوة الانتصار فقد بدأ يعدّ نفسه لاعادة احتلال مرو والقضاء على تمرد الكرماني وإعادة هيبة السلطة الأموية .

لقد كانت كل هذه الظروف في صالح الدولة العباسية حيث اختمرت وحان الوقت المناسب لاعلانها ثورة على الأمويين . فبعد أن ترأس أبو سلمة الخلال زعامة الدعوة في الكوفة قام بعدة زيارات إلى خراسان حيث زار جرجان والتقى بالمسؤول عن الدعوة فيها وهو أبا عون (عبد الملك بن يزيد الأزدي) «وهو يومئذ رئيس القوم وقد لقي الامامين جميعاً وعظم قدره في الدعوة[٣١]» . وفي مرو التقى بسليمان الخزاعي «صاحب أمر الشيعة بخراسان» . وأرسل مجاشع بن هريث الانصاري ومعه راية سوداء إلى بلاد ما وراء النهر .

وكان أمر العرب بخراسان قد اضطرب «وتعصبوا وتحزبوا واقتتلوا وهم متحيرون قد قتل الوليد بن يزيد ولم يأتهم الخبر باجتماع الأمر لغيره ، فتمكن أبو سلمة في تلك الأيام مما أراد واستثارت الدعوة وقوي أصلها» . وكان العرب من أهل خراسان يتوقون إلى أمر يجمعهم وكانت الدعوة العباسية هي ذلك الأمر الذي نجح في جمع شملهم «فتحركت الدعوة يدعو اليماني من الشيعة اليماني ، والربعي الربعي ، والمضري المضري فكثر من استجاب لهم[٣٢]» .

أبو مسلم ممثل الامام في خراسان :

وقد طلب النقباء الخراسانيون سنة ١٢٨ هـ — ٧٤٥ م حينما اختمرت

الدعوة وضعف أمر السلطة الأموية في خراسان من إبراهيم الامام إرسال من ينوب عنه من أهل البيت ليكون ممثلاً له أثناء إعلان الثورة . وبعد أن فشل إبراهيم الامام في إقناع عدد من الرجال مثل سليمان الخزاعي وقحطبة الطائي وإبراهيم بن سلمة قرر اختيار مولاه أبا مسلم الخراساني ليمثله في خراسان(٣٣).

إن شخصية أبي مسلم – أحد القادة الرئيسين في الثورة – ودوره في الحركة العباسية قد أصبحت أسطورة نسجت حولها الروايات العديدة . وقد بولغ في دوره أثناء الثورة وبعدها وأظهرته بعض الروايات بمظهر المحرك الرئيسي للسياسة العباسية في السنوات الأولى بعد تأسيس خلافتهم حتى مقتله سنة ١٣٧ هـ – ٧٥٤ م على يد المنصور . وأكثر من هذا فإن أبا مسلم اعتبر شهيداً في نظر العناصر المستاءة من الحكم العباسي وخاصة الايرانيين منهم الذين خابت آمالهم في العباسيين واعتقدوا – بعد موت أبي مسلم – بأنه المنقذ المنتظر الذي سيرجع إلى هذه الأرض « فيملأ عدلاً بعد أن ملئت جوراً » .

ومما زاد في غموض الأمر عدم تصريح أبي مسلم نفسه عن أصله ويعزى إليه القول حينما سئل عن أصله وهدفه «ان ديني هو الاسلام وولائي لآل محمد وأنا على الطريق الصحيح» . وقيل أنه ادعى النسب العربي أيضاً إلا أن هذا الادعاء كان متأخراً . وربما كان في الامكان عزو السبب في غموض أصل أبي مسلم والدور الذي لعبه في الثورة إلى تطور الأحداث بعد اغتياله من قبل فإن الروايات المعادية والمؤيدة للعباسيين إما بالغت أو قللت من دوره في الثورة .

وفي مخطوطة أخبار العباس وولده (٣٤) روايات كثيرة متضاربة حول أصل أبي مسلم وانضمامه إلى الدعوة العباسية . وكذا بالنسبة إلى روايات الطبري واليعقوبي (٣٥) وغيرهم من المؤرخين . وتبعاً لذلك فقد انقسم المؤرخون المحدثون فاعتبره بعضهم مولى فارسياً واعتبره آخرون عبداً . ويصفه أبو دلامة حين يهجوه بأنه كردي الأصل .

وإذا ما صدقنا الرواية التي يتناقلها الكثير من المؤرخين فعلينا أن نقول بأن أبا مسلم ولد في قرية قرب اصبهان من أب فارسي مسلم وأم أمة . ولقد

اضطر والده تحت ظروف مالية قاهرة إلى بيع الأمة وكانت حاملاً بأبي مسلم إلى عيسى العجلي الذي كان يمتلك بعض الأراضي في ضواحي أصبهان. وحينما وضعت الأمة طفلاً ذكراً سمي إبراهيم ونشأ مع أولاد العجلي. وحينما شب الطفل بدأ يخدمهم ويجمع لهم الأموال من مزارعهم المنتشرة في أصبهان والكوفة وأصبح مولاً لهم(٣٦).

وفي الكوفة تعرّف لأول مرة على بعض الأتباع من الشيعة العلوية المتطرفين وجذبه العمل من أجل «أهل البيت». حتى أنه اشترك في المغيرة بن سعيد العجلي في الكوفة سنة ١١٩ هـ – ٧٣٧ م ولكن استطاع أن يفلت من السلطة الأموية ولم يمس بأذى. وظل ملازماً لأبي موسى السراج يعمل معه في صناعة السروج ويتلقن منه الآراء الشيعية والولاء لأهل البيت.

وكان تعرّف أبي مسلم للمرة الأولى على المنظمة السرية العباسية حينما التقى ببعض الدعاة العباسيين الذين زاروا بعض العجليين في سجن الكوفة وكانوا في طريقهم إلى الحجاز. وكان أبو مسلم يخدم هؤلاء العجيليين في السجن فرأوا فيه كفاءة وذكاء فكسبوه إلى دعوتهم وأخذوه معهم إلى إبراهيم الامام بعد أن أذن لهم بذلك أبو موسى السراج(٣٧). وقد رأى إبراهيم الامام الكفاءة والذكاء والقدرة في أبي مسلم فأخبر الشيعة العباسية بأنه قد «تأمل فيه شمايل الذي يقوم بهذا الأمر (الثورة) فاحفظوا به وارعبوا فيه فإنه صاحبكم الذي يقوم بالأمر(٣٨)»، وبدّل اسمه إلى عبد الرحمن بن مسلم وكناه بأبي مسلم. وبقي في خدمته يستعمله في حمل رسائله إلى الكوفة وخراسان حتى سنة ١٢٨ هـ ٧٤٥ م حين أرسله إلى خراسان.

ولقد كان أبو مسلم على معرفة بأحوال خراسان حيث زارها قبل ذلك عدة مرات بأمر من إبراهيم الامام وكانت إحدى هذه الزيارات مع أبي سلمة الخلال حيث التقى الأخير بالشيعة «وأمرهم بالاستعداد وقال لهم قد حضر امركم فأعدوا واستعدوا ...(٣٩)». على أن ابراهيم حين أرسل أبا مسلم هذه المرة قال له «أنت منّا أهل البيت» تلك العبارة التي تدل على ثقته التامة به

رفعت كثيراً من منزلته بين شخصيات خراسان العربية وهي تذكرنا بموقف الرسول (ص) من سلمان الفارسي وهو أعجمي من أصفهان تبناه الرسول كمولى له واعتبره من أهل بيته . وكانت وصيته كما جاءت في الطبري وابن قتيبة :

«يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت ، احفظ وصيتي : انظر إلى هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وانهم ربيعة في أمرهم وأما مضر فانهم العدو القريب الدار . واقتل من شككت فيه . وإن استطعت ألا تبقي بخراسان من يتكلم العربية فافعل . وايما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله . ولا تخالف هذا الشيخ (سليمان بن كثير الخزاعي) ولا تعصه وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني[٤٠] » .

إن هذه الوصية غير متفق عليها من قبل المؤرخين لذلك لا يمكن قبولها دون تمحيص . فالنقد الخارجي للنص يظهر بأنه مذكور دون سلسلة رواة في الطبري . أما رواية ابن قتيبة فيضعفها كون المؤرخ غامض وغير متكامل وفي رواياته عن العباسين. ولا ذكر للنص في مصادر مهمة أخرى مثل أنساب البلاذري وأخبار العباس . وليس هناك أهمية كبيرة لذكرها في كتب تاريخية متأخرة لأن هؤلاء المؤرخين المتأخرين أمثال ابن خلدون وابن كثير وابن الأثير نقلوها ممن ذكرها قبلهم .

والمهم هنا أن نذكر بأن رواية الدنيوري[٤١] وكتاب العيون والحدائق[٤٢] لا تذكر النص الذي يأمر فيه إبراهيم أبا مسلم بقتل العرب دون تمييز ولكن الوارد أن الأمر كان بقتل العرب الذين يرفضون الدخول في الدعوة العباسية أو المشكوك في ولائهم لها «واقتل من شككت في أمره» . أو كما يقول العوفي[٤٣] «لقتل كل المدّعين أو المطالبين بالامامة» . ويؤيد ذلك ما يذكره صاحب أخبار العباس على لسان أبي مسلم : [٤٤]

«أمرني الامام أن أنزل في أهل اليمن وأتألف ربيعة ولا أدع نصيبي

من صالحي مضر وأحذر أكثرهم من اتباع بني أمية وأجمع إلي العجم ...» .

وقال أبو مسلم في مناسبة أخرى «لقد أمرنا الامام باختصاص اليمن» (٤٥).

ويمكن تلخيص النقد الداخلي للوصية بالنقاط التالية :

(١) الرواية مجزأة في الطبري إلى قسمين تذكر بينهما حوادث ذات علاقة بتطور الدعوة ولا علاقة لها بالوصية .

(٢) تأتي الوصية تحت عنوان «سبب قتل مروان بن محمد لابراهيم الامام» مما يدل على أنها أو بعضها على الأقل دعاية ضد العباسيين وضعت من جانب أعدائهم .

(٣) يظهر نص الرواية تناقضات كثيرة فكيف يصح أن يأمر إبراهيم الامام بقتل كل العرب وهو يدرك اهميتهم ويوصيه في بداية الرواية بتعهد اليمانيين وإلى درجة ما الربعيين .

(٤) وأخيراً لا آخراً فإن سياسة أبي مسلم وسليمان الخزاعي في خراسان لم تسر أبداً حسب الوصية المزعومة فإن الدعاة العباسيين تقربوا لليمانية والربعية وحتى أن أبا مسلم قبل الكثير من المضريين في صفوف الثورة .

أما موقف سليمان الخزاعي من أبي مسلم فلم يكن ودياً أول الأمر حيث طرده ولم يقبله بين صفوف الدعاة قائلاً :

«صلينا بمكروه هذا الأمر واستشعرنا الخوف واكتحلنا السهر حتى قطعت فيه الأيدي والأرجل وبريت فيه الألسن جزاً بالسعار وسملت الأعين وابتلينا بأنواع الثلاث وكان الضرب والحبس في السجون من أيسر ما نالنا فلما تنسمنا روح الحياة وانفسحت وأينعت ثمار غراسنا طرأ علينا هذا المجهول الذي لا ندري أية بيضة تقلعت عن رأسه ولا من أي عش درج والله لقد عرفت الدعوة من قبل أن يخلق هذا في بطن أمه» (٤٦) .

ولكن نفور بعض الدعاة أمثال أبا منصور طلحة بن رزيق وأبا داود خالد

ابن إبراهيم وغيره من كبرياء سليمان هو الذي دعاهم إلى قبول الشخص الغريب أبي مسلم ، فاضطر سليمان إلى الاعتراف بأبي مسلم خوفاً من تشقق الثورة وتصدعها[٤٧] . ولعل رفض سليمان الخزاعي لأبي مسلم يعود إلى حداثة سنه وقلة تجربته التي قد تعرّض الدعوة للخطر ، هذا بالإضافة إلى أن سليمان طلب من إبراهيم الإمام ممثلاً له «من أهل البيت» أي من الهاشميين وخاصة العباسيين ولم يكن يتخيّل أنه سيرسل مولى له ليمثله في خراسان .

وكان موقف أبي مسلم مرناً ويدل على ذكاء حيث تقرب من سليمان وأعلمه بأن الامام أوصاه بألا يعصي له (أي لسليمان) أمراً ويقدمه في جميع ما يدبرون . ومثاله كذلك ألاّ يشك فيه «أحسن بي الظن فأنا أطوع لك من يمينك[٤٨] » . ولم يكن شيعة العباسيين في قرى ومدن خراسان يطيعون إلا سليمان الخزاعي «صاحبهم والمنظور اليه منهم» ولذلك كتب اليهم سليمان يخبرهم بأمر إبراهيم وإرساله أبي مسلم إلى خراسان .

وقد عقد مجلس النقباء اجتماعاً لينظروا في أمر المكان الملائم لإعلان الثورة فيه فكان هناك رأي بضرورة إعلانها بخوارزم «فإنها بلاد منقطعة عن نصر بن سيار فإلى أن يرسل إلينا عسكره يكون قد تسامع بنا إخواننا فيأتونا ويكثر جمعنا فنقوى على من يأتينا» ، إلا أن عدداً من النقباء عارضوا ذلك وأكدوا على مرو الروذ لأنها «متوسطة بين مرو وبلخ» ثم اقترح عدد آخر مرو الشاهجان «لأن بها خلقاً كثيراً من إخواننا وبها السلطان قد وهن أمره .. ومتى يقوى بها أمرنا يقوى في غيرها» وأيد ذلك سليمان الخزاعي قائلاً «إن قوتنا بها أعظم وعددنا أكبر» ووافقه أبو منصور كامل حيث قال « إذا اجتث الأصل فلا بقاء للفرع إذا ظهرتم بغير مرو تفرغ لكم سلطانكم وساعده عدده عليكم» . وهكذا اتفق أمرهم على أن مرو أصلح مكان لاعلان الثورة . وأرسل الدعاة ليخبروا الشيعة بالالتقاء والتجمع في مرو في الوقت المحدد وكان في يوم عيد الفطر في سنة ١٢٩ هـ .

وكان نصر بن سيار منشغلاً بالاستعداد لابن الكرماني فلما سمع بنبأ تجمع

الشيعة في مرو وضواحيها قرر أن يكمن لهم ويلتقطهم جماعة جماعة ويقضي عليهم ولما علم سليمان الخزاعي وأبو منصور كامل بن المظفر بذلك أشارا على أبي مسلم بضرورة التجمع وإعلان الظهور قبل الموعد المحدد وإلا تشتت الشيعة وفشلت الحركة . فأعلنها أبو مسلم ولمّا يبقَ في رمضان إلا خمسة أيام وعسكر في مكان حصين تابع لسليمان الخزاعي حيث أصبح نقطة تجمع أنصار الدعوة لآل

الدعوة السرية تتحول إلى ثورة علنيه :

وحين فشا خبر أبي مسلم أقبلت الشيعة من كل جانب إلى مرو فأتاهم عيسى بن شبل وأبو الوضاح وأبو مَرة في نحو من ألف رجل .. «وقد كثر جمعهم وسودوا ثيابهم ونصبوا أعلامهم ونشروا راياتهم فصلى بهم سليمان بن كثير الخزاعي يوم العيد وهي أول جماعة كانت لأهل الدعوة» (٤٩).

وفي بلاد الشام تسلم مروان بن محمد الخلافة سنة ١٢٧ هـ — ٧٤٤ م بعد أن زحف بجيشه القوي من الجزيرة مدافعاً عن حق أبناء الوليد الثاني المقتول بالخلافة ولكنه ما فتىء أن أعلن نفسه خليفة بعد أن قُتل ابني الوليد في دمشق في ظروف غامضة . على أن ادعاء مروان بالخلافة لم يكن مستنداً على أسس شرعية ثابتة حيث لم يكن له حق شرعي فيها ولذلك تقول بعض المصادر انه «اغتصب الخلافة» . وبالرغم من أن أهل الشام لم يبدو أية معارضة أول الأمر فإن التذمر بدأ بالنمو وزادت المعارضة من قبل الأمراء الأمويين أنفسهم . وثارت سوريا والجزيرة والحجاز واليمن ومصر .

على أن أهم ما يعنينا من هذه الثورات هي ثورة عبدالله بن معاوية الجعفري في العراق . وكان هذا رأساً لفرقة الجناحية التي تدين بآراء متطرفة يصفها المؤرخون وكتاب الفرق بصفة الغلو . والظاهر أن عدداً من الشخصيات العباسية انضمت إلى هذه الحركة مثل أبو جعفر عبدالله بن محمد وأبو العباس عبدالله

ابن محمد وعيسى بن علي وغيرهم . وقد يكون غريباً لأول وهلة أن ينضم العباسيون إلى ثورة في نفس الوقت الذي يدبرون دعوة سرية في خراسان ، ومع ذلك فبعد فشل ثورة عبدالله بن معاوية وهربه إلى خراسان ألقى أبو مسلم الخراساني القبض عليه وسجنه ثم قتله سنة ١٢٩ هـ — ٧٤٦ م . ولكن ذلك في الواقع من خصائص الاستراتيجية التي اتبعها العباسيون فإن عبدالله بن معاوية كان قد نجح في بداية حركته نجاحاً كبيراً وكان شعاره يشابه شعار العباسيين ألا وهو الدعوة «للرضا من أهل البيت» . ولذلك فقد يكون هدف العباسيين من تأييدهم الثورة الجناحية هو اتعاب الجيش الأموي وإشغاله بحروب في العراق وفارس ليترك المجال للعباسيين بتحميع قواهم وضبط حركتهم في خراسان . ثم إن العباسيين شجعوا عبدالله بن معاوية ليروا بصورة عملية إمكانيات التأييد والنجاح أو الفشل لثورة تشبه ثورتهم المرتقبة من نواح عديدة . ولكن ما ان هرب عبدالله إلى خراسان وادعى الامامة حتى وضع العباسيون نهايته بأيديهم بخراسان لا تتحمل غير العباسيين من مدعي الخلافة .

وقد ساعد هذا الوضع المتدهور أبا مسلم على تركيز جهوده خلال ١٢٨ — ١٢٩ هـ وخاصة في القرى التي يسكنها العرب في أطراف مرو وغيرهاخاصة وأن هؤلاء العرب أدركوا عدم جدوى النزاع غير المثمر بين نصر والكرماني . يقول صاحب كتاب العيون والحدائق(٥٠) :

«ولما رأى الناس ... أن شيعة بني مروان قد وقع بينهم الخلاف وبعضهم يقتل بعضاً وأن جديعاً الكرماني قد قتل الحارث بن سريج وسلم مرو ثم إن نصراً قتل صديقاً وان علياً وعثمان ابني جديع مالا إلى أبي مسلم وصادقاه وحلفا له دخل أكثر الناس في طاعته» .

وجاء أمر إبراهيم الامام لابي مسلم يدعوه إلى اخبار سليمان الخزاعي بضرورة إعلان الثورة ثم وصل قحطبة الطائي ومعه علمين من إبراهيم الامام الأول الظل ويرمز إلى أن الدعوة العباسية ستبقى بقاء الظل في هذه الأرض ، والثاني السحاب ويرمز إلى عالمية الدعوة حيث ستشمل كل العالم المعروف

آنذاك فكان إعلانها في ٢٥ رمضان ١٢٩ هـ – حزيران ٧٤٧ م .

لقد كان العرب من أهل خراسان عصب الجند الهاشمية وكان تمركزهم في قرى خزاعة وأحياء اليمن في مرو عاملاً في تفويت الفرصة على نصر بن سيار الذي حاول مهاجمتهم ولكنه حذر من أن ذلك يعني العداوة مع اليمانية «انكم إن فعلتم ذلك خالفتكم أحياء اليمن ورأوا أنكم تريدون هضمهم وإذلالهم بدخولكم عليهم في منازلهم» . وهذا يؤدي إلى تسويدهم أي انخراطهم كلياً في الدعوة الجديدة . وأشار أحد قواد نصر إلى ضرورة عزل اليمانية والربعية عن الشيعة الهاشمية قائلاً «وما أهون شوكة هؤلاء إن كفت اليمن وربيعة[٥١]»

والواقع فإن العرب . كما أشرنا إلى ذلك سابقاً – استوطنوا مرو والقرى المحيطة بها منذ بداية الفتح الاسلامي لخراسان ، وبمرور الزمن فإن عدداً من المقاتلة تركوا مهنة الحرب وبدأوا بالاشتغال بالتجارة وزراعة الأراضي واحتراف بعض المهن . وقد امتزج العرب في المناطق التي سكنوها بخراسان بسكان البلاد المفتوحة من الايرانيين وتزاوجوا معهم وتبنوا بعض عاداتهم وتقاليدهم كما وأنهم تكلموا لغتهم إضافة إلى العربية .

وفي مرو بالذات فإن المستعربين العرب شاركوا السكان الايرانيين المحليين تذمرهم من الدهاقين الفرس الذين كانوا – بموجب معاهدة مرو التي عقدها العرب مع حاكم مرو – يجبون الضرائب من السكان والمزارعين .

وتشير مصادرنا التاريخية[٥٢] بأن الكثير من الشيوخ والمتنفذين العرب امتلكوا أو عاشوا في قرى خراسانية مع عشائرهم ومواليهم . والأمثلة على مثل هذه الحالات متعددة :

فمن الذين كانوا يمتلكون قرى : حرب بن عامر الواشجي . سليمان بن كثير الخزاعي . أسيد بن عبدالله الخزاعي . وكان لقبيلة خزاعة قرى بأكملها وكذلك لها «قصور» . ولبني العنبر كذلك قرى .

وكان سكان (قصر اسفد) عرب في غالبيتهم . أما منطقة الخلم فكانت

منطقة أزدية . وكان المحتفظ بن عثمان المضري يمتلك قصراً في قرية اللين حيث كان يستوطن معه في القرية على أغلب الظن ، عدداً من أفراد قبيلته .

أما مرو الشاهجان فكانت مركز الادارة العربية في خراسان ، ونقطة تجمع المقاتلة العرب الذين كان واجبهم القيام بالحملات العسكرية في ما وراء النهر وترانسكسونيا . ويصف الطبري مرو بأنها «بيضة خراسان» مشيراً إلى أهميتها الاستراتيجية والادارية ، أما المقدسي فيسميها «أم القرى» في خراسان . ولا تذكر المصادر عدد العرب الذين سكنوا مرو والقرى التي حولها . على أن المعروف عن تكتيك المقاتلة العرب هو تحصين أنفسهم في القرى المحيطة بالمدن في البلاد المفتوحة خلال عملية التمصير. وهذا ما فعله قتيبة بن مسلم الباهلي حين احتل بلخ ، وحين نقل أسد بن عبدالله العشري العاصمة مرو إلى بلخ طبق نفس الخطة .

ولذلك فمن المحتمل جداً أنه سمح للمقاتلة العرب خلال الفتح الاسلامي لخراسان بالاستيطان في القرى المحيطة بمرو . ويؤكد الجاحظ ذلك في رواية تعتبر من أقدم ما بحوزتنا من الروايات عن استقرار العرب في خراسان، وذلك حين يشير إلى أثر البيئة على الناس فيقول [٥٣] :

« وقد نرى الناس أبناء الأعراب والاعرابيات الذين وقعوا إلى خراسان فلا نشك أنهم علوج القرى » . وحين يشير ابن الأثير إلى قرية درستكان يقول «انها قرية على باب مرو وبها كان عسكر الاسلام أول ورودهم مرو» . وتشير رواياتنا التاريخية إلى قرى خزاعة : سفيزنج ، اللين ، فنين .

قرى طي : بنيا

قرى ابن نصر : باسان .

ويذكر الطبري[٥٤] أن (أهل القرى) هم الذين استجابوا للدعوة، وفي رواية أخرى أن (الماخوان) قرية العلاء بن حريث وأبي اسحق خالد بن عثمان . وفنين قرية أبي داود خالد بن إبراهم الذهلي . وكان سليمان الخزاعي يسكن

في قرية سفيذنج . وكان «لبني تميم وسائر أحياء نصر» قرى . وإضافة إلى كل ذلك تظهر في روايات أخرى تعابير مثل «سرتَ في قرى قومك» مما يدل على سكن العرب لهذه القرى . ولذلك فإنه ليس من المستغرب أن يحتفظ المقدسي بأحد الأمثال الخرسانية المشهورة التي تقول «رجال مرو من قراها» .

لقد طاف الدعاة العباسيون يبحثون عن أمثال هؤلاء العرب سكان القرى والمقاتلون الأشداء . وقد بدأت الثورة العباسية في الواقع في قرى خزاعة وهي سفيذنج واللين وفنين . ويشير الطبري أن منطقة ضرقانة العربية التي تشمل قرية سفيذنج كانت من أوائل المناطق التي انضمت إلى أبي مسلم . وتداوت القرى الخزاعية في منطقة مرو الشيعة العباسية وزودت بالغذاء . ولذلك فإن فخر العرب ومباهاتهم بكونهم من أوائل من انضم وأخلص للدعوة العباسية على حد قول الجاحظ .

لقد أدرك الدعاة العباسيون بحذق وذكاء أهمية وقوة القبائل العربية التي يتزعمها شيوخها وزعمائها المتنفذين وخططوا لكسبهم لمصلحة القضية العباسية ذلك لأن كسب الشيوخ يعني بطبيعة الحال كسب أتباعهم وعشائرهم من المخلصين لهم . وتذكر روايات البلاذري وأخبار العباس والأزدي والطبري التي تفصل في شرح تقدم القوات الخراسانية نحو العراق ، أسماء هؤلاء الشيوخ الذين عطوا رتبة قائد في الجيش العباسي .

ويذكر ابن الكلبي أسماء بعض العرب الذين ميزوا أنفسهم بما قاموا به من أعمال في سبيل الدعوة العباسية مثل خفاف بن هبيرة من أشجع الفرسان وعقبة بن حرب «قائد في الدعوة» . وعلقمة بن حكيم والعلاء بن سالم والزبير ابن محمد الأزدي انضموا إلى أبي مسلم مع ٧٠٠ شخص . عبدالله بن شعبة انضم إلى الدعوة مع ١٠٠٠ شخص . وانضم ١٠٠ من بني الحارث مع شيخ لهم ، كما احتل خازم التميمي مرو الروذ باسم العباسيين بمساعدة قبيلته تميم .

ويشير البلاذري إلى « وجوه قواد خراسان» من الشخصيات التي ساعدت عبدالله بن علي الثائر في بلاد الشام وكلهم من العرب(٥٦)

وتؤكد (الصحيفة الصفراء) وهي الوصية التي سلمت إلى محمد بن علي العباسي من قبل أبي هاشم على ذكر شيعة العباسيين من العرب حيث تقول « ... وأيّ أحياء العرب أنصارهم[٥٧] » .

ورغم أن المؤرخ الأزدي يؤكد على تاريخ الموصل المحلي إلا أنه يشير إلى حوادث وقعت في أجزاء أخرى من الدولة الاسلامية ويؤكد بصورة خاصة على أهمية الصراع بين التكتلات القبلية في تقرير مجرى السياسة حينذاك . يشير الأزدي إلى أن المضريين احتجوا على المنصور لتفضيله اليمانية فأجابهم المنصور قائلاً[٥٨] :

« أحسبكم معشر المضرية قد خضتم في هذا وتكلمتم بغير علم ولا معرفة. زعمتم معشر المضرية أن محمداً (ص) منكم ولكنكم أشد خلقه طعناً عليه وتكذيباً له وحرصاً على سفك دمه وقد أنزل الله تبارك وتعالى بذلك غير آية ... » . وبعد يذكر المنصور أن الدعوة قامت على أكتاف اليمانية وأن النقباء « اثنا عشر نقيباً كلهم يمانية » يستطرد فيقول :

« .. ثم قال الفاسق الجعدي (مروان الثاني) فحملكم على رقاب الناس وأقصى أهل اليمن فجاشت عليه من كل ناصية وعلم مروان الحمار ومن معه من المضرية أنهم قد هاجموا ما لا طاقة لهم به فخافوا عند اللقاء وجزعوا عند الزحف يوم الزاب وهم في مثل عدد النحل... فبلغت هزيمتكم وهزيمة الناس خليج أهل مصر والقوم في أثركم حتى أدركوه في دير بقرية يقال لها بوصير فذبحوه ومالوا إلينا . فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا » .

ولعل في هذا النص بعض المبالغة لأنه يصور النزاع العباسي الأموي وكأنه نزاع يماني مضري ، كما وقد يكون فيه بعض التحيز من جانب المؤرخ الأزدي الذي ينتسب إلى اليمانية أنفسهم . ولكننا نستفيد منه في ملاحظتنا أهمية العرب بصفة عامة في هذا النزاع .

وقد استنجد عبدالله بن علي قائد الجيش الخراساني الذي حاصر دمشق باليمانية في داخل المدينة قائلاً «إنكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا وأنتم دفعتم الينا مدينة دمشق وقتلتم الوليد بن معاوية وأنتم منا وبكم قوام أمرنا فانصرفوا وخلو بيننا وبين مضر»[٥٩] .

وفي حصار واسط أغرى أبو جعفر (المنصور) اليمانية المعتصمين مع يزيد ابن هبيرة قائلاً «السلطان سلطانكم والدولة دولتكم» .

إن هذه الروايات التاريخية تصور الثورة العباسية بأنها ثورة اليمانية ضد سياسة مروان الأموي الذي قرب القبائل المضرية وهي صورة مبالغ فيها إلى حد ما . فعلى الرغم من العدد الكبير من شيعة العباسيين كانوا يمانية إلا أن القيسيين والربيعيين المتذمرين من سياسة نصر بن سيار انضموا كذلك إلى صفوف الثوار العباسيين .

وثمة نقطة أخرى أشرنا إليها في مناسبة سابقة ونكررها هنا بشيء من التفصيل . فلقد فسر بعض المؤرخين اصطلاح «أهل خراسان» ليعني غير العرب أو الفرس من سكان خراسان . على أن الجاحظ غالباً ما يتكلم عن العرب الخراسانية ويعطي الطبري كما ذكرنا سابقاً أسماء عدد من العرب من هل خراسان فيذكر مثلاً أسماء قائدين في الجيش ويقول «وهما قائدان من أهل خراسان من قبيلة طي» . وتلحق المصادر اسم الخراساني بالكثير من العرب المعروفين مثل[٦٠] :

عبد الملك بن يزيد الخراساني
مالك بن طريف الخراساني
الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني
حميد بن قحطبة الطائي الخراساني
بسام بن إبراهيم الخراساني
العباس بن الأحنف الخراساني .

وربما يرجع السبب إلى هذه المغالطة هو خطة الدولة العباسية التي حاولت

أن تبقي (أهل خراسان) وحدة عسكرية واحدة بغض النظر عن قبائلهم أو أقاليمهم ولذلك سجلوا في ديوان خاص بهم بموجب القرى التي جاؤوا منها . ولقد اعتبر المؤرخون (أهل خراسان) فرساً دون التمعن في أسمائهم وأصولهم مستندين بذلك على أن خراسان اقليماً إيرانياً من جهة ومن جهة أخرى ليميزوا بينهم وبين الفرق الأخرى التي كانت تحمل أسماء عربية كاليمانية والمضرية والقيسية .

ويلاحظ الباحث كذلك ان اصطلاح (أهل خراسان) استعمل من قبل المؤرخين والاخباريين الأوائل ليدل على الأغلب نفس الدلالة التي كان اصطلاح (أهل الكوفة) و (أهل البصرة) يدل عليها ألا وهي العرب المستقرين في هذه الأمصار . ومما يزيد في صحة هذه الملاحظة هو أن المؤرخين الأوائل[٦١] يؤكدون صفة غير العربي من أهل خراسان حين يذكرونه بنعته بكلمة من العجم فيقولون مثلاً عن شخص ما : «رجل من أهل خراسان من العجم» . وفي الامامة والسياسة تشير رواية إلى وجود عشرة آلاف رجل مع أبي مسلم «من أهل خراسان سوى العجم»[٦٢] .

ولم تكن الدعوة في هذه الأيام الأولى من حياتها قوية كما يصورها بعض الباحثين حيث يقول الدنيوري «.. فأجاب جميع أرض خراسان سهلها وجبلها» أو «انجفل الناس ..» أو «بايع أبو مسلم ١٠٠ ألف رجل من أقطار خراسان» . وكما يقول صاحب كتاب العيون والحدائق «اجابه أكثر الاصقاع .. أو كما تزعم رواية الطبري أنه كان هناك ١٢,٠٠٠ تابع للثورة العباسية في بلخ والطالقان فقط . أو «.. فوافاه في يوم واحد أهل ستين قرية» أو «وبث أبو مسلم الدعاة في أقطار خراسان فدخل الناس أفواجاً وكثروا» . ويبالغ صاحب كتاب الامام حين يقول «ويأتيه الالف والالفان» في دفعة واحدة . وحين يزعم ابن خلدون «لما ظهر أبو مسلم سارع إليه الناس ..» فالدعوة كانت تدريجية ولم يكن عدد الاتباع أكثر من ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ شخص .

ورتب النقباء نوعاً من التنظيم السياسي للحركة[٦٣] حيث عين أبو صالح

كامل بن المظفر على تدبير الأمور وكتابة الكتب وبجمع الأموال والغنائم ويقسمها ويقوم بإعطاء الجند وهو صاحب السر كذلك . وعُين مالك بن الهيثم «يقوم بأمر العسكر ... ويحكم بين أهله وينفي أهل الريب منه فقبلوا ذلك منه واتفقوا عليه» . ثم عين حرساً خاصاً لأبي مسلم من عدة رجال ينتخبون يحفظون أبا مسلم ويكونون رسلاً يرسلون لتدبير بعض الأمور .

وكان يؤم الناس في الصلوات سليمان بن كثير الخزاعي لا أبو مسلم الخراساني ولعل لكون سليمان عربياً وذا نفوذ دخل في هذا الانتخاب الموفق وقد أدخل سليمان تغييرات في الصلاة تختلف عن التطبيق الأموي حيث بدأ بالصلاة ثم الخطبة بغير أذان ولا إقامة وكانت بنو أمية تبدأ بالخطبة .

وقد رحب الدعاة بالعبيد كذلك ليكثروا من الاتباع وقد قبل أبو مسلم عبداً لعاصم بن عمرو السمرقندي قائلاً «إن هذا الرجل ، ذكر أنه عبد لعاصم أقبل اليكم ناصراً لكم راغباً في دعوتكم فقد وجب حقه بذلك عليكم وقد أعتقه الله الذي هو أولى به من عاصم . وأيما عبد أتانا راغباً في أمرنا قبلناه وكان له ما لنا وعليه ما علينا» . وقد نظم أبو مسلم العبيد كفرقة في الجند العباسية تحت قيادة داود بن كرات . كما وعين مصعب بن قيس «داعية للعبيد لم يكن يدعو غيرهم» . وقد استفاد أبو مسلم منهم حيث أرسلهم لتعزيز قوة موسى بن مصعب الداعية في ابيورد ونسا (٦٤) .

ولقد وقعت مرو الروذ تحت سيطرة العباسيين بسهولة نظراً للحركة البارعة التي قام بها خازم التميمي الذي استغل طاعة قبيلته نحوه فوجههم لفتحها قائلاً : «إنما أنا رجل منكم أريد مرو لعلّي ان اغلب عليها فان ظفرت فهي لكم وان قتلت فقد كفيتكم أمري» . وقد قتل والي الأمويين عليها وسقطت باسم الدعوة .

لم تثمر محاولات نصر بن سيار لاستعادة مرو الشاهجان من جديع الكرماني ولذلك قرر الاستنجاد بمروان من نيشابور محذراً من الخطر وقد أنهى رسالته مستفسراً :

ألأيقاظ أمية أم نيام ؟؟

على أن مروان ، في الواقع ، لم يكن غافلاً ولكنه كان مشغولاً بقمع ثورات العراق والجزيرة والحجاز واليمن ومصر التي تكالبت عليه من كل جهة . وكانت العلاقة بين والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وبين والي خراسان نصر بن سيار غير ودية فلو كان لابن هبيرة الخيار لما وضع نصر والياً على خراسان ولذلك لم يستجب ابن هبيرة لنجدة نصر معتذراً بعدم وجود قوات إضافية عنده وتظاهر بانشغاله بقمع الاضطرابات في العراق . كما وانه ادعى بأن أهل العراق لا يمكن الثقة بولائهم للأمويين ولذلك فلا يمكن الاعتماد عليهم في قمع اضطرابات خراسان على أن الدينواري يوضح الأمر فيقول بأن ابن هبيرة كان يتحين الفرصة للاطاحة بنصر وإهانته وليست هناك أحسن من هذه الفرصة . ولقد اضطر نصر بعد مُدّة من الانتظار إلى أن يتقرب من الكرماني واقترح مقابلته في مكان على أطراف مرو . وقبل الكرماني بعد تردد حيث اغتاله في مكان الاجتماع حاتم بن الحارث بن سريج المرجيء ثأراً لأبيه الذي قتله الكرماني . ويظهر أن لنصر يداً في هذا الاغتيال فالعداوة بين الرجلين قديمة والحسد بينهما واضح . كما وان نصر الذي يقول :

لقد نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارف لا تنقص لهم عددا
ان تحسدوني على ما كان من حسن ... فمثل حسن بلائي جر لي حسدا

كان يعرف أن الكرماني من حسّاده الخطرين ولذلك تخلص منه ثم صلبه بعد قتله . على أن علي بن جديع الكرماني خلف والده زعيماً لقبائل الأزد وتوابعها .

أما بالنسبة لشيعة العباسيين فإن نصر استعمل ضدهم دعاية قوية حيث وصفهم بالكفار الذين يعبدون السنانير والرؤوس . أو أنهم رعاع وعبيد وماشية أو أنهم سقاط العرب والموالي . أو أنهم مجوس وعجم وسفهاء . وأن الأمويين وحدهم هم ممثلي السنة والجماعة(٦٥) .

إن واحداً من هذه الاتهامات يستحق بعض الملاحظة وهو (سقوط العرب)

الذي ربما ينطبق على الكثير من أتباع الدعوة الأوائل الذين جاوّوا من القرى المحيطة بمرو . فقد كان هؤلاء العرب المستقرون محرومين من امتيازاتهم ويؤدون الضريبة إلى الدهاقين الايرانيين على نفس النمط الذي يؤديه سكان البلاد من الإيرانيين المشتغلين بالزراعة أو التجارة .

لقد أقلقت هذه الدعاية الأموية الشيعة العباسية حيث أنهم خشوا تأثير رجال الدين والأتقياء وكذلك العامة من الناس بها ولذلك قاموا بدعاية مضادة للأمويين حيث عقد اجتماع عام بايع فيه المجتمعون لسليمان الخزاعي «على كتاب الله وسنة الرسول والعمل بذلك وإظهار العدل وإنكار الجور ودفع الظلم عن الضعفاء وأخذ الحق من الأقوياء(٦٦)» . كما وأن أبا مسلم اتبع أسلوباً آخر ليقابل به دعاية الأمويين فقد كان يحرر الأسرى من الجيش الأموي بعد أن يريهم مدى تقوى الشيعة العباسية وتمسكهم بالاسلام وبعد أن يعاملهم معاملة حسنة وذلك من أجل أن يذهبوا إلى معسكر نصر فيرووا ما شاهدوا . وهذا ما فعله مع يزيد مولى نصر الذي أسر في معركة مع العباسيين بقيادة مالك الخزاعي ثم أطلق سراحه فعاد وامتدح سيرة أبي مسلم وأتباعه وصدقه وإسلامهم

ظهور شيبان بن سلمة الحروري :

كان شيبان بن سلمة من أتباع الضحاك بن قيس الخارجي الذي ثار في العراق في أواخر عهد الأمويين ، فلما فشلت الثورة انضم شيبان إلى عبد الله بن معاوية الجعفري ثم عاد فهرب إلى خراسان مع أتباعه بعد فشل ثورة عبدالله الجعفري . (٦٧)

لقد انتهز ابن الكرماني فرصة وجود شيبان بن سلمة (الذي كان يسمى بشيبان الصغير) ليكسبه إلى جانبه فيقوي جبهته ضد (اتباع الشيطان) أي نصر بن سيار وعسكره . (٦٨)

وهكذا ففي صيف ٧٤٧ م ظهر ثلاثة معسكرات على المسرح السياسي في خراسان وهي :

(١) علي بن الكرماني مع أتباعه من اليمانية والربعية وحتى بعض المضرية وكان يحتل مرو . ونستطيع أن نضيف إلى هذه الكتلة شيبان الصغير وأتباعه .

(٢) مضر بن سيار ومعه المضرية والربعية والجند السوري ويحتل نيشابور

(٣) أتباع أبي مسلم وسليمان الخزاعي وأغلبهم من عرب خراسان من القرى المحيطة بمرو .

إن حراجة موقف مضر الذي أدرك ان قوة أبي مسلم تتزايد باستمرار وانه لا جدوى من أي تفاهم مع علي بن الكرماني هي التي دفعته إلى اقتراح الهدنة بينه وبين ابن الكرماني . لقد أخطأ بعض المؤرخين المحدثين حين أظهر هذه الهدنة بمظهر الاتفاقية بين العرب للقضاء على أبي مسلم . والواقع فان محاولة نصر كانت حركة دبلوماسية فاشلة ذلك لأن ما توصل اليه الفرقاء المعنيون لم يكن اتفاق بل هدنة موقتة (٦٩) وحتى هذه الهدنة كانت ظاهرية ، ذلك لأن العداوة كانت دفينة بين نصر وابن الكرماني . ولكن الجو السياسي كان مكهرباً وظهرت آثاره على أبي مسلم الذي أطلق العنان للسانه مهاجماً نصر وشيبان الصغير مهدداً بقتلهما . وقد إنتقد سليمان الخزاعي تصرف أبي مسلم هذا لأنه أدى إلى التقارب بين شيبان ونصر ولكن ابن الكرماني بقي بعيداً عن نصر .

وفي هذا الوقت بالذات احتلت شيعة أبي مسلم مدينة (هيرات) ، وقد انتهز نصر الفرصة ليحذر ابن الكرماني وشيبان من استفحال خطر أبي مسلم وأتباعه ، واقترح الموادعة أو الهدنة بينهم ليتفقوا على القضاء على أبي مسلم . على ان النيات لم تكن مخلصة فقد كان هدف ابن الكرماني من عقد موادعة مع نصر هو اقحام نصر في حرب مع أبي مسلم تلك الحرب التي ستؤدي إلى انهيار قواه العسكرية . يقول الطبري : (٧٠)

« صالحوا نصراً فانكم ان صالحتموه قاتلوا (أي أتباع أبي مسلم) نصراً وتركوكم لأن الأمر في مضر وان لم تصالحوا نصراً صالحوه وقاتلوكم ثم عادوا عليكم . قالوا فما الرأي ، قال قدموهم (أي أتباع نصر) قبلكم ولو ساعة فتقر أعينكم بقتلهم » .

أما هدف نصر من الهدنة فكان استغلال ابن الكرماني وشيبان الصغير للقضاء على أبي مسلم ، ذلك الهدف الذي ربما تحقق لو نجحت الهدنة . ولكن طبيعة العلاقة بين ابن الكرماني ونصر لم تسمح للهدنة أن تدوم ، ذلك لأن سليمان الخزاعي أحبط الخطة بحركة سياسية بارعة . فلقد عاد نصر وسيطر على مرو بموجب الاتفاق . ولذلك نصح سليمان الخزاعي أبا مسلم الخراساني أن ينسحب إلى قرية الماخوان في ٩ ذي القعدة عام ١٢٩ هـ .

أما حركة سليمان الخزاعي البارعة لانقاذ الموقف الحرج فكانت أن أشار على أبي مسلم بالكتابة إلى ابن الكرماني وتذكيره بأن نصر عدوه اللدود وقاتل به جديع الذي كان يتوق إلى اليوم الذي يثور فيه آل محمد ضد الأمويين ليعاضدهم في الثورة . وجاء في الرسالة :

« انك قد أعطيتني من نفسك ما تعلم وقد أمرنا بالجهاد وأنت وقومك أنصار الحق قديماً فأنتم أوتيتم رسول الله (ص) ونصرتموه وقد أمرني صاحبي (ابراهيم الإمام) بأن أستظهر بكم والقي أمري اليكم . وقد نصب لي نصر فان أجبتني وعاقدتني على القيام بحق رسول الله (ص) أمّرتك أميراً عليّ وعلى من أجابني وطلعت أمرك وقتلتُ عدوك وصار لك سناد هذا الأمر وشرفه » .[٧١]

وهكذا كان سليمان قادراً على اقناع ابن الكرماني بضرورة الابتعاد عن نصر وذلك باثارة روح الثأر فيه وكذلك بوعده بتنصيبه أميراً على خراسان . ولم تجد تحذيرات نصر لابن الكرماني من أن أبا مسلم

سيقضي عليهم جميعاً نفعاً . فقد رد ابن الكرماني على أبي مسلم قائلاً :

« قد أجبتك حيث عرضت عليّ أمرك وهذه يدي عن نفسي وقومي جميعاً ومرسلٌ اليك أخي ووجوه أصحابي وكاشف لك أمري في ذلك . ولا بد لنا من الترفق بشيبان حتى نجمع لنا أمرنا ما نريد منه » . (٧٢)

عند ذلك حاول نصر التقرب من شيبان الصغير لعزله عن ابن الكرماني وكسبه إلى جانبه . ولكن أتباع شيبان شكّوا في اخلاص نصر واعتقدوا انه يهدف إلى اقحامهم في حرب لا فائدة لهم منها بقدر ما تؤدي إلى اضعافهم ثم يتيسر له مهاجمتهم من الخلف . ولم يكن شيبان الصغير أو أتباعه من أهـل خراسان ولذلك فهو غريباً عن هذه البيئة ولم يثق بأبي مسلم وكان يخشى التقرب إلى نصر والي الأمويين المخلص فلم يبق له إلا التحالف مع علي بن الكرماني الذي لعب دوراً مهماً بمنع التقارب بين شيبان ونصر كما وان ابن الكرماني نصح أبا مسلم بضرورة التودد لشيبان وذلك للمحافظة على حيـاده السياسي على الأقل في هذه الفترة الحرجة . وأكثر من هذا فقد أعطى لشيبان الحق باستيفاء الضرائب من المنطقة الممتدة بين نيسابور وهيرات على أن يكون مقره في سرخس في ربيع الثاني ١٣٠ — تشرين الثاني ٧٤٧ ، وذلك من أجل اشغاله واشراكه في المسؤولية . على أن الاهم من ذلك هو ان انسحاب شيبان إلى سرخس زاد من قوة أبي مسلم ومركزه بالمقارنة مع نصر ذلك لأن شيبان كان يمثل عنصراً قلقاً في المسرح السياسي وربما ساعد نصر في نزاعه مـع أبي مسلم .

وقد أسرع أبو مسلم فاعترف بابن الكرماني أميراً على خراسان وبدأ هو وأصحابه يصلي وراءه ، وهكذا نجح أبو مسلم في اشباع رغبة ابن الكرماني المتعطش للسلطة والامارة فلم يكن الوقت وقت منافسة على السلطة بل كان الهدف هو ضمان كسب أتباع ابن الكرماني إلى جانب الثورة العباسية حيث لم يكن أتباع أبي مسلم يعدون أكثر من ٧,٠٠٠ شخص سجلوا نسبة إلى قراهم

لا قبائلهم في الديوان . وقد كانت هذه خطوة بارعة لضمان وحدة الجند الخراسانية في كتلة واحدة بغض النظر عن كونهم يمانية أو ربعية أو مضرية أو عجماً . كما وانهم نقلوا في ٦ ذي الحجة ١٢٩ هـ — آب ٧٤٧ م إلى اللين قرية أبي منصور طلحة بن زريق الخزاعي وذلك لأن الماخوان كانت مهددة من ناحية استراتيجية ومن السهولة قطع المياه عنها :

ولما يأس نصر من أية مساعدة من العراق كتب إلى مروان الرسالة التالية :

« كتبتُ إلى أمير المؤمنين ولم يبق مني شيء على عدو أمير المؤمنين لا في رجالي ولا في مالي ولا في مكيدتي ، ولو كنت أمددتني بألف فارس من أهل الشام لاكتفيت بهم ولقطعت دابر القوم الظالمين . إني حين كتبت إلى أمير المؤمنين قد أخرجت من جميع سلطاني فأنا واقف على باب داري وان لم تأتني مواد أمير المؤمنين ووكلنا إلى ابن هبيرة طُردت عن باب داري ثم لارجوع اليها إلى ملتقى الحشر ... » (٧٣)

ويستطرد صاحب كتاب أخبار العباس فيقول « ثم ان نصراً جمع وجوه أصحابه وأهل الرأي منهم والتجارب فأجالوا الرأي فلم يأت واحد منهم برأي إلا نقضه الآخر ولم يجتمعوا على شيء . مما يدل على ارتباكهم وعدم اتفاقهم فاضطر نصر إلى الاستنجاد بمروان ثانية برسالة عنيفة ومؤثرة :

« أما بعد فإني ومن معي من عشيرة أمير المؤمنين في موضع من مرو وعلى مجمع الطريق ومحجة الناس العظمى من مختلف القوافل والرسل والجنود ظن العراق في حايط قد خندقت فيه على نفسي ومن معي وعن يميني وشمالي قرى بني تميم وساير أحياء مضر ليس يشوبهم غيرهم إلا قرى على حدهم خاملة الذكر فيها خزاعة وفيها حل طاغيتهم أبو مسلم .

فنحن حين كتبت إلى أمير المؤمنين في أمر هايل يتكفأ بنا تكفؤ السفينة عند هبوب العواصف ... وأنا معتصم بطاعة أمير

المؤمنين ومن معي على مثل ذلك لا يؤثر علينا شيئاً وقد املنا غياث أمير المؤمنين ومواده وورود خيله وفرسانه ليقمع الله بهم أهل مصر على غيّه وساع في خلافه . فلا يكونن مثلنا يا أمير المؤمنين قول القائل :

لا أعرفنك بعد اليوم تندبني

وفي حياتي ما زودتني زادي

انه قد بلغ الحزام الطبيين وكادت القلوب تبلغ الحناجر فلا يتهمني أمير المؤمنين على ما كتبت وأغلظت له فيه واني لكما قال الأول « احلب حلباً لك شطره » .

ولئن أزالنا عدونا عن موضعنا الذي نحن به انها زلزلة سرير أمير المؤمنين فلا يضفي أمير المؤمنين كتابي هذا اليه على الجزع وعلى الجرأة عليه فانه « لا مخبأ لعطر بعد عروس » . ومثلنا فيما قد أشرفنا عليه كمثل شجرة على ضفة البحر قد بلى أصلها فالأمواج تضربها من كل وجه فما بقاؤها بعد فساد أصلها والحاح الأمواج عليها وقال نصر شعراً يحرض فيه العرب على الهاشمية ... » (٧٤)

وبعد أن فشل نصر في محاولته الأولى لكسب ابن الكرماني وفي محاولته الثانية لكسب شيبان الصغير حاول هذه المرة أن يتقرب نحو أبي مسلم في نفس الوقت الذي ينتظر فيه الأمدادات من الخليفة . لقد أمل نصر أن يفرّق بين أبي مسلم وابن الكرماني فدبر أمر اجتماع حضرته وفود نصر المضرية ووفود ابن الكرماني ومندوبين عن أبي مسلم الذين امتدحوا وفد ابن الكرماني وفضلوه على وفد نصر حيث قرر سليمان الخزاعي وطلحة الخزاعي ومزيد السلمي التحالف مع ابن الكرماني ضد نصر وعندئذ فقط كسبت الحركة العباسية مصدر القوة في خراسان إلى جانبها ألا وهي القبائل العربية من أتباع ابن الكرماني.

كانت خطة أبي مسلم وابن الكرماني الآنية هي الاستيلاء على العاصمة مرو . وتختلف الروايات التاريخية في كيفية فتح مرو ولكن الظاهر ان أبا مسلم كان حذراً ومرناً في موقفه تجاه كتلة نصر وكتلة ابن الكرماني فرغم اعترافه بأن الكرماني والياً على خراسان فانه كان يؤمل أن يكسب نصراً أو أتباعه اليه بطريقة أو بأخرى فضمن الحماية لوفد نصر الذي حضر الاجتماع آنف الذكر كما وسمح نصر للشيعة العباسية بالتسوق من أسواق مرو دون مهاجمتهم . ولكن حدث وان قام نزاع بين بكر بن وائل من ربيعة وبين بعض المضريين في سوق مرو ، فساعد نصر المضرية بينما أنجد ابن الكرماني الربعية ، ودعى ابن الكرماني أبا مسلم إلى مساعدته والانضمام اليه ، إلا أن أبا مسلم تشاغل حتى تأكد من احتدام الصراع العنيف فتدخل إلى جانب ابن الكرماني حيث دخلت قواتهما مرو في ٩ جمادي الثاني ١٣٠ هـ — ١٤ شباط ٧٤٨ م ، وعلى مقدمته أسيد الخزاعي وعلى ميمنته مالك الخزاعي وعلى ميسرته القاسم التميمي وهو يتلو : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه » . وأمر بالكف عن القتال . (٧٥) .

وأرسل أبو مسلم وفداً إلى نصر يعده بالأمان إذا سلم نفسه ولكن نصر شاغل الوفد وهرب إلى نيسابور . ويروى أن لاحظ بن قريظة حذر نصر من الاستسلام بتلاوة الآية « ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » وقد قتل لاحظ جزاء عمله .

والآن بدأ الوجه الحقيقي للدعوة بالظهور بصورة تدريجية ألا وهو الوجه العباسي . فحين جُمع الأنصار لتقديم الولاء أكد أبو مسلم على (الشيعة الهاشمية) مما يشير إلى أن هؤلاء الذين كانوا جند العقيدة العباسية المخلصين هم عماد الثورة وليس الجماعات الأخرى التي استغلت من قبل الثورة .

وقد أصبحت مرو العاصمة وقراها ثم مرو الروز وهيرات وابيورد تحت نفوذ الشيعة العباسية . أما بلخ فلقد قاومت القوات العباسية التي وجدت صعوبة في احتلالها وذلك لأسباب ثلاثة : أولها أن المقاتلة العرب في بلخ كانوا متحدين

لم تتنازعهم العصبية القبلية وذلك لأن أسد بن عبدالله العشري وطّنهم فيها ككتلة واحدة دون الأخذ بخطة الأخماس التي كانت مستعملة في البصرة ولذلك كان العرب في بلخ موالين للأمير ومخلصين للأمويين. وثانيها أن الجند السوري في بلخ وعدده ٢٥٠٠ جندي كان موالياً لنصر بن سيار وثالثها : فإن السكان الايرانيين في بلخ وما جاورها تعاونوا مع الأمير الأموي. كما وأن الأمراء الايرانيين المحليين في طخارستان وأقاليم أخرى في بلاد ما وراء النهر أظهروا مساعدتهم له. وعلى حدّ قول الطبري(٧٦) فقد اتفقت مضر واليمن وربيعة والعجم في بلخ على قتال المسودة.

إن مقاومة بلخ للمسودة مهمة وذلك لأنها ربما كانت من أول الأحداث السياسية التي تميط اللثام عن بعض ظواهر الثورة العباسية. فنحن نلاحظ أولاً بأن الدعوة استغلت العصبية القبلية فنجحت حيث وجدت العصبية وفشلت في بلخ حيث كان العرب متحدين على اختلاف قبائلهم ومخلصين لواليهم الأموي. ثم إن هذه الحادثة تظهر ثانياً بأن الدعوة العباسية لم تكن فارسية موجهة ضد العرب ذلك لأن السكان المحليين الايرانيين وأمرائهم وقفوا إلى جانب الأمويين ضد المسودة. وقد قاتل غير العرب من الموالي من العرب جنباً إلى جنب لاسترداد بلخ من المسودة. كما وأنها تكشف ثالثاً خطأ ما ذهب إليه فان فلوتن وغيره من أنه كان هناك في إيران تذمر عميق ضد الحكم العربي الذي لم يعط الموالي والايرانيين حقهم. فلو كان الامر كذلك لهبت خراسان وبلاد ما وراء النهر عن بكرة أبيها لتدعم حركة المسوّدة.

حواشي الفصل الرابع

(١) أخبار العباس (مخطوطة)، ص ٨٨ أ — ٨٨ ب.
(٢) op. cit، ص ٨٩ أ.
(٣) op. cit، ص ٩٣ أ، ٩٢ ب.
(٤) op. cit، ص ٩٤ أ — ٩٤ ب.
(٥) المصدر السابق، ص ٩٣ ب.
(٦) op. cit، ص ٩٥ أ — ٩٥ ب.
(٧) المصدر السابق، ص ٩٥ ب.
(٨) أنظر: الهمداني: مختصر كتاب البلدان، ص ٣١٥. — المقدسي: أحسن التقاسيم ج ٣، ص ٢٩٣. — ابن قتيبة، عيون الأخبار ج ١، ص ٢٠٤. — أنساب الأشراف — ص ٧٤٧ أ — ص ٧٤٧ ب. — قارن رأي ينسب للأصمعي وهو يشابه هذا الرأي (وفيات الأعيان) ج ٢، ص ١٢٣ — ١٢٧ الترجمة الإنكليزية.
(٩) فان فلوتن، السيادة العربية.. ص ١٢ (الترجمة العربية)
(١٠) أخبار العباس، ص ١٩٠ ب.
(١١) op. cit، ص ٩٨ أ — ١٠٠ أ
(١٢) op. cit، ص ١٠٠ ب — ١٠١ أ.
(١٣) Ibid
(١٤) الطبري III، ص ١٩٨٨ عن أبي الخطاب — قارن رواية الطبري، ١٣٥٨. أخبار العباس ص ١٠٢ ب نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٥٣ أ — ٢٥٤ أ.
ابن حبيب. المحبّر، ص ٤٦٥. — الجاحظ، مناقب الترك، ص ١٢. — الأزدي:

تاريخ الموصل ، ص ١٩٤ .

(١٥) أخبار العباس ، ص ١٠٣ ب فما بعد .

(١٦) فاروق عمر ، الخلافة العباسية (بالإنكليزية) ، ص ٩١فما بعد .

(١٧) أخبار العباس ، ص ٥٨ ب ، ٦٢ أ ، ٨٥ أ ، ٩٣ أ — ٩٣ ب .

(١٨) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص ٧٧٠ ب عن أبي مسعود الكوفي .—الإمامة والسياسة ج ٢ ، ص ٢٠٩ . — العيون والحدائق ص ١٨٢ .

(١٩) F. Omar, Ibrāhīm al-Imām. in *E. I.* (2)

(٢٠) أخبارالعباس ، ص ١١٥ أ .

(٢١) الطبري III ، ص ١٦٦١ — ١٦٦٢ .

(٢٢) شعبان : الجذور السياسية والاجتماعية. . ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .

(٢٣) الطبري III ،ص ١٧٦٥ — ١٧٦٦ . — دنيت: مروان بن محمد ، ص ٢٦٧ . — شعبان : المصدر السابق ، ٢٢٧ فما بعد .

(٢٤) الدوري : نظام الضرائب .. ، ص ٨٦ . — دنيت : مروان بن محمد ، ص ١٢١ . — شعبان : المصدر السابق ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٢٥) الطبري II ، ١٨٦٣ فما بعد . شعبان : المصدر السابق ، ص ٢٢٩ فما بعد .

(٢٦) الطبري II ، ١٨٦٤ فما بعد ، ١٩٢٥ .

(٢٧) الطبري II ، ١٩٢٦ .

(٢٨) op. cit ، ١٨٦٨ .

(٢٩) دنيت المصدر السابق ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٨

(٣٠) أخبار العباس . ص ١١٨ ب .

(٣٢) op. cit ، ص ١١٩ أ .

(٣٣) أنساب الأشراف ، ص ١٧٧١ . الطبري ، ١٩٤٩ عن المدائني . — أخبار العباس ص ١٢٥ أ ، ص ١٣٠ أ . — العيون والحدائق ، ص ١٨٣ .

(٣٤) أخبار العباس ، ص ١٢١ أ فما بعد .

(٣٥) الطبري ، ١٩٦٠ ، ١٧٢٦ ، ١٧٦٩ . — اليعقوبي ، ص ٣٩٢ . — المسعودي مروج الذهب ج ٦ ص ٥٩ . — ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج ٣ : ص ١٠٦ ، ج١ ص ٢٦ . — يوسفي ، op. cit ، ١٩٣ ص

(٣٦) عن أبي مسلم ، انظر : أخبار العباس ، ص ١٢١ أ — ١٢٨ ب .

(٣٧) F. Omar The ʿAbbāsid caliphate, pp. 98 ff.

(٣٨) أخبار العباس ، ص ١٢٥ أ .

(٣٩) op.cit ، ص ١٢٨ أ .

(٤٠) الطبري ، II ص ١٩٣٧ ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

(٤١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٥٢ .

(٤٢) العيون والحدائق ، ص ١٨٤ .

(٤٣) راجع كاهين ، op. cit ، ص ٣٢٧ .

(٤٤) أخبار العباس ، ص ١٣٨ ب ، نبذة من كتاب التاريخ ، ص ٢٦٠ أ .

(٤٥) op. cit ، ص ١٣٩ أ .

(٤٦) op. cit ، ص ١٣٠ ب .

(٤٧) op. cit ، ص ١٣١ أ — ١٣١ ب.

(٤٨) المصدر السابق ، ص ١٣١ ب .

(٤٩) « « ، ص ١٣٤ ب .

(٥٠) العيون والحدائق ، ص ١٨٨ .

(٥١) اخبار العباس ، ص ١٣٣ أ .

(٥٢) راجع F. Omar ʿAbbāsid caliphate,PH. Dtheses Londo n1967 pp. 111-117

(٥٣) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧١ . — idem رسائل ، القاهرة ١٩٦٤ ،

(٥٤) الطبري II ، ١٩٥٢ ، ١٩٦٧ ، ١٩٥٣ . — ابن الأثير اللباب في معرفة الأنساب ج ١ ، ص ٥٦٩ .

(٥٥) أخبار العباس ، ص ١٥٣ أ ، ١٤٧ أ .

(٥٥) أخبار العباس ، ص ١٥٣ أ ، ١٤٧ أ .

(٥٦) فاروق عمر op. cit ص ١١٤ فما بعد .

(٥٧) أخبار العباس ، ص ٨٤ ب .

(٥٨) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٩٤ .

(٥٩) op.cit ، ص ١٢٤ .

(٦٠) فاروق عمر ، المصدر السابق ، ص ١١٦ فما بعد .

(٦١) البلاذري : أنساب الأشراف ، (مخطوطة) . — الأزدي : تاريخ الموصل (مخطوطة) ص ١٢٥ .

(٦٢) الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .
(٦٣) أخبار العباس ، ص ١٣٥ ب .
(٦٤) المصدر السابق ، ص ١٣٦ ب .
(٦٥) أشار نصر بن سيار إلى الشيعة العباسية قائلا :

ليسوا إلى عرب منا فنصرفهم ولا صميم الموالي إن همُ نسبوا
(الدينوري (ص٣٦٠)

فأجابه أحد الدعاة العباسيين قائلا :

لسنا نحابي على الرحمن من أحد فيما نطالب من مولى ومن عرب
(أخبار العباس ١٥٤ أ)

(٦٦) أخبار العباس ، ص ١٤٣ أ .
(٦٧) راجع فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ١٢٢ .
(٦٨) البلاذري ، ص ١٤٤ أ . — الطبري II ، ١٩٩٢ . — العيون والحدائق ، ص ١٦٥ — ١٦٦
(٦٩) الموادعة : المهادنة والمتاركة . — انظر مصطفى : المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٥٢٢ ، ١٠٣٢ .
(٧٠) الطبري II ، ص ١٩٦٦ .
(٧١) أخبار العباس ، ص ١٤٨ أ .
(٧٢) op. cit ، ص ١٤٨ ب . — نبذة من كتاب التاريخ ، ص ٢٦٦ ب .
(٧٣) أخبار العباس ، ص ١٥٢ ب .
(٧٤) المصدر السابق ص ١٥٣ أ — ١٥٣ ب
(٧٥) راجع الطبري II ١٩٨٧ فما بعد . — أخبار العباس ، ١٥٤ أ فما بعد . — خليفة بن خياط ، تاريخ (مخطوطة) ص ٢٦٨ — ٢٦٩ . — الإمامة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ فما بعد .
(٧٦) الطبري II ، ١٥٩٠ ، ١٩٩٧ — ١٩٩٨ .

الفصل الخامس

نهاية دولة الأمويين

قال ابراهيم الامام في رسالة للشيعة العباسية بعد احتلالهم مرو : « ان الله قد قادكم لى خير ما قاد اليه امة من نصرة آل نبيكم والقيام بحقكم والانتقام بكم من اعوان الظالمين ».

مخطوطة اخبار العباس : ص ١٥٧ ب

قال ابو جعفر (المنصور) للقبائل اليمانية المعتصمة في واسط :
« السلطان سلطانكم والدولة دولتكم »

الامامة والسياسة : ص ٢٤١

إن حوادث الثورة العباسية وتطوراتها بعد استيلاء الشيعة العباسية على مرو وهرب نصر بن سيار باتجاه الغرب ستوضح لنا أكثر فأكثر بأن الثورة كانت ، في الأعم الأغلب ، قضية عربية اصطدم فيها العرب من أتباع مروان بن محمد والعرب من أنصار الشيعة العباسية (أو الهاشمية) . وقد حاول كل طرف أن يكسب إلى جانبه من يستطيع من شيوخ القبائل وسكان المدن . ولقد اشترك الموالي والفرس في أحداث الثورة على أن دورهم لم يكن حاسماً أو ذا تأثير كبير ، كما يصوره بعض المؤرخين ، كما وأن اشتراكهم لم يكن بدافع «قومي» كما يحلو لبعض المؤرخين تفسيره . فلقد حارب أكثر الفرس كموالي تابعين لقبائل عربية ولذلك نشاهدهم يحاربون في الجانبين الأموي والعباسي .

أما القبائل العربية فلا يمكن أن نبالغ في دورهم إذا قلنا بأنهم لعبوا دوراً فعّالاً في مساعدة أهل خراسان في السيطرة على المدن العراقية والشامية وفي دحر قوات مروان الثاني .

تعيين قحطبة الطائي قائداً لجيش خراسان :

وقد صدرت أوامر إبراهيم الامام بتعيين قحطبة بن شبيب الطائي قائداً عاماً للجيش الخراساني المتقدم نحو العراق والشام[1] . وكان قحطبة قد جاء

برسالة من الامام إلى الشيعة العباسية تقول : «ان الامام يقرأ عليكم السلام السلام ويقول لكم ان الله قادكم إلى خير ما قاد اليه أمة من نصرة آل نبيكم والقيام بحقكم والانتقام بكم من أعوان الظالمين والفوز بالخير الكثير في الدنيا والآخرة » . وقد توجه قحطبة الطائي بالجيش الذي قدره بـ ٣٠ ألف «من اليمانية والشيعة وفرسان خراسان» [٢].

مقتل شيبان الصغير :

وكان على الجيش الخراساني أن يتخلص من المنافسين الخطرين للعباسيين وذلك ليأمن مؤخرته قبل أن يتوغل غرباً في أقاليم فارس والعراق . وكان أول هؤلاء المنافسين شيبان بن سلمة الحروري الذي طالب أبا مسلم أن يبايعه خليفة للمسلمين في الوقت الذي طالبه أبو مسلم أن يبايع لآل البيت . وقد تحرك نحو خازم التميمي وبسام بن إبراهيم وقد احتالا على شيبان متظاهرين «بأنهما قدما سرخس مجتازين إلى هراة ولسنا نريد قتال شيبان» . فلما وصلا سرخس هاجما شيبان الذي خرج مع ٣,٠٠٠ رجل من أتباعه . وقد قتل عامة أصحاب شيبان الذي قتل معهم[٣] . وقد أرسل بسام رأس شيبان إلى أبي مسلم الذي أقصى بسام عن القيادة لما سمع بكثرة من قتلهم من بكر بن وائل (ربيعة) لأسباب قبلية . أما نصر بن سيار فقد جزع أشد الجزع حيث قال :

« اليوم استحكم الشر على مروان وذلك لأن أهل سرخس كانوا يداً واحدة على الهاشمية » [٤].

مقتل تميم بن نصر :

وقد تحركت قوتان من أهل خراسان نحو طوس واحدة بقيادة قحطبة الطائي والثانية بقيادة القاسم بن مجاشع التميمي وقد التقيا بالقوات الأموية بقيادة

تميم بن نصر بن سيار ومعه «فرسان مضر وجماعة من أهل نيشابور» وكان معه النابي بن سويد العجلي مع أتباعه . ودارت الدائرة على القوات الأموية وقتل تميم بن نصر وفتحت طوس .

وقد هرب نصر بن سيار نفسه إلى قومس . والجدير بالذكر أنه لم يكن هناك أي تنسيق في الخطة بين نصر وبين الجيش الأموي المتقدم شرقاً بقيادة نباتة بن حنظلة الكلابي . وكان من رأي نصر أن يكون نباتة الكلابي تحت إمرته ولكن ابن هبيرة والي العراق والمسؤول عن الأقاليم الشرقية رفض هذا الاقتراح قائلاً «ما كنت لأولّي مثل نصر على نباتة وإنما نحن في إصلاح ما أفسد نصر» . وقد وافق الخليفة مروان على رأي ابن هبيرة حيث قرر ألا يترك خراسان بين شيوخ القبائل فعين نباتة ، وهو قائد عسكري ، قائداً ووالياً على خراسان وطلب من نصر أن يتنازل عن سلطته لنباتة . وكانت هذه ضربة مؤلمة لنصر الذي ترك المقاومة واتجه نحو همدان حيث مات في الطريق في قرية ساوة يوم ١٢ ربيع الأول ١٣١ هـ — تشرين الأول ٧٤٨ م . وفي نفس الوقت أعلن العباسيون الأمان في نيشابور لكل الذين عاونوا نصراً وكانت هذه حركة بارعة من قبل الشيعة العباسية رفعت من سمعتهم وشأنهم تجاه دعايات نصر بن سيار.

فتح جرجان :

على أن المجابهة المهمة بين الشيعة العباسية وبين الجيش الأموي بقيادة نباتة الكلابي الذي انضم إليه البقية الباقية من أتباع نصر وكذلك أمراء ابيورد ونسا وسرخس المحليون . كانت قرب جرجان [٥]

وقد تقدم قحطبة الطائي لمقابلة نباتة رغم أن أوامر أبي مسلم كانت تقضي باحتلال نسا وقومس . وقد هُزِم الجيش الأموي وقُتل نباتة في ٣ ذي الحجة ١٣٠ هـ — تموز ٧٤٨ م[٦] . ولكن أهل جرجان من الفرس قاوموا جيش

قحطبة وأخرجوه من المدينة مما اضطر قحطبة إلى إعادة الهجوم فاحتل المدينة وقتل الكثير من أهلها بسبب ولائهم للأمويين .

وقد استطاع خالد بن برمك أن يقنع أمير طبرستان الاصبهبذ بضرورة إعلان ولائه للعباسيين . وقد استطاع قحطبة بعد عدة معارك أن يقتحم المقاومة الأموية ويفتح المدن الصغيرة الواحدة بعد الأخرى حتى وصل إلى الري حيث بقي فيها عدة أشهر .

وكتب مروان الثاني إلى والي العراق يزيد بن عمر ابن هبيرة : «إن نصر بن سيار كتب إلى أمير المؤمنين مَن تجمع من أعداء الله من شرار العجم وسقاط العرب . ويشكو سوء إجابتك إياه وتثاقلك عن إمداده فما أكثر استزادة أمير المؤمنين لك في كل ما يأمرك وينهاك عنه فإذا نظرت في كتاب أمير المؤمنين فسرّب إلى نصر الجموع بعد الجموع ثم أتبعهم القوة بعد القوة وسرّح من ولدك أحمدهم عندك عقلاً وأصحهم نيّة في جهاد عدو أمير المؤمنين ووله أمر ذلك الجند . ومُره بحسن سياستهم والرفق بهم حتى يكون لهم كالوالد الشفيق أو المؤدب الرقيق حتى لا يدخله سأم فيما يحاول من مصلحتهم ثم آثرهم بما يجتمع عندك من الفيء فإنهم أحق به ممن أقام ولم يصل بالحرب . فإن أمر خراسان قد تفاقم واشتدت شوكة من يجتمع هناك واستولت السفلة على الأخيار وعلى أهل الدين والحسب للذي كان الله ابتلاهم به من الفرقة والتباين فأبدلهم الله بذلك مذلة الأرباب وربوبية العبيد . وفي تعجيلك الجنود عز لأهل الطاعة وذل لأهل المعصية .

فاستدرك ما قد تفاوت من تفريطك فإن العراق لك مدد والأموال لديك كثيرة غير مقبوضة يدك عنها ولا يحال بينك وبينها» .

معركة جابلق :

وقد أمر ابن هبيرة عامر بن صنبارة مع حوالي ٥٠,٠٠٠ من أهل العراق

وأهل خراسان للسير نحو جيش قحطبة وترك خطته السابقة بالهجوم على خراسان عن طريق سجستان(٧) .

وكان ابن صنبارة من القواد المحنكين الذي دحر الخوارج وعبدالله بن معاوية الجعفري ولم ينهزم في حياته العسكرية . كما وأن قواته عززت بقوات جديدة بقيادة داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة الذي قاد جند الشام والجزيرة . وحين التقى الجمعان نادى رجل من عسكر الأمويين على شيعة العباسيين :

« يا معشر المسلمين اتقوا الله وراجعوا جماعتكم ولكم الأمان على ما أحدثتم في هذه الفتنة ولكم العطاء والرزق الواسع » .

فدعاهم رجل من الجند الخراسانية قائلاً :

« إنا والله ما ننازعكم دنياكم وما عليها نقاتلكم ولكنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه وإلى الرضا من أهل بيته فإن قبلتم كنا وأنتم متعاونين .. »

والظاهر أن قسماً من أهل نهاوند انضموا إلى الجيش الأموي ولم يطل الانتظار حيث وقعت المعركة في جابلق قرب أصفهان (٢٣ رجب ١٣١ هـ) بين الطرفين وكانت « الفيصل » في تقرير مصير الطرفين حيث انتصر الخراسانية على جيش ابن صنبارة الذي قتل في المعركة . وقد كان قلق أبي مسلم على مصير الجيش الخراساني ظاهراً قبل وصول نتائج المعركة وكان أهل العراق كذلك ينتظرون نتيجة المعركة حيث « جعلوا يقولون ان ظفر ابن صنبارة ثبت الملك وأن ظفر قحطبة ثم الامر لبني هاشم » (٨) .

أما سكان نهاوند ومن فيها من الخراسانية من أنصار الأمويين فقد اعتصموا وأبوا الاستسلام . وكان قحطبة الطائي حريصاً على استبقائهم وإعطائهم الأمان فرفضوا ثم دعاهم « أنتم آمنون فمن اختار يخرج الينا ويكون معنا فرضينا له .. ومن أحب أن ينصرف إلى خراسان أمّنه أبو مسلم .. » فلم يستجيبوا . ثم إن قحطبة فشل في إقناع مَن في المدينة من أهل خراسان حيث دعاهم قائلا : « إنكم أهل مبرتنا وأحق من أدركته عافيتنا ... فأجيبونا وليكن أمرنا واحد » ،

ولكنه استطاع كسب الجند الفلسطينين من أهل الشام بعد أن لعب على عواطفهم القبلية فانسحبوا من المدينة . واستطاع قحطبة احتلالها وقتل مَن فيها من أهل خراسان وعددهم حوالي ٣ آلاف عقاباً لهم على تحديهم الدعوة العباسية .

اغتيال علي بن جديع الكرماني وأخيه :

لقد كان انتصار قحطبة في جابلق حاسماً حيث أصبح للعباسيين السيطرة الفعلية على الجناح الشرقي من الدولة الأموية .

وكتب أبو مسلم إلى قحطبة «يعظمه ويجل قدره ويشير إليه بأن يكاتب أبا سلمة (الخلال) وينفذ ما يأتيه عنه» حيث أصبح الجيش الخراساني على مشارف العراق ولذلك فمن الاصح الاتصال بأبي سلمة وزير آل محمد في الكوفة .

وقد أدرك أبو مسلم أن الفرصة قد حانت الآن للتخلص من ابن الكرماني زعيم قبائل الأزد اليمانية ومن يتبعها حيث كان الشيعة العباسية قد اعترفوا به أميراً على خراسان ولذلك كان عقبة في طريق أبا مسلم والثورة . وقد قتل ابن الكرماني في الطريق إلى نيسابور حيث كان يصاحب أبي مسلم إليها . كما اغتيل أخوه عثمان في هيرات حيث كان والياً عليها . وتخلص ابو مسلم من الكثير من صحابة ابن الكرماني وأصدقائه . وهكذا انتهت حياة ابن الكرماني ذلك الشيخ الواسع النفوذ الذي لعب دوراً كبيراً في إرجاح كفة الشيعة العباسية على كفة شيعة مروان . على أن دوره انتهى وكان لا بد من التخلص منه(٩) .

مقتل بها فريد :

لقد شجع أبو مسلم بهافريد خلال فترة الدعوة من أجل أن يعم الاضطراب أنحاء خراسان وينشغل الوالي الأموي بحركات جانبية عن الشيعة العباسية .

أما بعد تحقيق الانتصار العباسي فكان لا بد من وضع حد لفعاليات بها فريد .

ويظهر أن بها فريد ٠ عوته في نيسابور كان ررادشتياً في الأصل إلا أنه قام بدعوة إصلاحيه سعدين وإضافة بعض العناصر الجديدة إلى الزرادشتية ولذلك لم تكن حركته حركة دينية جديدة وإنما حركة إصلاحية ضمن نطاق الزرادشتية .

ويتفق المؤرخون على النقاط التالية على أنها التعديلات التي أدخلها بهافريد :

(١) رفض الزمزمة (أو الكلام بصوت منخفض) أثناء الصلاة . وهذا ما كان يقوم به رجال الدين الزرادشتي .

(٢) رفض شرب الخمر .

(٣) منع الزواج بالأقرباء .

(٤) منع أكل لحوم الحيوانات التي لم تذبح بطريقة شرعية .

(٥) ويضيف ابن النديم إقامة الصلاة خمس مرات في اليوم في الوقت الذي تؤكد المصادر الأخرى أنها كانت أربع مرات . كما يضيف الشهرستاني عبادات تتعلق ببعض الطقوس النارية .

مع أن المصادر التاريخية الاسلامية تفصل ساخرة ببعض ما ادعاه بهافريد حول رحلته إلى السماء أو موته لمدة سنة ثم عودته حياً إلى هذه الحياة الدنيا . والظاهر أن بهافريد أخفى نفسه أو رحل إلى الصين لمدة سنة تقريباً ثم عاد مدّعياً أنه مات وذهب إلى السماء ثم عاد إلى هذه الدنيا بتعاليم جديدة .

يقول المستشرق بارتولد ان بهافريد حاول إعادة الدين الزرادشتي النقي . أما المستشرق موسكاتي فيرى في حركة بهافريد الاصلاحية بأنها إدخال عناصر إسلامية جديدة في الديانة الزرادشتية . أما الدكتور صديقي فيرى في حركة بهافري دليلاً على أن الديانة الزرادشتية كانت لا تزال منتشرة في إيران . كما وأنها كانت حركة إصلاحية للديانة الزرادشتية . ويضيف الدكتور صديقي قائلاً بأن آراء بهافريد الدينية لم تمنعه أن يكون محرراً سياسياً بل على العكس

فإنه ربما تظاهر بالدين من أجل أن يستغله كوسيلة لتحرير أبناء شعبه الايرانيين من العرب[١٠] .

على أننا نعتقد بأن ما أدخله بهافريد في الزرادشتية كان على العموم بتأثير الديانة الاسلامية التي لا بد وأن يكون بهافريد قد تعرف عليها بعد فتح العرب لايران . ولذلك فإن خطورته لم تكن على الزرادشتية فقط بل على الاسلام نفسه حيث أن السكان المحليين الايرانيين ربما اندفعوا إليه باعتباره واحد منهم أكثر من اندفاعهم إلى أي شخص آخر . ولذلك حذر رجال الدين الزرادشت أبا مسلم بخطورته ليس على الزرادشتية بل على الإسلام أيضاً .

لقد تغاضى أبو مسلم عن حركة بهافريد في فترة الدعوة العباسية وربما شجعه وهذا ما دفع ابن النديم إلى القول بأن بهافريد اعتنق الاسلام ودخل في الشيعة العباسية ولكنه انشق عنها بعدئذٍ وجعل يبشر بتعاليم جديدة لنفسه مما دعا أبا مسلم إلى قتله . وليس لدينا روايات تاريخية كافية لدحض رواية ابن النديم أو لتأكيدها ، على أن المستشرق هوتسما يؤكد أن سبب قتله كان لابتداعه تعاليم جديدة هي وسط بين الزرادشتية والاسلام وهذه التعاليم ربما جذبت الجماهير الايرانية المتمسكة بتقاليدها ومعتقداتها السابقة لأن تعاليم بهافريد ، وهو ابن جلدتهم ، أقرب إليهم من أية تعاليم أخرى .

وربما نستطيع القول أيضاً بأن سبب قتله من قبل أبي مسلم كان بدافع ارضاء رجال الدين الزرادشت والاحتفاظ بالعلاقة الودية معهم خاصة وأنهم لا زالوا جزءاً لا بأس به من سكان إيران . هذا إضافة إلى خطورته على الدين الاسلامي وعلى نفوذ الدولة العباسية الجديدة السياسي .

القوات الخراسانية في العراق :

وفي حركة سريعة أصبحت القوات الخراسانية داخل العراق[١١] . وكان أبو سلمة الخلال رئيس دعاة الكوفة ووزير آل محمد على استعداد

60922

لاستقبالها حيث خلق نوعاً من الفوضى في العراق بتحريضه رجال القبائل على الاضطراب وخاصة في الكوفة والبصرة والموصل . وثار موسى الهمداني في حلوان وعاثت ربيعة فساداً في الفرات الأسفل . وثار أبو أمية التغلبي في تكريت . وانضم عفاف بن سعيد الحارثي وكذلك الموصلية أصحاب عامر للجيش الخراساني . وقد تحصن أغلب الجيش الخراساني في شهرزور بقيادة أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي حين سماعه بنبأ تقدم مروان الثاني بجيشه المكون من الشاميين والجزريين . وكتب إلى يزيد بن هبيرة كتاباً جديداً :

«أما بعد فإن أمير المؤمنين ولاّك العراق لما آمل من كفايتك فأخلفت ظنه في أمور منها إبطاؤك عمن استمرضك من أهل طاعته بخراسان حتى وهنت قوتهم وقوي عدوهم عليهم . ومنها أخذك أهبة الحصار قبل أوان ذلك حتى أرعبت قلوب من معك وسهلت عليهم سبل الهزايم وإنما يكون الحصار بعد طول المنازلة والمحاربة . ومنها إغمادك السيف عن آل المهلب المربصين للفتن الا يكون سفكت دمائهم وأبحت حريمهم . ومنها إهمالك أمر جنودك بلا شدة على أهل الريب منهم وإقامة الحدود فيهم . ومنها تقصيرك على قطع ألسنة من ينطق فيما يكرهه أمير المؤمنين من أهل الشام وقد رأيت اثار أمير المؤمنين وشكه بهم . ومنها اشتمالك على فيء المسلمين ... وهذا أعظم قوتك على عدوك !!

... فإن كانت فلول ابن صنبارة وداود قد تجمعت إليك وقدم عليك الحوثرة بن سهيل فيمن معه فانهض بنفسك للقاء هذا العدو الجاهد عليك الباسط سيفه اليك وإلى إخوانك ولا تستبق شيئاً من جدك ..»(١٢)

فأجابه ابن هبيرة قائلاً :

«قد فهمت كتاب أمير المؤمنين وما جهلتُ بلاه ولا قصرت في نصيحته ، ولا حديث عن جهة الحق وحرم الرأي فإن أتت الاقدار بخلاف ما تهوى فإن تقدر الله فوق تقدر العباد . أما ما ذكر أمير

المؤمنين من إبطائي عمن استصرخني بخراسان فقد علم أمير المؤمنين أني صرت إلى العراق وهي حرب كلها فكان أول ما يحضرني علاج ما قرب مني وكنت في ذلك قد شغلت جنود أهل الشام جميعاً بالخوارج تارة وبابن معاوية أخرى وبسليمان بن حبيب أخرى .

لم أكن أستعين بأهل العراق وقد علم أمير المؤمنين ما هم عليه من غشه وغش دولته فيما استصرخني فيه أهل خراسان ولم آمن ان فعلتُ أن يظاهروا عدو أمير المؤمنين فيلزمني لايمة في ذلك وتقصير .

... وأما إغمادي السيف عن آل المهلب فإني رأيتهم من اليمن بمكان فكرهت لذلك هيجهم ولم آمن ان فعلت أن يخذلني أهل العراق منهم ومن معي من أهل الشام فتألفتهم وتربصت بهم . وأما إمساكي عن تأديب أهل الشام وتركي الشدة عليهم في سوء سيرتهم فإني رأيت سوء السيرة قد شملتهم فكرهت أن أعنف على جماعتهم وهم عوني على عدوي فتفسد بذلك بصائرهم ويقبلوا عليّ بعداوتهم دون عداوة عدوهم ولعل إفراط أمير المؤمنين في عقوبته وتنكيله قد أفسد عليه قلوب أهل دولته وحملهم على التقصير في نصرته .

وأما ما ذكر أمير المؤمنين من اشتمالي على فيء المسلمين فلعمري أن في عمالتي وأرزاقي لما يغنيني عن ذلك ومنزلتي من قنسرين بحيث قد علمه أمير المؤمنين وهو في اطلاله عليه وقربه منه بحيث لا مؤونة عليه في تفتيشه والتنقيب عما ذكر له فيه فليبعث أمير المؤمنين من يثق بدينه وصحته فيبحث عن ذلك ... وأما ما ذكر أمير المؤمنين عن خطأي فليس الخطأ بمأمون على بشر وما أنا بغني عن إيقاظ أمير المؤمنين إياي في عظيم ما حملني من ولايته ولا بمكتف بما عندي دون ارشاده وتأديبه .

وليت الله قد أظهر أمير المؤمنين على عدوه وأعطاه سؤله وبسط له يده وقوله وفعله وخمدت نيران الفتن عنه فيعرف نصيحتي له

وقيامي بأمره وينفّذ عليّ فيما سرني وساءني حكمه .

وقد رأيت أمير المؤمنين قد حمل أكثر أموره على سوء الظن فيما يعامل به من أئمته عليها حتى لقد ظننتُ أنه لم يبق أحد من أعوانه وعوام رعيته إلا أوحشه ذلك منه وخاف بادرته وسطوته من مقام في ذنب وسليم قلب والسلام»(١٣) .

ولعل هذه الرسائل التي أوردناها ما فيه الكفاية ليدلل على حالة الدولة في أواخر عهد مروان الرجل القوي والعسكري المتمرس . ولكن نقاط الضعف ظاهرة في سياسة يزيد بن هبيرة وموقف مروان من أعوانه وأخذهم بالشك والشدة وتحزبه لبعضهم على بعض . مما أدى إلى ضياع كفاءة الخليفة وقدرته وذهابها هباءً ولعل مجيء مروان إلى الحكم كان متأخراً جداً بحيث لم يكن يستطيع إنقاذ الوضع المتدهور .

معركة الفلوجة :

وقد تقابل الجيشان في ٢٧ آب سنة ٧٤٩ م في منطقة قرب الفلوجة على شواطىء الفرات وقد دارت المعركة بين أخذ ورد حيث هزم الجيش الأموي وانسحب باتجاه واسط . على أن قائد الجيش العباسي قُتِل . واختلفت الرايات في أسباب ذلك فذكر أنه جُرح جرحاً بليغاً أو أنه غرق في الفرات أو قُتل من قبل الأعداء أثناء المعركة(١٤) .

ولم تكن معركة الفلوجة حاسمة حيث احتفظت القوات الأموية بأكثر جندها إلا أنها أثرت على معنويتهم بدرجة ملحوظة حيث اعتصموا في واسط .

ومن نتائجها إعلان الكوفة ولائها للجيش الخراساني حيث ثار محمد العشري فيها وأخذها للشيعة الهاشمية فدخلها الجيش الخراساني دون حرب . وقد صعد محمد العشري المنبر وخلع مروان ودعا إلى آل محمد وقال(١٥) :

«يا أهل الكوفة إن الله قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة وقد طلبها

الأبناء بعد الاباء فحرموها حتى ساقها الله إليكم . هذه جنود الحق قد اطلتكم داخلة عليكم أحد اليومين فقوموا فبايعوا»

ويضيف اخبار العباس قائلاً «فوالله ما رأيتُ سروراً قط كان أشد اجتماعاً عليه من سرورهم بالبيعة لقد اطافوا بالمنبر يستبقون إلى البيعة حتى كادوا يكسرونه فما تخلف عن البيعة إلا أناس قليل» .

وفي يوم ١٠ محرم سنة ١٣٢ هـ ـ آب ٧٤٩ م دخل أبو سلمة حفص الخلال المسجد محاطاً بقواد أهل خراسان حميد الطائي ومقاتل العكي وخازم التميمي وخطب في الناس قائلاً [١٦] :

«إن الله قد أكرمكم بهذه الدعوة المباركة التي لم تزل القلوب تتشوق اليها فخصكم الله بها وجعلكم أهلها ألا وإنه ليس لأحد فيها شرف إلا بعدكم ولا منزلةً في خباء ولا في مجلس ولا مدخل ولا مخرج عند أئمتكم إلا دونكم ألا وإنها دولتكم فاقبلوها وأيقنوا بنصر الله إياكم كعادته فيما أبلاكم حتى بلغكم ما أنتم فيه فاعتبروا بما بقي بما مضى وتحفظوا من خدع السفهاء وتزيين شياطينهم لكم اتباع أهوائهم فإنهم سيتفرغون لكم بالحسد على هذه النعمة فاتهموهم ولا تقاربوهم ... وابشروا بالخير الكثير في عاجلكم إلى ما قد ادخره الله لكم من أجلكم» .

فارتج العسكر بالتكبير وتكلم القوم في صواب ذلك ثم عاد أبو سلمة يتكلم فقال :

«إن أهل بيت اللعنة كانوا يفرضون للجند في السنة ٣٠٠ درهم وإني قد جعلت رزق الرجل منكم في الشهر ٨٠ درهماً وسأخص قوادكم وأهل القدم والسوابق منكم بخواص سنية أجريها عليكم لكل رجل بقدر استحقاقه فابشروا وقروا عيناً .. وكأنكم بامامكم قد حلّ بين أظهركم فيعطيكم أكثر مما تأملون» .

وفرض أبو سلمة للجند ٨٠ درهماً في الشهر وأجرى للخواص من

القواد وأهل العناء من النقباء وغيرهم ما بين ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ درهم ، وخص من دونهم ما بين ١٠٠ ـ ١٠٠٠ درهم شهرياً . على أن الظاهر هو عدم تصريح أبي سلمة باسم الامام أو نسبه رغم كونه من شيعة العباسيين ولقد كان ذلك لغرض في نفسه . حيث كان يهدف تحويل الخلافة من عباسية إلى علوية .

موت ابراهيم الامام :

وفي هذا الوقت بالذات عانت الثورة العباسية من نكسة كبيرة ومرت بتجربة قاسية ألا وهي مقتل إبراهيم الامام مفجر الثورة الذي أوصلها بحزمه وكفاءة نقبائه إلى تلك الدرجة من النجاح والصمود أمام قابليات مروان وإمكانياته الكبيرة .

أما كيف عرف الخليفة الأموي بأن الدعوة الخراسانية كانت للعباسيين من أهل البيت وأن الذي يقوم بإدارتها والاشراف عليها هو إبراهيم الامام ابن محمد العباسي ، فتختلف الروايات في إيراد ذلك . على أننا نستطيع القول بأن اسم الامام كان معروفاً لدى الحلقات الخاصة من الشيعة الهاشمية أو العباسية . وان الكثير من الأنصار الذين ساندوا الثورة ومنهم ابن الكرماني نفسه لم يكن يعرف أن الرضا من آل البيت سيكون عباسياً .

أما عن اعتقاد إبراهيم الامام فتتناقض الروايات(١٧) فيمن أخبر الخليفة مروان عن مغاليات إبراهيم الامام . والظاهر أن نصراً بن سيار لعب دوراً كبيراً في التعرف على شخصية إبراهيم ودوره في الدعوة العباسية فأخبر بذلك الخليفة الذي قام بدوره باعتقاله . وقد اتهمت بعض الروايات عبدالله بن الحسن المحض أو عبد الكريم بن أبي العوجاء باخبار مروان عن مغاليات إبراهيم السرية ولكن هذه الروايات ليس لها نصيب كبير من الصحة خاصة إذا علمنا أن هاتين الشخصيتين كانتا من ضحايا العباسيين بعد تأسيس دولتهم .

ان فعاليات العباسيين السرية السياسية كانت معروفة منذ عهد عبد الملك بن مروان والوليد ولذلك فليس من المدهش أن يكون إبراهيم الامام المتهم الأول في نظر مروان . كما وان اسم الامام لا بد وأن تكون الألسن قد تداولته بعد الانتصارات الخراسانية الكبيرة في صيف سنة ١٣١ هـ — ٧٤٩ م . وقد اعتقل إبراهيم الامام في الحميمة وسجن في حران حيث لاقى حتفه في محرم سنة ١٣٢ هـ — آب ٧٤٩ إما خنقاً أو بالسم كما تؤكد روايات عديدة . ومن المحتمل من جهة أخرى أن يكون إبراهيم قد وقع ضحية الطاعون الذي انتشر في سوريا في تلك السنة .

وتؤكد مصادرنا التاريخية أن إبراهيم الامام قد أوصى أن يكون أخوه أبو العباس[١٨] إماماً للدعوة العباسية من بعده حيث أعلن ذلك في جمع من الهاشميين ومواليهم قبل أن يغادر الحميمة إلى حران . وقد أكد ذلك إبراهيم الامام في رسالة بعث بها مع أحد مواليه إلى أبي سلمة والي أبي مسلم . كما وأن مولاه سابق الخوارزمي سلّم أبا العباس وصية جديدة كان قد كتبها إبراهيم الامام قبل وفاته وسلمها إلى مولاه مؤكداً أن أبا العباس أخاه هو الامام وهو الوريث .

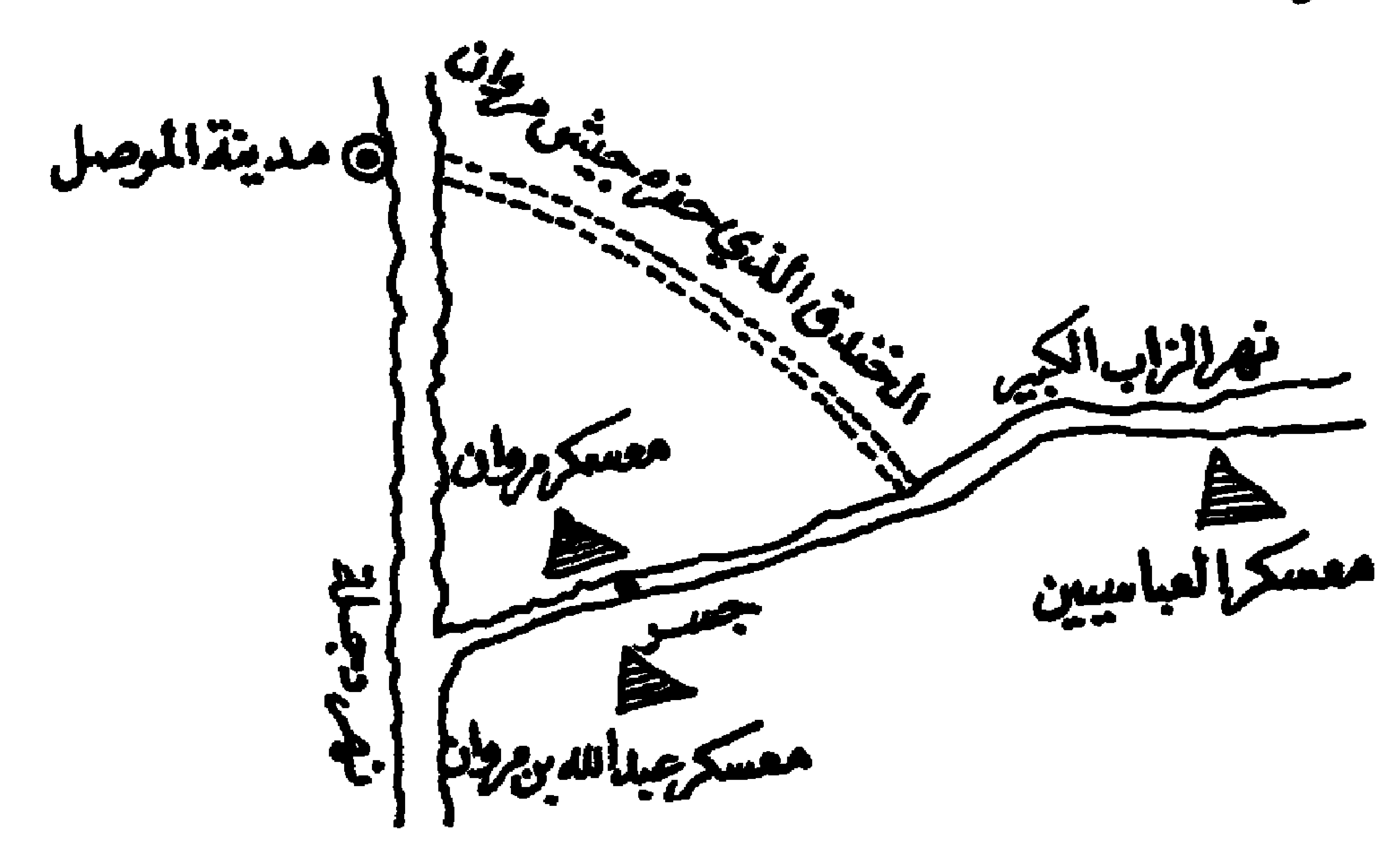
بعد اعتقال الأمويين لابراهيم الامام هرب أبو العباس وأقرباؤه الهاشميون إلى الكوفة في محرم أو صفر من سنة ١٣٢ هـ — آب أو أيلول ٧٤٩ م . وبعد أن تأخرت بيعته في الكوفة بسبب تحول ميول أبي مسلم إلى العلويين مدة شهر أو أكثر بويع أبو العباس أول خليفة عباسي في ربيع الأول ١٣٢ — تشرين الأول ٧٤٩ .

معركة الزاب ونهاية مروان :

وكان أول عمل قام به الخليفة العباسي الجديد هو مجابهة القوات الأموية في الشمال وفي واسط . فقد عين أبو العباس عمه عبدالله بن علي لقيادة الجيش

الخراساني المرابط في شهرزور وأمره بالتقدم نحو مروان الذي خندق في موقع حصين قرب الزاب . كما وان الخليفة عين أخاه أبا جعفر لقيادة الحصار المضروب على ابن هبيرة في واسط .

أما مروان فقد تخندق بين دجلة والزاب الكبير وكان جيشه مؤلفاً من أهل الشام والجزيرة على شكل كتائب منها الصحصحية والراشدية والمحمرة والدوكانية ، كما انضم اليه البدو وبعض قبائل الجزيرة . ولقد كانت القوات الأموية والعباسية بنفس العدد تقريباً إلى بين ٢٠,٠٠٠ — ٢٤,٠٠٠ جندي ، على أنهم لم يكونوا بنفس الانسجام والقوة المعنوية التي تميّز بها الجند الخراسانية . وقد عملت العصبية القبلية عملها في جيش مروان الذي كان يتكون في غالبيته من القبائل القيسية(١٩) .



„رسم تخطيطي لمواقع القوات الأموية والعباسية قبل موقعة الزاب الحاسمة"

وقد استمرت المعركة عشرة أيام حيث ارتكب مروان خطأ استراتيجياً كبيراً بعبوره إلى الساحل الأيسر من الزاب الكبير فقد فقد سيطرته وموقعه الحصين ولذلك خسر المعركة وانسحب باتجاه الموصل التي أغلقت أبوابها بوجهه فاضطر إلى الانسحاب نحو الشام يتبعه عبدالله بن علي .

وقد حاول مروان أن يستنجد بالقبائل الشامية في قنسرين وحمص ولكنها لم تستجب له . بل بالعكس هاجمته بعضها لغرض سلب مؤنه وأرزاقه . ولم يستطع مروان البقاء طويلاً في دمشق حيث انقسم الناس إلى قسمين بين مؤيد للأمويين ومعارض لهم حيث أقسمت بعض القبائل اليمانية يمين الولاء لبني هاشم . فتركها متجهاً نحو فلسطين فمصر يتبعه عبد الصمد بن علي الذي أرسل من الخليفة مع ١٠,٠٠٠ مقاتل تعزيزاً للجيش الخراساني وكذلك أبو عون الأزدي قائد أهل خراسان وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل الموصلي مع الموصلية . وليس بالامكان الاعتقاد بأن الخليفة مروان كان يأمل العون والقوة في مصر التي كانت حينذاك في حالة اضطراب وفوضى وربما كان يهدف التوغل غرباً إلى افريقيا . وقد فوجيء مروان وهو مختبيء في إحدى كنائس قرية بوصير بكتيبة عامر المسلي الموصلي وقُتل وهو يحارب في ذي الحجة سنة ١٣٢ – تموز ٧٥٠ . وقد ساعد بعض سكان مصر وخاصة الاقباط في الجيش الخراساني على العثور على مكان مروان ولذلك أكرمتهم السلطة العباسية ببعض الجوائز وبإعفائهم من الضريبة لمدة محدودة .

كما منح الخليفة أبو العباس شيوخ القبائل الموصلية(٢٠) ومنهم وائـــل السجاجي الازدي الموصلي قطائع نظير اشتراكهم في القضاء على الجيش الأموي ومنح كل مقاتل اشترك في معركة الزاب ٥٠٠ درهم وزاد راتبه الشهري إلى ٨٠ درهم . وبهذا حصد مروان الثاني ثمار سياسته القبلية باعتماده على قيس وأخذه الناس بالشك والشبهة حتى تفرقوا عنه وقد قال قولته المشهورة وهو يتراجع باتجاه مصر :

« انفرجت عني قيس انفراج الرأس ما تبقي منهم أحـــد . وذلك اننا وضعنا الأمر في غير موضعه »(٢١) .

أما دمشق فلم تستسلم أول الأمر لعبدالله بن علي واعتصم أهلها وراء أسوار المدينة . ولكن عبد الله دعى اليمانيين في المدينة وأغراهم ووعـــدهم خيراً قائلاً :

« انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا .. فانصرفوا وخلوا بيننا وبين مضر »(٢٢) .

فانضموا اليه ودخل الجيش الخراساني مدينة دمشق .

حصار واسط ومقتل ابن هبيرة :

وقد أرسل أبو العباس أخاه أبا جعفر لقيادة الحصار المضروب على يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزاري الذي حصن نفسه في واسط ورفض الاقتراح بالهجوم على الكوفة كما رفض الالتحاق بمروان الثاني .

وكان الحسن بن قحطبة قائداً للجيش الخراساني ولكن الخليفة رأى من الأفضل ارسال عباسي لقيادة الجيش وكتب رسالة إلى الحسن الطائي قائلاً : « ان العسكر عسكرك والقواد قوادك ولكن أحببتُ أن يكون أخي حاضراً فاسمع له وأطع وأحسن موآزرته » . وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك . فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر أبي جعفر .(٢٣)

وكان جيش ابن هبيرة كبيراً يتكون من الجند السوري الموجود في العراق ومن أهل خراسان الموالين لبني أمية من أهل العراق اليمانيين والقيسيين . وكان يقوده قواد من أمثال معن بن زائدة الشيباني وحوثرة بن سهيل وزياد ابن صالح الحارثي وغيرهم . على أن ضعفه كان بارزاً ويتمثل في العصبية القبلية التي شقته فشلّت حركته . ولذلك لم يصمد مع ابن هبيرة على القتال إلا الصعاليك والفتيان .

وقد استطاع أبو جعفر أن يكسب اليمانية في واسط باغرائهم قائلاً : « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم » فانشق زياد الحارثي مع اليمانية عن ابن هبيرة وجذب معه شيوخاً آخرين . ويظهر ان هؤلاء الشيوخ كانوا قد سئموا الأمويين وأملوا الخير العميم من دولة أهل البيت الجديدة وليس أدل على ذلك

من قول اسحق بن مسلم العقيلي الذي أشار على أبي جعفر بعد سقوط واسط قائلاً :

« ... كنت في خرق وحولك من يطيعه ويموت دونه ويتعصب له من قيس وغيرها فلو ثاروا لذهب الناس ولكن أمركم جديد والناس بين راجٍ وهايب » (٢٤) .

ولقد دام الحصار حوالى ١١ شهراً ولما يفكر ابن هبيرة بالاستسلام حتى سمع بنبأ نهاية مروان فلم يكن مبرراً للمقاومة فجرت محادثات للصلح وأعطى أبو جعفر أماناً لابن هبيرة شاور فيه ابن هبيرة الفقهاء والعلماء أربعين يوماً حتى يرى نقاط الضعف والقوة فيه ، ثم وافق عليه وأرسله إلى أبي جعفر لأخذ موافقة الخليفة عليه . وهذا هو نص الأمان كما أورده كتاب « الإمامة والسياسة » : (٢٥)

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله بن عبد الله بن محمد بن علي أبي جعفر ولي أمر المسلمين ، ليزيد بن هبيرة ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وأراضيها من المسلمين والمعاهدين ، إني أمنتكم بأمان الله الذي لا اله إلا هو ، الذي يعلم سرائر العباد ، ويعلم ما تخفي الصدور ، واليه الأمر كله . أماناً صادقاً لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل ، على أنفسكم وذراريكم وأموالكم وأعطيت يزيد بن هبيرة ومن أمنته في أعلى كتابي هذا الوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق به الأمم الماضية من خلقه وأخذ عليهم به أمره عهداً خالصاً مؤكداً وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين وأسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ، ولا تعطيلُ شيء منها ، ولا الاحتقار لها وبها قامت السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها تعظيماً لها ، وبها حقنت الدماء . وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط .

وأعطيتك ما جعلت لك من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد استشاري فيما جعلت لك منه أمير المؤمنين أعز الله نصره ،

فأمر بانفاذه لكم فاطمئن إلى ما جعلتُ لك من الأمان والعهود والمواثيق وثق بالله وبأمير المؤمنين فيما سلّم منه ورضي به وجعلته لك ولمن معك على نفسي ولك عليّ الوفاء بهذه العهود والمواثيق ولى أشد ما أخذ الله وحرّمه وما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد (ص) فإنه جعله كتاباً مبيناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونوراً وحجة على العباد حتى ألقى الله وأنا عليه .

وأنا أشهد الله وملائكته ورسله ومن قرىء عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق واقراري بها على نفسي وتوكيدي فيها وعلى تسليمي لك ما سألت لا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها . وأدخلتُ في أمانك هذا جميع من قبلي من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن لأمير المؤمنين عليه طاعة من المسلمين وأهل الذمة .

وجعلتُ لك الا ترى مني انقباضاً ولا مجانبة ولا ازوراراً ولا شيئاً تكرهه في دخولك عليّ إلى مفارقتك إياي ، ولا ينال أحداً معك أمر يكرهه وأذنت لك ولهم في المسير والمقام وجعلت لهم أماناً صحيحاً وعهداً وثيقاً .

وان عبد الله بن محمد (أبا جعفر) ان نقض ما جعل لكم في أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف أي أمر تكرهه أو تابع على خلافه أحداً من المخلوقين في سر أو علانية أو أضمر لك في نفسه غير ما ظهر لك ، أو ادخل عليك شيئاً في أمانه . وما ذكر من تسليم أمير المؤمنين ، التماس الخديعة والمكر بك ، وادخال المكروه عليك . أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء به فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وهو بريء من محمد بن علي وهو يخلع أمير المؤمنين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذي هو به من مدينة واسط إلى بيت الله الحرام الذي بمكة حافياً راجلاً . وكل مملوك يملكه من اليوم إلى ثلاثين حجة (أي سنة) بشراء أو هبة أحراراً لوجه الله . وكل امرأة له طالق ثلاثاً ، وكل ما يملكه من ذهب أو فضة أو متاع أو دابة أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه ، والله فيما وكد وجعل على نفسه في هذه الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيداً » .

وقد أورد ابن اعثم الكوفي نص الأمان الذي لا يختلف في معناه عن النص السابق ولكنه أكثر إيجازاً ويختلف في كلماته . على أن السلطة العباسية لم تكن لتحتمل ابن هبيرة ذلك القائد والوالي ذا النفوذ القبلي الكبير والذي كان يعامل أبا جعفر وكأنه مساوياً له من حيث المنزلة . وكان يحف به في ذهابه وايابه ٨٠٠ مقاتل بين فارس وراجل . والواقع فان أبا جعفر أراد أن يكسبه للدولة الجديدة فكان يقول « عجباً لمن يأمرني بقتل مثل هذا » . كما وانه كان يستشيره فيشير اليه قائلاً :

« إن دولتكم هذه جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها لتسرع محبتكم إلى قلوبهم ، ويعذب ذكركم على ألسنتهم ... »(٢٦)

على أن الخليفة أمر أبا جعفر بقتله لأسباب سياسية وقد تعددت الروايات التاريخية في أسباب قتله فمنهم من يذكر انه كان بتحريض من أبي مسلم الذي كتب إلى الخليفة : « انه قلّ طريق سهل تلقى فيه حجارة الا ضد ذلك بأهله لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة » .

على ان ابن حبيب والبلاذري والطبري واليعقوبي يؤكدون بأن ابن هبيرة اتصل بالعلويين متآمراً معهم على قلب الدولة العباسية . ولكن رواية ابن اعثم الكوفي يقول بأن ابن هبيرة نقض الأمان لأنه دعا إلى القضاء على الدولة العباسية ولا يذكر اتصاله بالعلويين .

ولكن السؤال المهم هو هل اتصل ابن هبيرة بالعلويين (محمد ذي النفس الزكية) قبل الأمان أم بعده ؟ وهنا تتناقض الروايات أيضاً على انه لو كان اتصال ابن هبيرة بمحمد ذي النفس الزكية بعد الأمان لما تردد أبو جعفر في قتله . ولكننا نلاحظ أن ابا جعفر تردد كثيراً وقال : « لا أفعل وله في عنقي بيعة وأمان » فأجابه أبو العباس : « والله لتقتلنه أو لابعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عنك » . وواضح ان الخليفة رأى في ابن هبيرة خطراً

على الدولة الجديدة ووافقه في ذلك ابو مسلم ، ولذلك كان الاجدر التخلص منه

وقد قتل ابن هبيرة مع ابنه داود وحاجبه وبعض مواليه كما قُتِل قواده محمد بن بناته وحوثرة بن سهيل . وهكذا قضى العباسيون على جيب آخر من الجيوب الأموية في العراق وسقطت مدينة واسط . ولعل أبو جعفر أحسن عملاً حين اختار المضرية من الشيعة العباسية ليتفذوا أمر قتل ابن هبيرة الفزاري لأنه خشي على الشيعة العباسية من الانقسام بسبب الثأر إذا حدث وان قتل اليمانية ابن هبيرة المضري . ويذكر في هذا الشأن قوم خازم التميمي : « والله ما بدرت إلي قتل ابن هبيرة إلا مخافة أن يدفع إلى رجل من اليمانية فيفخر علينا بقتله » . (٢٧)

استسلام البصرة :

لقد اعتصم مسلم بن قتيبة الباهلي الذي كان ذا نفوذ قبلي واسع بالبصرة بصفته والياً عليها من قبل الأمويين ولم يُسلّم الامارة للوالي العباسي الجديد سفيان بن معاوية المهبلي قائلاً له : « اني غير خارج منها ولكن وادعني حتى ننظر ما يصنع ابن هبيرة فان خرج عن واسط وقتل خرجت عن دار الامارة (في البصرة) فانك تعلم أن مروان وابن هبيرة لم يقتلا ولم يهزما » . (٢٨)

ولكن سفيان المهبلي قرر اجباره على ترك الامارة وانضم إلى سلم تميم وقيس وبني مسمع الربعيين وأهل العالية وعدد من قريش وثقيف . كما انضم اليه الجند السوري والامويوّن في البصرة. أما سفيان فكان معه الازد وحلفاؤهم من بكر بن وائل وكذلك عبد القيس . وانحاز اليه ٢٠٠٠ كلبي ممن ارسلوا لتعزيز سَلْم ولكنهم انضموا إلى سفيان . وقد انهزم سفيان في المعركة وظل سلم فيها حتى علم بمقتل ابن هبيرة وحينئذٍ ترك البصرة إلى الحجاز وعين بدله أحد الهاشميين والياً على البصرة حيث استبدله ابو العباس بسفيان المهبلي . وبهذا

سيطر العباسيون على البصرة .

لقد استطاع العباسيون أن يقضوا على فلول الامويين ومراكزهم الحصينة في العراق والشام ، وقضوا على آخر خلفائهم مروان الثاني في مصر . إلا أن شيعة الأمويين استمروا في معارضتهم للدولة الجديدة وعلى الرغم من ان القبائل الشامية وخاصة الكلبية منها كانت غير راضية عن سياسة مروان القبلية إلا أنها لم تكن ضد الخلافة الأموية بوجه عام . ولذلك برزت حركة معارضة أموية قوية في العصر العباسي الأول مركزها بلاد الشام تمثلت بثورات القبائل السورية بقيادة شيوخها أو أمراء أمويين ، كما وانها تمثلت بحركة السفياني المنتظر الذي كان أمل السوريين في استعادة سلطتهم ومجدهم المفقود .

ولا شك فإن أهل الشام كانوا ينتظرون من امراء الأندلس الأمويين المساعدة وانقاذ بلاد الشام من العباسيين ولذلك تداول الناس روايات تؤكد أن السفياني المنتظر سيأتي من الأندلس وسيعيد الخير والعز إلى ربوع الشام .

(١) الطبري II ، ص ٢٠٠٠ . — أخبار العباس ، ص ١٥٧ ب . — اليعقوبي : تاريخ ص ٤١٠ . — الدينواري . الأخبار الطوال ، ص ٣٦٢ . — العيون والحدائق ص ١٩٣

(٢) الإمامة والسياسة ، طبعة القاهرة ١٩٠٤ ، ص ٢٢٥ .

(٣) الطبري II، ١٩٩٦ . — أخبار العباس : ص ١٥٧ ب . — نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٧١ ب .

(٤) أخبار العباس ، ص ١٥٨ أ .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٧٣ . — الطبري II ، ٢٠٠٤ عن المدائني . — ابن قتيبة . المعارف ص ٣٧٠ . — اليعقوبي تاريخ II ، ص ٤١٠ . — أخبار العباس ص ١٦١ أ فما بعد . نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٧٢ أ فما بعد .

(٦) إذا كانت رواية الطبري III ، (٢٠٠٤ — ٢٠٠٥) التي تذكر نص خطبة ألقاها قحطبة الطائي على أهل خراسان صحيحة وغير موضوعة من قبل رواة معادين للدعوة ، فإنها دون شك تشير إلى حرج موقف القائد الطائي إزاء جيش نباتة بن حنظلة الكثير العدد . فقد حاول الطائي أن يستثير همم الخراسانية بأن ذكرهم بأمجاد خراسان القديم وإذكاء النعرة الإقليمية . فذكّر (أهل خراسان) بثأرهم لدى (أهل العراق) (وأهل الشام) ، وأثار عزائمهم قائلا لهم بأن الإمام أخبره بأنهم منتصرون لا محالة .

ولا غرو فالخطبة كانت بنت ساعتها وغرضها واضح فهو دعائي يستحث العزائم ليس إلا . ولا يمكن اتخاذه دليلا على أن جيش قحطبة كان فارسياً فقحطبة لم يستعمل كلمة فرس أو عجم كما وان اصطلاح (أهل خراسان) لم يكن يعني العجم من أهل خراسان فقط ، بل إنه لم يكن اصطلاحاً قومياً أو عنصرياً ولكنه اصطلاحاً إقليمياً .

والخطبة إن دلت على شيء فإنما تدل على الواجهات المتعددة التي ظهرت بها الدعوة العباسية ، والشعارات المختلفة التي نادت بها .

(٧) الطبري II، ٢٠٠٤ . — اليعقوبي تاريخ II، ص٤٠٨ فما بعد — أخبار العباس ص١٦٦ أ

(٨) أخبار العباس ، ص ١٧٢ أ .

(٩) ابن حبيب ، أسماء المغتالين ، ص ١٩١ . — أنساب الأشراف ، ص ٧٧٨ أ . — أخبار العباس ص ١٦٥ ب . — نبذة من كتاب التاريخ ، ص ٢٧٦ أ .

(١٠) انظر

Moscati, Ptudi Su Abū Muslim, *R.L.* II, pp. 488—490.—Houtsma, ' Bihāfrid. Wienner Zeitschrift für die Kunde des orgenlandes, 3,1899, pp. 30-37. —

E.I.(2) Bihāfrid. - Barthold, *Turkeston..*, p.194. - sodighi,*les mouvements...*,p.117.

(١١) فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ١٣٦ فما بعد .

(١٢) أخبار العباس ، ص ١٧٧ أ .

(١٣) op. cit ، ص ١٧٨ أ — ١٧٩ أ .

(١٤) خليفة بن خياط، تاريخ ص ٢٧٦ . — أنساب الأشراف ، ص ٧٨٢ . — الطبري III ص ١٢ فما بعد . — أخبار العباس ، ١٧٩ . — أ

(١٥) أخبار العباس ، ص ١٨١ ب .

(١٦) أنساب الأشراف ، ص ٧٨٢ أ . — أخبار العباس ، ص ١٨٤ ب . — الطبري III ، ص ٢٠ عن أبي مخنف والمدائني .

(١٧) الطبري III ، ١٩٥٢ عن المدائني ، ١٩٥٤ عن أبي الخطاب . — ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ص ٢٢١ أ ، ٢٢٢ أ . أنساب الأشراف ، ٧٧٢ ب . — أخبار العباس ، ص ١٩٢ أ — ١٩٢ ب ، ١٩٤ أ ، ١٩٥ أ . نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٨٤ — ٢٨٥

(١٨) أنساب الأشراف ص ٧٧٦ ب . — أخبار العباس ، ص ١٩٧ د ، ١٩٣ أ . — ابن أعثم الكوفي المصدر السابق ص ٢٢٠ أ . — اليعقوبي ، المصدر السابق II ، ص ٣٩٨ . — الطبري III ، ص ٢٧ ، ٣٤ .

(١٩) أنساب الأشراف ، ص ٧٨٦ أ . — الطبري III ، ٣٨ . — خليفة بن خياط ، تاريخ ٢٧٩ . — المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٦ ، ص ٨٥ .

(٢٠) الأزدي تاريخ الموصل ، ص ١٣٦ .

(٢١) الإمامة والسياسة ، ص ٢٢٤

(٢٢) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١٢٤ .

(٢٣) البلاذري : أنساب الأشراف ، ص ٧٨٦ ب . — خليفة بن خياط ، تاريخ ص ٢٧٧ . — الدينوري . الأخبار الطوال ، ص ٣٧١ . — الطبري ، III ، ٦٣ — ٦٤ — ٧١ . — اليعقوبي : المصدر السابق II ، ص ٤٢٣ .

(٢٤) أنساب الأشراف، ص ٧٩١ ب .

الإمامة والسياسة

(٢٦) المبرد : الكامل ، ج١ ١٤٤ . — ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٢٧) البلاذري المصدر السابق ، ص ٨٠٤ ب .

(٢٨) op, cit . ص.٨٠٤ ب .

الفصل السادس

الثورة العباسية والثوار "الدعاة"

كان زياد بن صالح الخزاعي يقول : « انا بايعنا على اقامة العدل واحياء السنن وهذا (اي ابا مسلم) جائر ظالم يسير سير الجبابرة وانه مخالف قد افسد قلوب اهل خراسان » .

(البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٨٠٠ ب)

اعلن عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي ثورته في خراسان قائلا : « ان ابا جعفر (المنصور) دعاني الى عبادته » .

(البلاذري : انساب الاشراف ص ٥٤٠–٥٤١)

الدولة الجديدة دولة عباسية :

لقد رفعت الثورة العباسية شعارات عديدة وظهرت بواجهات مختلفة فكان - كما رأينا - من شعاراتها العامة الدعوة إلى «الرضا من آل البيت» والعمل بموجب «كتاب الله وسنة نبيه» وكذلك «القضاء على أهل الجور» ثم «الثأر» لآل البيت مستندة على الآية الكريمة «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» .

وكان من واجهاتها العامة الادعاء بأنها تعمل من أجل المظلومين في المجتمع مستندة إلى الآية «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقدير» . وهكذا كانت تظهر للمستائين من العرب بوجه وللمتذمرين من الموالي بوجه آخر ولم تقف عند هذا الحد فقد لاحظنا انها استغلت بعض المبادىء المتطرفة التي كان لها صدى في نفوس الايرانيين لكي تكسبهم إلى جانبها .

لقد استغلت الدعوة كل العناصر المستاءة من الحكم الأموي فلقد كانت خطة الدعاة العباسيين الترحيب بأية فكرة وأية كتلة معارضة وإثارة الاضطرابات ضد الأمويين في أي منطقة استطاعوا . وقد لاحظنا في الفصل السابق كيف أنهم شجعوا آراء عبدالله بن معاوية الجعفري المتطرفة وانضم بعضهم إلى

حركته . ثم ساعدوا شيبان الصغير الخارجي وأبقوا عليه ليكون شوكة في جسم الدولة الأموية يثير الاضطرابات ضدها في منطقة سرخس . وقد أغري شيبان الصغير بالمال لكي يؤيد المعارضة ضد نصر وحالف ابن الكرماني نصير المسوّدة في خراسان . ومن جهة أخرى استطاعوا كسب ابن الكرماني بطرق دبلوماسية خداعة حيث ذكروه بموقف اليمانية من الرسول (ص) وبوعود أبيه جديع بالوقوف إلى جانب (آل البيت) إذا هم ثاروا ضد الأمويين ثم باغرائه بالمنصب حيث اعترفوا به والياً على خراسان وصلوا وراءه . ولم يتورع الدعاة من تشجيع بهافريد الفارسي الذي عارض الأمويين مبشراً بحركة إصلاحية جديدة تستند على عقائد فارسية .

على أن الدولة التي تمخضت عنها الثورة كانت بطبيعة الحال دولة عباسية . فالمنظمة السرية الهاشمية كانت موالية لبني العباس وتعمل من أجلهم رغم رفعها شعارات عامة مضللة في فترة الدعوة . وما ان تقلّد العباسيون زمام الأمر وظهر لكتل المعارضة التي اشتركت في الثورة أو استغلت أثناءها بأن النظام الجديد هو عباسي الصبغة حتى تصدعت وحدة حركة المعارضة ضد الأمويين وبدأنا نسمع باضراب جديدة تعارض العباسيين منها : العلوي والأموي والخارجي والفارسي .

ان المبادىء والشعارات التي رفعها العباسيون في فترة الدعوة تختلف بطبيعة الحال عن تلك التي اعلنوها بعد تقلدهم الخلافة فقد ظهروا للناس بعد الانتصار على أنهم ما جاءوا إلا للعمل « بموجب كتاب الله وسنة نبيه » [1] التي أهملها الأمويون . واهتموا بالفقهاء وتقربوا إليهم ولبسوا بردة الرسول (ص) ، وحاربوا الجماعات المتطرفة كالراوندية مثلاً التي اعتقدت بامامتهم وعملت من أجل انتصارهم ، والجماعات غير المتطرفة كالعلويين والخوارج وكذلك الشخصيات القبلية التي عاضدتهم من أجل التخلص من الأمويين .

وقد لاحظنا في الفصل السابق كيف تخلص أبو مسلم من عبدالله بن معاوية

الجعفري ، والطريقة التي هاجم بها شيبان الصغير بغتةً في سرخس والأسلوب الذي اتبعه لاغتيال علي بن الكرماني وأخيه عثمان .

الثورة العباسية تأكل رجالها :

والمعروف في تاريخ أغلب الثورات ان الثورة تقضي على رجالها الذين قاموا بها . أي ان الثوار ينقسمون على أنفسهم . وهذا ما حدث فعلاً في اعقاب الثورة العباسية ففي خراسان حاول أبو مسلم التخلص من الدعاة المتنفذين والشخصيات ذات الطموح والتأثير . وفي العراق حاول الخلفاء العباسيون التخلص من الدعاة وقادة الثورة الذين افنوا أعمارهم في خدمة الدعوة العباسية وانجاحها . ذلك لأن نفوذ الخليفة بدأ يصطدم بنفوذ هؤلاء الرجال البارزين في الدولة مما دعى الخليفة إلى التخوف منهم والشك بهم ثم التخطيط للتخلص منهم إما عن طريق الاغتيال أو بدفعهم إلى الثورة بشكل أو بآخر . ولذلك نلاحظ بأن الكثير من الثورات والاضطرابات في عهدي أبي العباس والمنصور كان رأسها دعاة عباسيون .

انه لمن المدهش حقاً كيف استطاعت الكتل المعارضة ان تؤكد نفسها بعد فترة قصيرة من اعلان الخلافة العباسية عن طريق الثورات التي اشتعلت في أقسام مختلفة من الدولة . ولم تكن هذه الثورات من النوع الذي يتزعمه قادة متمردين أو ولاة طموحين ولكنها ثورات قادها دعاة لهم سجل حافل بالأعمال الجليلة في سبيل الدعوة العباسية مثل :

بسام بن ابراهيم ، زياد بن صالح ، عبد الجبار الازدي ، جهور العجلي ، خالد الذهلي ، ثم ثورات الراوندية المتطرفين في بلخ وترمذ وثورات الشيعة العلويين في بخارى . كل ذلك وغيره يلقي ضوءاً على استياء هؤلاء من السياسة التي اتبعتها الدولة الجديدة ومحاولتهم تبديلها .

انحراف أبي سلمة الخلال : ولعل أول خلاف بين الدعاة من جهة وبينهم

وبين الخليفة العباسي من جهة أخرى يعود إلى كيفية توزيع السلطة وما هي صلاحيات الخليفة والوزير ، وإلى أي حد يقف نفوذهم . وقد كان أبو سلمة سليمان بن حفص الخلال رئيس دعاة الكوفة ووزير آل محمد حيث قضى ٣٠ سنة في خدمة الدعوة العباسية ، وكانت علاقته قوية بابراهيم الامام ولكن مقتل الأخير جعل أبا سلمة يتردد في الاعتراف بأبي العباس خليفة لابراهيم الامام في قيادة الدعوة السرية وبعد وصول الجيش الخراساني الكوفة راسل أبو سلمة ثلاثة شخصيات علوية هي : [٢]

جعفر الصادق الحسيني — عبدالله بن الحسن المحض — وعمر بن علي بن الحسن .

عارضاً عليهم الخلافة . وعلى الرغم من ان عبدالله بن الحسن وعده خيراً إلا ان خطته فشلت بسبب تخوف العلويين وترددهم لعدم توافر المعرفة العميقة والثقة القوية بينهما ولقوة شيعة العباسيين في الكوفة وعلى رأسهم أبي الجهم عطيه الباهلي وموسى بن كعب الذين اكتشفوا موضع أبي العباس واعلنوا بيعته بين الناس دون علم أبي سلمة الخلال الذي أسرع إلى البيعة بعد علمه باعلان الخلافة العباسية .

وواضح من الروايات التاريخية ان أبا سلمة الخلال رئيس الدعوة في الكوفة كان قد سيطر على زمام الأمور سياسياً بعد دخول الخراسانيين إلى الكوفة وبدأ يوزع المناصب السياسية والعسكرية بين أعوانه وأراد الاحتفاظ بمركزه القوي هذا وذلك عن طريق ترشيح خليفة علوياً ضعيفاً يختاره بنفسه فيكون هذا الخليفة الحاكم الاسمي بينما يبقى أبو سلمة المدبر الفعلي للدولة .

وواضح كذلك ان المنافسة الحادة الخفية بين دعاة الثورة البارزين من كتلة أبي مسلم وكتلة أبي سلمة لعبت دورها في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الثورة ولدينا نص في مخطوطة (أخبار العباس ..) تشير إلى ذلك بوضوح :

«وأمر ابراهيم (الامام) أبا مسلم بمكاتبة أبي سلمة وأمر أبا سلمة بالمقام بالكوفة وجعل ابراهيم إلى أبي مسلم ان هو ظهر ولاية خراسان

وسجستان وكرمان وجرجان وقومس والري واصفهان وهمدان وجعل ولاية أبي سلمة ما دون عقبة همدان من أرض العراق فالجزيرة فالشام .. »[٣]

وسواءٌ كانت نسبة هذا النص لابراهيم صحيحه أم ضعيفه فإن الذي يهمنا منه اشارته إلى التنافس الشديد على النفوذ بين قطبين من أقطاب الثورة العباسية .

وقد امتنع الخليفة من القيام بأي اجراء من شأنه ان يسيء أو يستفز سلمة الخلال نظراً لسطوته السياسية الكبيرة ولذلك ابقاه وزيراً له بعض الوقت حتى تأتي الفرصة المواتيه . وكان أبو مسلم شديد الحسد لنفوذ أبي سلمة في العراق ويذكر بأنه كان أول من اقترح على الخليفة التخلص من الخلال . وتبالغ بعض الروايات التاريخية فتعزو قتل الخلال إلى أبي مسلم دون استشارة الخليفة . والواقع فإن الخليفة كان قد عزم على التخلص من أبي سلمة لنفوذه وتعاظمه عليه إلا أنه استشار أبا مسلم بأن أرسل أخاه أبا جعفر إلى خراسان لشرح تصرفات أبي سلمة . يقول البلاذري[٤] « .. كتب أبو العباس إلى أبي مسلم يعلمه الذي كان من تدبيره في صرف الأمر عنه ونكثه ببيعة الامام . فكتب أبو مسلم يشير بقتله فكتب إليه أنت أولى بالحكم فيه فابعث من يقتله فوجه مرار بن انس الضبي فلقيه ليلاً فانزله عن دابته ثم ضرب عنقه ... » ولقد كانت استشارة الخليفة لأبي مسلم حركة دبلوماسية بارعة لمعرفة موقف أبي مسلم من جهة ولابعاد الشكوك والمخاوف عنه .

وأعلن بأن الخوارج اغتالت أبا مسلمة الذي كان آنذاك في عزه وقمة نفوذه حيث لم يدم إلا حوالي ٤ شهور . وهكذا قُتِل الخلال من قبل الأسرة التي عمل جاهداً لها وقد قال عنه الشاعر :

ويحك من كان منذ ثلاثين عاماً   يبتغي حتف نفسه غير آل

وكان تعليق أبي مسلم حين سمع بالخبر « ان حفصاً كان غاشاً لله ورسوله والائمة فالعنوه » . أما عبدالله بن علي العباسي فقال « كلب ا صابه قدر فطاح » .

تعاظم سلطة أبي مسلم في خراسان :

بعد ان تخلص الخليفة من الخلال سيطر على زمام السلطة فاقصى جميع انصار الخلال من ولاة وامراء وعين شخصيات ادارية جديدة وخاصة عباسية في المراكز الحساسة .

على أن أبا مسلم أصبح أقوى شخصية سياسية في خراسان وكان تعين الخليفة له والياً على خراسان بمثابة اعتراف بأمر واقع فعلاً . وكان أبو مسلم قد تخلص من منافسيه الاثنين الذين ذكرناهم سابقاً وهم شيبان بن سلمة وعلي ابن جديع الكرماني . ولعل زيارة أبي جعفر (المنصور) لخراسان سنة ١٣٢هـ سنة ٧٥٠م كانت تهدف . من جملة ما تهدف إلى اختبار قوة أبي مسلم وولاته . وقد حدث في أثناء هذه الزيارة ما لم يكن بالحسبان ألا وهو قتل سليمان الخزاعي من قبل أبي مسلم .

كان سليمان بن كثير الخزاعي شيخ العرب ونقيب النقباء في الدعوة العباسية . وكان وراء كل عمل مثمر قامت به المنظمة السرية الهاشمية في خراسان . ولقد فصلنا سابقاً في الصراع بينه وبين أبي مسلم ولذلك كان لا بد ان تظهر الحزازات مرة ثانية بعد نجاح الثورة حيث ان ولاية خراسان لا تحتمل بقاء الاثنين معاً .

وقد قتل أبو مسلم سليمان بتهمة التآمر دون أخذ موافقة الأمير أبي جعفر مستنداً على أوامر ابراهيم الامام له (أي لأبي مسلم) « من اتهمته فاقتله » . ويصعب تقدير التهمة التي وجهها أبو مسلم لسليمان فهناك رواية فحواها ان سليمان اتصل بأبي جعفر واتفق معه على التخلص من أبي مسلم . يقول البلاذري ان سليمان قال لأبي جعفر(٨) .

« انما كنا نحب تمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعمته فإذا شئتم قلبناها عليه » وفي رواية أخرى ان سليمان اتصل بعبدالله بن الحسن الاعرج العلوي وتآمر معه على قلب الدولة إلى علوية(٩) .

على ان أسباب مقتل سليمان تعود بالدرجة الأولى إلى العداوة الدفينة بينه وبين أبي مسلم وتذمر سليمان من نفوذ أبي مسلم حيث اجتمع يوماً بالكفيه وهم شيعة العباسيين الأوائل وقال لهم « حفرنا نهراً بايدينا فجاء غيرنا فاجرى الماء فيه » . وشهد عليه أبو تراب ومحمد بن علوان المروزي بأنه قال كذلك « اللهم سود وجه أبي مسلم كما سودت هذا العنقود واسقني دمه »(١٠) . وربما انتهز سليمان فرصة زيارة أبي جعفر فتشاور معه في أمر التخلص من أبي مسلم .

وقد قتل مع سليمان الخزاعي ابنه محمد حيث اتهمه أبو مسلم بتهمة « الخداشيّة » أي التطرف في المبادىء الدينية واستحلال الحرمات . ولعل هذه أول مرة توجه فيها تهمة من هذا النوع بعد انتصار الثورة . فالثورة التي تعاونت مع ذوي المبادىء المتطرفة من خداشية وراوندية تبرأت منهم بعد نجاحها واصبحت تهمة الخداشية والراوندية تهمة مارقه يستحق صاحبها القتل .

ان قتل سليمان ومحمد من قبل أبي مسلم دون أخذ موافقة الخليفة ودون استشارة أبي جعفر يدل على اعتداد أبي مسلم بشخصه وقوة سلطته ولذلك فقد قال أبو جعفر للخليفة بعد رجوعه إلى الهاشميه « ان أبا مسلم يفعل ما يريد » وحين كتب أبو مسلم بخبر قتل سليمان لم يجبه الخليفة على ذلك مما يدل على امتعاضه الشديد .

وقد شهدت خراسان في هذه الفترة المبكرة من العهد العباسي سلسلة من الانتفاضات منها ما كان موجهاً ضد السياسة الجديدة التي انتهجتها الدولة ومنها ما كان موجهاً ضد شخص أبي مسلم وسطوته ومن هذه الثورات التي تعتبر انشقاقاً على الثورة العباسية باعتبار ان القائمين بها اشتركوا في الثورة ضد الأمويين.

ثورة شريك بن شيخ المهدي :

وكان شريك من دعاة العباسيين على ما يظهر إلا أنه كان من أوائل من

عارض سياستهم الجديدة حيث قال بأنها قائمة على سفك الدماء والعمل بغير الحق ولذلك نقل ولاءه للعلويين وقد بدأ حركته في مدينة بخارى حيث انضمت إليه كل العناصر المستاءة التي خيبت آمالها الدعوة العباسية لأنها لم تحقق وعودها كما انضم إليه انصار العلويين في خراسان وكذلك ولاة العباسيين على بخارى وخوارزم وبرزم . وكانت حركته شعبية وجابه أبو مسلم صعوبات كبيرة في القضاء عليها ولكن انحياز قتيبة بن تفشاوه نبيل بخارى إلى زياد بن صالح الخزاعي قائد الجيش العباسي أدى إلى فشل ثورة شريك وأسر عدد كبير من المتمردين . (١٣)

الخلاف بين زياد بن صالح الخزاعي وأبي مسلم :

بعد ان قضى زياد على ثورة شريك عينه أبو مسلم والياً على الصغد وبخارى دون ان ينتظر أوامر الخليفة أبي العباس . على ان الخليفة أرسل عهد الولاية لزياد مع سبيع بن النعمان الازدي الذي عهد إليه بقتل أبي مسلم إذا سنحت له الفرصة المناسبة . ولكن الظاهر ان اتصالاً كان قد حدث بين سبيع الازدي وزياد الخزاعي حيث اغرى سبيع زياداً بالثورة ضد أبي مسلم ووعده بولاية خراسان حسب أوامر الخليفة . وقد أثبت ذلك عدد من القواد الذين كانوا مع زياد ثم انحازوا إلى أبي مسلم منهم أبو شاكر وأبو سعد الشوري حيث « سألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومن أفسده قالوا سباع بن النعمان فكتب إلى عامله على أمل ان يضرب سباعاً مائة سوط ثم يضرب عنقه ففعل » .

وقد ثار زياد الخزاعي في بلخ قائلاً « لقد بايعناهم على العدل واحياء السنن وما أبو مسلم إلا ظالم جائر يسير سير الجبابرة وانه مخالف قد أفسد قلوب أهل خراسان » .

وادعى ولاية خراسان بتحريض من الخليفة أبي العباس على ما يظهر . على ان ثورته خابت بعد ان انحاز جماعة من انصاره إلى أبي مسلم وهرب

زياد إلى دهقان بخارى الذي قتله وسلم رأسه لأبي مسلم (١٤)

ورغم ان ثورة زياد الخزاعي كانت بتدبير من الخليفة إلا أن الأخير ما ان سمع بفشل الحركة حتى بعث مهنئاً أبا مسلم لقضائه على مثيري الفتن والاضطرابات . وبمقتل زياد يكون أبو مسلم قد تخلص من داعية آخر من الدعاة العباسيين يعتبر وجوده خطراً على نفوذه .

تمرد عيسى بن ماهان :

ولقد صعب على عيسى بن ماهان مولى خزاعة وأحد أصدقاء زياد الخزاعي المخلصين ان يقتل أبو مسلم زياداً واختلف معه في السياسة حيث أعلن للناس :

« ان أمير المؤمنين قد اعظم قتل زياد وذم أبا مسلم وانكر فعله وقال انه قتل رجلاً ذا قِدَم وبلاء حسن في دولتنا وتبرى منه وقد بعث إليّ بعهدي على خراسان » (١٥) .

على ان خالد بن ابراهيم الذهلي استطاع ان يقضي على ثورة عيسى في مهدها حيث اغراه بحيلة حتى استقدمه إلى معسكره فأسره ثم قتله . ولكن الخليفة استعظم قتل عيسى وأرسل رسالة منددا بهذا الاجراء طالباً من أبي مسلم قتل خالد الذهلي ولكن أبا مسلم أجاب الخليفة يذكر « عذر أبي داود خالد بن ابراهيم الذهلي ويذكر ان ابن ماهان لو تُرِك لكان منه مثل الذي كان من زياد بن صالح من افساد الناس وحملهم على المعصية والخلاف » .

عصيان منصور بن جمهور :

وقد أعلن منصور العصيان في السند سنة ١٣٢ ـ سنة ٧٥٠ حيث عينه أبو العباس والياً عليها . وكان منصور والياً للأمويين على العراق إلا أنه هرب وانحاز إلى العباسيين فكافأه الخليفة بولاية السند حيث كان له بعض النفوذ

في ذلك الاقليم .

ان عصيان منصور يعتبر مثلاً حياً للصراع بين سلطة الخليفة وسلطة أبي مسلم الذي كان يعتبر نفسه مسؤولاً عن خراسان وربما الاقاليم الشرقية الأخرى يعين فيها من يختار من أعوانه . ولذلك فقد أرسل أبو مسلم المفلّس العبدي والياً على السند رغم وجود منصور بن جهور مما دعى الأخير إلى قتل المفلس والعصيان على أبي مسلم . على ان عيينة بن كعب استطاع القضاء على منصور الذي هرب ومات عطشاً في الصحراء . [٦١]

ثورات الراوندية :

لقد ثارت الراوندية في جيوب متفرقة من خراسان معلنة استياءها من اعلان الدولة الجديدة بأنها سائرة على كتاب الله وسنة الرسول(ص) وتبرئها من كل المبادىء المتطرفة التي يدين بها الراوندية . فلقد عالجنا سابقاً موضوع الواجهة المتطرفة للدعوة العباسية التي تمثلت بحركة خداش الذي نادى باراء بعيدة عن تعاليم الإسلام وبعد مقتله استنكر محمد بن علي العباسي اراءه الغالية ولكن الظاهر ان الدعاة العباسيون لم يهملوا هذه الواجهة المتطرفة التي كان يستجيب لها قطاعات معينة في المجتمع ولذلك بقيت متمثله في حركة الراوندية .

تعتبر فرقة الراوندية جزءاً من الهاشمية ولقد تمثلت في الحركة الهاشمية العديد من المبادىء التي تعكس الطبيعة المعقدة للثورة العباسية . وقد اختلف المؤرخون الأوائل وكتاب الفرق حول انبثاق الراوندية وارائها ففي رواية « غلاة الراوندية من اعتقدوا بامامة محمد العباس والوصية من أبي هاشم . وبعد قتل عبدالله بن معاوية رجع أصحابه إلى أصحاب عبدالله بن علي فقويت الراوندية بهم » [١٧] . وتقسم رواية أخرى الشيعة العباسية إلى فرقتين غاليتين : الأولى ، الهاشمية الذين اعتقدوا بانتقال الامامة من أبي هاشم إلى العباسيين . ومن آرائهم ان الامام نبي في منزلته وهو عالم بكل العلوم والاخبار ولكن لم

يعرفه تعبير كافر . والثانية ، الراوندية اتباع عبدالله الراوندي الذين يقولون بان الامام هو الله وان أبا مسلم نبي مرسل .[١٨]

وفي رواية أخرى[١٩] الشيعة العباسية هم الراوندية الذين تفرعوا بعدئذ إلى الأبي مسلمية الذين ادعوا امامة أبي مسلم ونادوا بأن معرفته هي الايمان ومن مبادئهم الاباحة . ثم الرزامية وهم العباسية الخلص الذين غالوا في العباس وولده (المريرية) واعلنوا ولاية العباسيين علناً وولاية أبي مسلم سراً . ثم العباسية الموالين للبيت العباسي فقط بعد ان انتقلت الامامة إليهم من أبي هاشم ولكن المهدي أرجعهم عن هذا الرأي وادعى بأن العباس وريث الرسول لأنه عمه .[٢٠]

وقد ذكرت روايات آخرى بين مؤيد لهذا التقسيم ومخالف له على اننا نستطيع القول بأن الراوندية من شيعة العباسيين ويرجع اسمهم إلى قرية راوند قرب نيسابور . وكان عبدالله الراوندي زعيم هذه الفرقة واحد الدعاة العباسيين في فترة الدعوة في خراسان حيث يظهر اسمه في قائمة الدعاة التي تذكرها (مخطوطة أخبار العباس وولده) للمؤلف المجهول . وقد اعتقد الراوندية بأن العباسيين أحق من غيرهم بالخلافة ودانوا بآراء متطرفة حول طبيعة الامام حتى انهم قالوا بأن الامام إلاهاً أو أنه نبي وان أرواح الأئمة تتناسخ من واحد إلى آخر . كما وتتهمهم بعض الروايات باستحلال الحرمات .

على ان الشيعة الراوندية غيّروا من مواقفهم وارائهم بتطور الدعوة وقيام الدولة العباسية حيث تفرعوا إلى فروع كثيرة أغلبها انشق على الحكم العباسي ولم يبق إلا (العباسية) موالية لهم عاضدة لحكمهم . ففي فترة الدعوة كانت الراوندية منقسمة إلى فرعين رئيسين :[٢١]

(١) الراوندية الخلص : وقد يجوز لنا تسميتهم (بالخداشية) أو (الشيعة الهاشمية) وهم أوائل اتباع العباسيين في خراسان الذين اعتقدوا بامامة ابن الحنفية ثم ابنه أبي هاشم ثم انتقلت الامامة بالوصية إلى محمد بن علي العباسي .

(٢) العباسية : وهم الذين اعتقدوا بأن الرسول(ص) قد نص على العباس إماماً ووريثاً له من بعده وان الامامة انتقلت من بعده إلى ابنائه . ولعل هذه الفرقة احدث من الأولى وكان من دعاتها أبو هريرة الراوندي وأبو العباس الراوندي وأبو القاسم الراوندي . على أن هذه الفرقة نفسها تطرفت في ارائها حول خصائص أبي مسلم الخراساني .

ولقد تفرعت الفرقة الأولى (الراوندية الخلص) بعد اعلان الدولة العباسسة إلى ثلاثة فرق صغيرة هي :

أ ـ اعتقدت الفرقة الأولى منها بامامة أبي العباس ثم أبي جعفر فالمهدي . على ان المهدي أعلن بأن الامامة ليست من حق محمد بن الحنفية وانما كان العباس عم الرسول ووريثه من بعده صاحب الحق الشرعي حيث انتقلت الامامة إليه بعد وفاة الرسول مباشرة . وقد قبلت هذه الفرقة آراء المهدي ودانت بها .

ب ـ اتباع عبدالله الراوندي الذين اعتقدوا بامامة أبي جعفر المنصور واحاطته بالعلوم كلها Omnis cient وانه قادر على كل شيء Omni fotent أي بمعنى آخر انه آلة وان أبا مسلم رسوله ونبيه . كما وانهم دانوا بالحلول والتناسخ .

لقد ثار هؤلاء في خراسان بعد اعلان الدولة العباسية تمسكها بالإسلام كما حاولوا اغتيال أبي مسلم الذي قضى على جيوبهم في خراسان . وهؤلاء هم الذين ثاروا على أبي جعفر في الهاشمية سنة ١٤١ هـ سنة ٧٥٨ـ٧٥٩م وقضى على حركتهم الخليفة رغم انه كان مرناً معهم .

حـ ـ اتباع أبي مسلم الذين نقلوا الامامة مباشرة من أبي العباس إلى أبي مسلم. فالفرقة الأبو مسلمية (أبو المسلمية) ادعت بأن أبا مسلم لم يمت وانه تجسيد للروح المقدسة . أما اتباع رزام (الرزامية) فقد اعترفوا بمقتل أبي مسلم على يد الخليفة ولكنهم قدسوه ونسبوا إليه القيام بالأعمال الخارقة والمعجزات .

على ان أغلب الفرق التي دانت بالولاء لأبي مسلم وقدست ذكراه لم تتبلور إلا بعد وفاته ولم يكن لأبي مسلم يد كبيرة في تكوين هذه الفرق بل ان اتباع هذه الفرق اتخذوا من مقتل أبي مسلم مظلوماً ومن الثأر له وسيلة للتنفيس عن وضعهم وللتعبير عن تذمرهم من العباسيين . فكان أبو مسلم رمزاً لمعارضتهم ومنقذاً منتظراً لتحقيق آمالهم التي فشل العباسيون في تحقيقها .

لقد ثارت الراوندية في ترمذ والطالقان بقيادة أبي اسحق حيث سحقت ثورتهم من قبل أبي مسلم . وفي رواية أخبار العباس .. ان الخداشية (أي الجناح المتطرف للدعوة) ثاروا ضد أبي مسلم في خراسان بقيادة أبي خالد وبعد القضاء على الثورة فر أبو خالد إلى بلاد ما وراء النهر[٢٢] . على ان العباسيين لم يكونوا أشداء على الراوندية (أنصارهم بالأمس) حيث سمح المنصور لبعضهم بالمجيء إلى الهاشمية في العراق ، وقد نبهه أحد صحابته إلى خطورة ارائهم فعلق على ذلك قائلاً « دعهم يدخلون النار في طاعتنا على ان يدخلوا الجنة في معصيتنا »[٢٣]. ولما تعدوا الحدود واقلقوا الأمن سجن المنصور ٢٠٠ منهم فثاروا وكسروا أبواب السجن الذي سُجن فيه أصحابهم وعندئذ هاجمهم المنصور وقتل ٦٠٠ منهم[٢٤]. ومع ذلك فقد ظل المنصور مرناً ومتسامحاً في موقفه تجاههم حيث قبل ارتداد بعضهم وعفى عن البعض الآخر . ولا غرو فالراوندية شيعة بني العباس « وأبناء الدولة »[٢٥] ولعلنا نستطيع تفسير تسامح المنصور معهم رغم ارائهم المتطرفة وذلك لأنه كان يهدف إلى ابقائهم سنداً يواجه به فرق المعارضة للحكم العباسي التي كان بعضها مثل الشيعة العلوية يدين باراء متطرفة وغالية أيضاً منها ما يتعلق بالامام وصفاته .

علاقة الخليفة العباسي بأبي مسلم الخراساني :

لقد توطدت سلطة أبي مسلم في خراسان بعد قضائه على منافسيه من رجال العرب الذين كانوا يطمحون في نيل ولاية خراسان كما وانه خرج

منتصراً بعد سحقه الكثير من الانتفاضات التي قادها اما دعاة عباسيون انقلبوا على الثورة أو انصار العلويين أو راوندية .

وهكذا أصبح أبو مسلم زعيم خراسان غير المنافس وازدادت سلطته اتساعاً فامتدت إلى اقاليم ايران الأخرى حيث اعتقد ان تعيين والي فارس من اختصاصه وليس من اختصاص الخليفة فأرسل محمد بن الاشعث والياً على فارس موصياً إياه بقتل والي الخليفة عيسى بن علي العباسي (عم الخليفة) على ان محمداً بن الاشعث تحرج من قتل عم الخليفة ولذلك عزله واخذ منه يميناً « ان لا يعلو منبراً ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد » ولم يستطع الخليفة أبو العباس عمل شيء تجاه نفوذ أبي مسلم القوي في الجناح الشرقي من الدولة . وبذلك بدأت بوادر التصادم في السلطة تظهر وتتبلور تدريجياً .

وكان ارسال أبا جعفر إلى خراسان من قبل الخليفة يهدف إلى جس النبض والتعرف عن قرب على نفوذ أبي مسلم ونواياه رغم ان سبب الرحلة الظاهري كان للتشاور بشأن انحراف الخلال واخذ البيعة من أبي مسلم للخليفة ولولي عهده أبي جعفر . ولم يخف أبو جعفر مخاوفه وشكوكه أثناء الرحلة . فحين وصوله (الري) طلب منه واليها بأمر من أبي مسلم ألا يبقى في المدينة بل يسرع في الوصول إلى مرو . وطلب منه والي (نيشابور) نفس الطلب مبرراً ذلك بكثرة الخوارج في الاقليم . وقرب مرو قابله أبو مسلم « فلما دنا مني نزل وقبل يدي فقلت اركب نركب فقدمت مرو ونزلت داراً ومكثت ثلاثة أيام دون ان يسألني شيئاً... »[٢٦] والظاهر ان هذه الزيارة زادت من شكوك أبي جعفر بنوايا أبي مسلم الذي قتل سليمان الخزاعي نقيب النقباء دون أخذ رأي أبي جعفر . كما وانه لم يبد الاحترام اللازم لأبي جعفر أخي الخليفة حيث كان يستأذن مثلاً قبل دخوله في مجلس أبي مسلم كما يروي الطبري[٢٧]. ولذلك كان رأي أبي جعفر في أبي مسلم يتمثل في قوله للخليفة « لست خليفة ولا امرك بشيء ان تركت أبا مسلم ولم تقتله . قال وكيف ؟ قال والله ما يصنع إلا ما أراد » . [٢٨]

وقد حاول أبو العباس تقليص نفوذ أبي مسلم أو اغتياله عدة مرات منها حين أمره باسقاط كل من كان من غير أهل خراسان من جنده ليقلل من نفوذه إلا أن أبا مسلم أدرك الخديعة ، ومنها حين حرّض زياداً بن صالح الخزاعي وسبيع الأزدي على قتله إذا سنحت فرصة مناسبة .وكان أبو جعفر يلح على الخليفة بضرورة التخلص منه بأية وسيلة واقترح عليه اغتياله حين زار البلاط العباسي سنة ١٣٦هـ سنة ٧٥٣–٧٥٤ في طريقه إلى الحج ولكن الخليفة كان يبتغي التمهل مذكراً أبا جعفر بخدماته في سبيل الدعوة فكان أبو جعفر يرد قائلاً « انما كان بدولتنا والله لو بقيتَ سنوراً لقام مقامه وبلغ ما بلغ في هذه الدولة »[٢٩]. ولكن الخليفة عدل في اللحظة الأخيرة عن تنفيذ خطة قتل أبي مسلم في الهاشميه .

ان رحلة أبي مسلم إلى البلاط في طريقه إلى مكة[٣٠]ذات دلالة كبيرة لأنها تميط اللثام عن ظواهر جديدة في العلاقة بينه وبين السلطة العباسيةالمركزية حيث تظهر ان جذورها ليست شخصية وسطحية كما يحلو لبعض الاخباريين ان يصوروها بل هي أعمق من ذلك وتعود إلى أسباب سياسية . وليس هناك من تفسير لهذه الرحلة في تلك الفترة الحرجة إلا ان أبا مسلم أراد ان يظهر قوة نفوذه لرجال البلاط والخليفة وإلا فليس من المعقول ان أبا مسلم فشل في ادراك حراجة الموقف السياسي وتوتر علاقته بالسلطة المركزية .

ولم يأمن الخليفة من ناحيته جانب أبي مسلم فقد أمره ألا يجلب معه أكثر من ٥٠٠ من الجند فأجابه أبو مسلم « اني قد وترت الناس ولست آمن على نفسي » فرد الخليفة «اقبل في ألف فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لا يحتمل العسكر » ومع ذلك فقد جاء أبو مسلم في ٨٠٠٠فرّقهم في طريق نيسابور والري.ودخل العراق في ١٠٠٠ومعه الأموال والخزائن الكثيرة.هذا من جهة ومن جهة ثانية لم يوافق الخليفة بتحريض من أخيه ان يرأس أبا مسلم الحج في ذلك العام بل عين أخاه أبا جعفر أميراً على الحج معتذراً بأنه عين أخاه أميراً للحج قبل وصول طلب أبي مسلم . وقد اغضب هذا الاجراء

أبا مسلم كثيراً وعلق على ذلك بقوله ألم يستطع أبو جعفر ان ينتظر لسنة أخرى حتى يحج ؟

وفي طريق الذهاب كان موكب أبي مسلم يتقدم موكب أبي جعفر ويفوقه من حيث مظاهر الأبهة والترف والهبات للاعراب على الطريق حتى فاقت شهرة أبي مسلم على شهرة أخي الخليفة مما أثار الغضب في نفسه .

أما في طريق العودة بعد الانتهاء من مراسيم الحج فقد وصل التوتر في العلاقة بين الرجلين أشده حتى أن أبا جعفر هم بارسال عطيه بن عبد الرحمن لاغتيال أبي مسلم ولكنه عدل عن هذا الرأي بعد أن أقنعه صحابه ومنهم اسحق بن مسلم العقيلي بالتروي . على ان رواياتنا التاريخية (٣١) تختلف في وصف الحالة فتقول بعضها ان أبا مسلم كان يتقدم أبا جعفر في الطريق وانه سمع بوفاة الخليفة أبي العباس قبل أبي جعفر ، على حين تؤكد أخرى بأن أبا مسلم كان متأخراً على أبي جعفر في الطريق وانه لما سمع بخبر الوفاة أسرع بالمسير ولحق بالخليفة الجديد وانه لم يكن في تصرفه ما يشين . ولكن اختلاف الروايت وتناقضها يعود في الواقع إلى أن مقتل أبي مسلم قد حدث بعد هذه الرحلة بقليل وقد حاول الاخباريون أن يجدوا أسباباً لاغتيال أبي مسلم من خلال تصرفاته أثناء الرحلة مدعين انه تصرف تصرفات غير لائقة تجاه الخليفة الجديد أبي جعفر . ومهما يكن من أمر فالمهم انأبا مسلم أخر البيعة للخليفة الجديد لبضعة أيام وكانهذا العمل منجانبه يشير إلى تردده في الاعتراف بخلافة المنصور ومما يؤكد ذلك ما يذكره البلاذري والكوفي والطبري منأن أبا مسلم حرض عيسى بن موسى — ولي العهد حسب وصية أبي العباس — على الثورة ضد أبي جعفر وإعلان نفسه خليفة ووعد بمساعدته ، ولكن عيسى رفض ذلك . ثم ان ما صدر منه من أقوال عفوية أثارت الشكوك ضده ، ومن ذلك ما قاله في الحجاز لما رأى بعض اليمانية « أي جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان خفيف الدمعة » (٣٢) . على ان الخليفة الجديد كان ازاء أخطار جسيمة من قبل معارضين أشداء هم عمه عبد الله بن علي الذي أعلن ثورته في الشام وكذلك العلويون في الحجاز الذين امتنعوا عن البيعة واختفوا عن الأنظار ،

ولذلك لم يكن الوقت وقت نزاع مع ابي مسلم .

ثورة عبد الله بن علي العباسي :

ثار عبدالله العباسي والي الشام ضد سلطة الخليفة مدعياً أنه أحق بالخلافة من أبي جعفر مدعياً ان أبا العباس كان قد وعده بالخلافة من بعده . وقد أرسل الخليفة ابا مسلم مع عدد من قواد أهل خراسان لحرب عبد الله. وكان ارسال أبا مسلم إلى الشام كسباً للخليفة ذلك لأنه استطاع أن يثنيه عن السفر إلى خراسان مقر حكمه ومصدر قوته ولو لفترة من الزمن . ثم ان المنصور « ضرب عصفورين بحجر واحد » فايهما قُتل ابو مسلم أم عبد الله فهو كسب للمنصور (٣٣)

ولم يكن في نية ابي مسلم أن يزج بنفسه في الخصام بين الخليفة و وكان يعتزم السفر إلى خراسان وحاول اقناع المنصور قائلاً « إن شئت خراسان فأمددتك بالمال . » على أن الخليفة أمره بالمسير إلى الشام وقمع الثورة فيها . ومهما يكن فقد رحب ابو مسلم بالسفر إلى الشام باعتباره الطريقة الوحيدة ليبتعد بها عن الخليفة ونفوذه .

وكان نتيجة المعركة انتصار الجيش العباسي على الثائر عبد الله (٣٤) الذي كان عليه أن يدرك عدم جدوى الاعتماد على أهل الشام في نزاعه مع الخليفة ذلك لأن أهل الشام لا يمكن أن يخلصوا لشخص عباسي مثله . والذي يهمنا من هذه الثورة هنا هو ما تظهره من تدهور العلاقة بين الخليفة وأبي مسلم . فتذكر الروايات ان ابا مسلم كان يستهزىء برسائل الخليفة التي ترد عليه . وكان المنصور يقول :

« انا لنخاف من أبي مسلم أكثر مما نخاف من أبي سلمة الخلال » (٣٥) .

ويقول الكوفي ان الحسن بن قحطبة كتب إلى الخليفة عن تصرفات ابي مسلم يقول : (٣٦)

يا أمير المؤمنين ان الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد الله

ابن علي قد انتقل إلى رأس أبي مسلم » .

على ان المشادة العلنية بدأت حين أرسل الخليفة وفداً كان من بين رجاله أبوالخصيب مولى المنصور ليحصي الغنائم مما أغضب ابا مسلم والقواد الذين كانوا معه لأنهم اعتبروا ما حصلوا عليه من الاموال غنائماً يجب أن تقسم عليهم وعلى الجند . وأراد أبو مسلم قتل الرسول وتعرض على الخليفة ناعتاً إياه « ابن سلاّمة » . ولكن الخليفة تصرف بحلم ورباطة جأش حيث أرسل يقطين برسالة يذكر له فيه انه ولاه الشام ومصر ويقول كذلك بأنه قد تجاوز له عن جميع الأموال وانه سيضاعفها له .

والواقع فان أبا مسلم قد قرر العودة على أية حال إلى خراسان وسار في طريقه اليها حيث وصلته رسالة جديدة من الخليفة يأمره فيها بأن يقابله في أمر هام . فأجاب ابو مسلم قائلاً :

« انه لم يبق لأمير المؤمنين اكرمه الله عدوّاً إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان ان اخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد حيث تقارنها السلامة فان ارضاك ذلك فانا كأحسن عبيدك فان أبيت إلا أن تعطي نفسك أرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي » [٣٧].

ويظهر ان الرسالة إذا ثبتت صحتها ، تشكل تطوراً جديداً في العلاقة بين الخليفة وأبي مسلم الذي يظهر تبرمه بسلطة الخليفة وسياسته تجاه اولئك الذين خدموا الدعوة العباسية حتى أوصلوها إلى الانتصار .

على ان النقد الخارجي للرسالة يشير إلى انها موجودة في مصدر واحد قديم وموثوق وهو الطبري . أما النقد الداخلي فيثير التساؤل عن كيف يكتب أبو مسلم مثل هذه الرسالة ثم يسمح لنفسه بالذهاب إلى البلاط ؟ على ان أبا مسلم ربما سمح لنفسه وقد صمم على عودة لا رجعة بعدها إلى خراسان أن يصارح الخليفة بما يجيش في خاطره .

أما اجابة المنصور فكانت في غاية الدبلوماسية حيث قال [٣٨] :

« قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة اولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فانما راحتهم في انتشار نظام الجماعة فلمَ سويت نفسك بهم فأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من اعباء هذا الأمر على ما أنت به وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سماع ولا طاعة . وحمّل اليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها ان أصغيت اليها واسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزعاته وبينك فانه إن لم يجد باباً يفسر به نيتك أوكد عنده وأقرب من ظنه من الباب الذي فتحته عليك » .

واقنع الخليفة الهاشميين من أمثال عيسى بن علي وعيسى بن موسى بالكتابة إلى أبي مسلم يدعونه إلى العودة وعدم التمرد ، وكان الرسول اليه هو ابو حميد المروزي الذي أمر باظهار الود لأبي مسلم والا يستعمل الوعيد والتهديد إلا بعد اليأس من اقناعه . كما وارسل المنصور جرير بن عبد الله البجلي وهو من الدهاة في زمانه .

ويبدو ان هذه الرسالة والوفد جعل أبا مسلم يفكر ثانية . وقد شاور أصحابه ابا نصر ونيزك ، فأشارا عليه بعدم الرجوع إلى الخليفة . على ان ابا مسلم قرر ارسال ابي اسحق لتدبر الأمر في البلاط . وقد استطاع الخليفة اقناع أبي اسحق بضرورة الاشارة على ابي مسلم بمقابلة المنصور .

لكن ابا مسلم لم يكن مقتنعاً بعدُ . وهنا تشير الروايات التاريخية إلى رسالة غريبة في نوعها تنسبها إلى ابي مسلم الذي أرسلها إلى المنصور ، حيث يقول :

« أما بعد فاني اتخذتُ رجلاً إماماً (يشير إلى إبراهيم الإمام) ودليلاً على ما افترض الله على خلقه وكان في محلة العلم نازلاً

وفي قرابته من رسول الله (ص) قريباً . فاستجهلني بالقرآن فحرّفه عن مواضعه طمعاً في قليل قد تعافاه الله إلى خلقه فكان كالذي ولّى بغرور وأمرني أن أجرد السيف وأرفع الرحمة ولا أقبل المعذرة ولا أقيل العثرة ففعلت توطيداً لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم ثم استنقذني الله بالتوبة فان يعف عني فقدماً عرف به ونُسب اليه وان يعاقبني فبما قدمت يداي وما الله بظلاّم للعبيد . » (٣٩)

لقد ذكر هذه الرسالة الطبري والبلاذري وكتاب الإمامة والسياسة والكوفي وابن الأثير والخطيب البغدادي والمقريزي وابن كثير والعيني . ويظهر ان رواية الطبري موثوقة لأنها تستند على المدائني . كما وان رواية الخطيب البغدادي تستند على علي بن المعافي . أما المؤرخ العيني فيرويها عن الصولي .

أما المؤرخون المحدثون فلقد اختلفوا في مواقفهم منها : حيث يقبلها ويل ويعتبرها مهمة جداً ويشك دوزي وفان فلوتن وبارتولد في صحتها ، على حين يعتبرها موسكاتي صحيحة وغير موضوعة . (٤٠)

ولعله من الجدير بالذكر أن الكوفي بدافع من ميوله نحو العلويين اضافة اليها فقرة ليست موجودة في الطبري أو البلاذري أو غيره ممن ذكر الرسالة من المؤرخين . والنص المضاف هو :

« ... وأوطأت غيركم ممن كان فوقكم من آل الرسول بالذل والهوان والاثم والعدوان . ثم ان الله تعالى قد أدركني منه بالندم واستنقذني بالتوبة ... » (٤١)

ثم يضيف الكوفي جواباً مفتعلاً للخليفة المنصور لا ذكر له في مصادرنا المعروفة وهذا مما يزيد في الحذر من روايات الكوفي عن الدعوة العباسية وتاريخ صدر الدولة العباسية :

« فكتب له المنصور ، أما بعد ايها المجرم العاصي فان اخي رحمه الله تعالى كان إمام الهدى يدعو إلى الله على بصيرة

ويقين من آمره فاوضح السبيل وقد تفرقت بالناس السبل وأقامك فيها على منهاج الحق الذي عليه اثار النبوة وما في الكتاب .

فلو باخي الرضا اقتديت وبرايه اهتديت وإلى أمره انتهيت لما كنت عن الحق صايراً . لكنك لم تكن لنا في طاعة قط يوماً واحداً ... لا يسنح لك أمران إلا كنت لارشدهما تاركـاً ولأغواهما مواتياً تقتل على الغضب ، وتبطش بطش الجبابرة ... » (٤٢)

ومهما يكن من أمر فإذا كانت رسالة أبي مسلم للخليفة صحيحة فهي تظهر دون شك الحالة النفسية السيئة التي كان عليها ابو مسلم حيث انه شعر بأن كرامته قد جرحت ولم يضعه الخليفة في الموضع الذي يليق به باعتباره أحد أعمدة الدعوة العباسية بل ربما شعر بأنه رجلها الأول . فأعطى ابو مسلم لمشاعره العنان وكانت النتيجة هذه الرسالة . إن هذا التفسير محتمل الوقوع خاصة وان ابا مسلم كان لا يزال عازماً على السير إلى خراسان لأن شكوكه لا تزال قوية في نوايا الخليفة الذي عين في هذا الوقت والياً جديداً على خراسان هو خالد بن إبراهيم الذهلي الذي كتب إلى أبي مسلم يستحثه بالعودة ومقـابلة الخليفة قائلاً :

« إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيته (ص) فلا تخالفن إمامك ولا ترجعن إلا باذنه » .

ويقول الطبري ان هذا الكتاب زاد من رعب أبي مسلم حيث انقطع أمامه الطريق إلى خراسان بعد أن أفلح الخليفة ان يفرّق بين الصديقين أبي مسلم وخالد الذهلي . كما وان الخلاف شب بين قواد جيشه وتراجع عدد منهم عن فكرة السير إلى خراسان واعتذر بعضهم بحجة الذهاب إلى الحج فكان جواب ابي مسلم :

« ليس هذا وقت أوان الحج فمن أراد أو أحب منكم الانصراف

فلينصرف مصاحباً ، قال فتفرق جماعة من أصحابه فصاروا إلى المنصور . » [٤٣]

مقتل أبي مسلم :

وهكذا فقد استطاع الخليفة بوفوده والنبرة الهادئة التي اتسمت بها رسائله أن يقنع ابا مسلم بأن طريق السلامة هو طريق اللقاء بالخليفة ، وان بالامكان استعادة ثقة الخليفة عن طريق اظهار الولاء ثانية له .

ولقد كان اللقاء في معسكر المنصور بالمدائن حيث كان الاجتماع الأول ودياً ، أما في الاجتماع الثاني فتذكر الروايات التاريخية ان الاتهامات انهالت على أبي مسلم وانتهت بمقتله من قبل حرس الخليفة . على انه يجدر بنا أن نلاحظ بأن المصادر التاريخية تتضمن روايات موضوعة أو مبالغ فيها ولذلك فمن المحتمل أن يكون بعض هذه الاتهامات موضوعة وانها لم تثار أصلاً في المقابلة . ولكننا نتبين من جهة أخرى ان أكثر هذه الاتهامات كانت ذات جذور تاريخية ومعنى ذلك ان الاخباريين في محاولتهم توضيح العداوة بين الخليفة والوالي رجعوا إلى الحوادث والمناسبات العديدة التي كانت سبباً في هذه العداوة منذ تأسيس الدولة العباسية حتى عام ١٣٧ هـ / ٧٥٤–٧٥٥ ، فجمعوها وتخيلو انها كانت موضوعاً للمناقشة الأخيرة بينهما ، في حين ان ظروف المقابلة وتصميم الخليفة على قتل ابي مسلم لم تكن في الواقع تستلزم هذا الاستجواب الطويل .

على أنه من المفيد أن نطلع على بعض النصوص التي أوردها المؤرخون لهذا الاستجواب ، ولعل من أطرفها واذكاها هو النص الذي ورد في مخطوطة العيني : [٤٤]

« قال البلاذري .. وشرع يعاتبه قال اخبرني عن كتابك إلى أمير المؤمنين

(ابي العباس) حين تنهاه عن الموات من الأرض . أردت أن تعلمنـــا الدين .

قال : ظننتُ انه لا يحل لي فلما امرني بأخذه أخذتُ بقوله .

قال الخليفة : أخبرني عن كتابك إلى نائبك بالري تقول فيه إذا قدم عليك عبدالله بن محمد فاشخصه إليّ . أما كان لي ما أخاطب به إلا عبدالله بن محمد ؟

قال : إني وجدت الله يقول محمد في حق نبيه وقال في حق عدوه «تبت يدا أبي لهب» فسمى نبيه باسمه وكنّى عدوه .

قال الخليفة : فأخبرني بتهاونك بنا حين قدمنا عليك واستخفافك

قال : ما قصدت إلا إقامة الهيبة لأذل أعدائكم

قال الخليفة : فخطبتك لأمينة بنت علي بن عبدالله

قال : كذبوا عليّ وأنا لست بكفوٌ لها

قال الخليفة : فأخبرني عن تقدمك إياي في الحج

قال : كرهت اجتماعنا على المياه فنضر بالناس

قال الخليفة : فأخبرني عن ٦٠٠ ألف من المسلمين قتلتهم صبراً

قال : لتستقيم دولتكم .

قال الخليفة : فلم أردت أن تذهب إلى خراسان مخالفاً معاصياً

قال : دخلك مني شيء فأردت المقام هناك وأكتب إليك بضرري .

قال الخليفة : فأخبرني عن نصلين أصبتهما من متاع عبدالله بن علي

قال : هذا أحدهما ثم سله وناوله إياه فهزه أبو جعفر وجعله تحت فراشه .

قال الخليفة : ما تقول فيمن سل على مولاه سيفاً .

قال : يقتل به

قال الخليفة : فقد سللته

قال : ما سللته عليك بل لك .

ثم أخذ أبو جعفر عليه الجنايات فقال له أبو مسلم «لا يدخلن على نفسك فقدري أصغر من أن يبلغ ما ذكرت» فلما الح عليه قال أبو مسلم «دع عنك هذا واذكر صنيعتي معكم فما أخاف إلا الله تعالى» فغضب أبو جعفر وقال «يا ابن اللخناء فانما كان ذلك بريح دولتنا ولو كانت أمة مكانك لفعلت أعظم مما فعلت» وضربه بعمود كان في يده ثم صفق فخرجوا عليه فضربوه بأسيافهم فلم تغن شيئاً فقال أبو مسلم «ابقني لعدوك» فقال الخليفة «وأي عدو أعدى لي منك . ألست الذي بايعتنا على أن من خرج علينا قتلته وأنت الخارج علينا . فقد حكمنا عليك حكمك على نفسك» ثم صاح «اذبحوه» .

أما رواية ابن اعثم الكوفي فتصور المقابلة كالآتي(٤٥) :

«فأقبل عليه المنصور فقال أبا مجرم إني أريد أن أذكرك بأشياء لا أراك تنكرها : أتنكر دخولك على أمير المؤمنين وتسليمك عليه وأنا جالس في مجلسه ولا تراني أهلاً للسلام .

أتذكر مقالتك لابن أخي عيسى بن موسى «إن شئت خلعنا أبا جعفر وبايعنا لك .

أتذكر شتمك لي بالشام بين يدي يقطين بن موسى «ومن ابن سلاّمة . اكانت أبا مجرم أمك أفضل من سلامة وهي تحت محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ؟

قال وجعل المنصور يذكره شيئاً بعد شيء فقال أبو مسلم «يا أمير المؤمنين لا تذكر هذه الأقاويل واذكر حسن بلائي وقوامي لكم بهذه الدولة» . فقال المنصور «يا عدو نفسه أنت ما فعلت ذلك إلا بسمعتنا وقيام شيعتنا وما سبق من الله تعالى في أمر دولتنا . ولو كان الأمر إليك لما قطعت فتيلاً . ألستَ الكاتب إليّ وتبدأ بنفسك قبل اسمي ، أولستَ الذي كتبت إلينا تخطب أميّة بنت علي بن عبدالله بن العباس . وتزعم أنك ابن بنت سليمان بن علي وإنما أنت عبداً لعيسى بن معقل العجلي . لقد ارتقيت يا عدو الله مرتقى صعباً .

فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين انه لا يجب أن يبلغ بك الغضب كل

هذا فإن قدري أصغر من ذلك .

فقال له المنصور : أنسيت استخفافك بحقي وتهجمك عليّ بالكلام مرة بعد أخرى . أنسيت نظرك إليّ شزراً .

ثم غمز المنصور فضربه عثمان بن نهيك ضربة بالسيف على حبل عاتقه فسقط أبو مسلم من الوسادة وهو يقول وانفساه فقال المنصور «يا ابن الخبيثة فعال الجبارين وجزع الصبيان» .

أما رواية المقريزي في مخطوطة المقفى الكبير فتنص على(٤٦) :

«فدخل (أبو مسلم) فسلم وجلس على وسادة ليس في البيت غيرها والقوم خلف ظهره فقال يا أمير المؤمنين أستخف بي وأخذ سيفي .

فقال : ومَن فعل ذلك قبحه الله .

ثم قال المنصور : هيه قتلت أهل خراسان وفعلت وفعلت ... والقيت نعلي من رجلي فدفعتَ نفسكَ عن مناولتي إياها حتى ناولنيها معاذ بن سلم . وأعجب من ذلك امقادك إياي في دهليزك بخراسان مستخفاً بحقي حتى أشير عليك بخلاف ذلك فتكارهت على تسهيل إذني وفتح الأبواب لي .

ثم كتابك لي تبدأ بنفسك ، وخطبتك إليّ أمية بنت عليّ ، وقولك انك ابن عبدالله بن العباس ثم ذمك أخي وسيرته وقولك إنه أوطأك العشوة وحملك على الإثم . ثم أنت صاحبي بمكة تنادي من أكل طعام الأمير فله درهم ، ثم كسوتك الاعراب وقولك لهم لا نجدنكم دون أهل خراسان ، وأعجب من هذا أني دفعت في صدر حاجبك بخراسان فقلت لي : أيضرب حاجبي ردوه إلى العراق .

فقال أبو مسلم : إنه لا يقال لي هذا القول وبلائي .

فقال الخليفة : يا ابن الخبيثة والله لو كانت مكانك أمة لاجزت إنما عملت ما عملته في دولتنا ولو كان الأمر إليك ما قطعت فتيلاً ....

قال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يدخلن نفسك ما أرى فإن قدري أصغر من أن يبلغ شيئاً من أمري في مثل هذا المبلغ .

ثم صفق المنصور فضرب عثمان بن نهيك أبا مسلم ضربة ضعيفة ، فأخذ برجل المنصور فدفعه برجله ، وضربه شبيب بن واج على حبل عاتقه ضربة أسرعت به ، فقال : وانفساه الا قوة الا مغيث .

ثم صاح المنصور : اضربوا ابن اللخناء . فاعتوره القوم بأسيافهم» .

وفي هذه النصوص الكثير من الخيال والعنصر الروائي خاصة وأن الاخباريين كان يحلوا لهم أحياناً أن يطلقوا لأنفسهم العنان في مجالات الحوار والمناظرة وفي نطاق الأسئلة والأجوبة البديهية . على أن جواب الخليفة وتعليقاته بعد اغتيال أبي مسلم تظهر أن سبب قتله كان سياسياً ليس إلا (٤٧) . ففي جواب المنصور لعيسى بن موسى الذي استنكر قتله قال « اسكت يا ابن الشاه وهل كان لنا معه سلطان خلع الله قلبك» وفي رواية أخرى قال المنصور « فوالله ما كان في الأرض عدواً أعدى لك منه ... ما تم سلطانك إلا اليوم» وفي مناقشة الخليفة مع الوالي يقول له «لقد ارتقيت مرتقاً صعباً» أو « انك لمستعظم غير العظيم» أو «واي عدو أعدى لي منك» . كل ذلك يدل على أن طبيعة النزاع كانت سياسية فهو نزاع على النفوذ والسلطة . فمن الواضح أن خليفة حازماً مثل المنصور لم يكن يتحمل والياً قوياً ذا نفوذ واسع مثل أبي مسلم . كما وان الكراهية بين الرجلين تعود إلى جذور قديمة بسبب مواقف سياسية وتاريخية سابقة وهي لذلك ليست كما يتصورها المؤرخون تعود إلى أسباب سطحية ودوافع سطحية . ويؤيد هذا الرأي الطبري والبلاذري حيث يذكران بأن الذي كان يهم الخليفة هو سوء تصرف أبي مسلم بالغنائم التي حصل عليها من عبدالله بن علي في الشام وعصيانه أوامر الخليفة . ثم قتله لسليمان بن كثير الخزاعي نقيب نقباء خراسان ثم إصراره على الذهاب إلى خراسان رغم أوامر المنصور بضرورة مقابلته والبقاء في الشام والياً عليها . وهذه النقاط الثلاثة لها مساس مباشر بتحدي الوالي السافر لسلطة الخليفة .

اتهامات باطلة ضد أبي مسلم :

مما سبق نستنتج بأن اغتيال أبي مسلم يجب أن يُدرس ضمن إطار الصراع السياسي حول السلطة ، أي خوف الخليفة من تعاظم نفوذ أبي مسلم . ولقد اتهمت بعض الروايات التاريخية أبا مسلم بميول علوية وأنه أراد أن يعلن خلافة علوية ، أو بميول متطرفة غير إسلامية كالزندقة مثلاً ، أو بميول سياسة فارسية . على أن البحث الموضوعي والتحري الدقيق يثبت عدم صحة هذه الاتهامات خاصة وأن المنصور نفسه حين همّ بقتله لم يتهمه بمثل هذه الاتهامات ، بل بين للناس أهمية الطاعة لولاة الأمر قائلاً في خطبة طويلة :

«أيها الناس لا تخرجوا عن أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تسروا غش الأئمة فإنه لم يسر أحد قط منكراً إلا ظهرت في آثار يده أو فلتات لسانه وأبداها الله لإمامه لإعزاز دينه به واعلاء حقه بفلجه . إنه من نازعنا هذا القميص اجزرناه حتى هذا الغمد وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ثم نكث بنا فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا . ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه»(٤٨) .

وقد استطاع الخليفة أن يتخلص من الأخطار المباشرة التي قد يسببها قتل أبي مسلم . حيث أمر أبا اسحق بصرف حرس أبي مسلم توا كما وأعطى جند أبي مسلم وقادته العطايا والجوائز الكثيرة ثم رمى لهم رأسه حتى قال بعضهم «لقد بعنا صاحبنا بالدراهم» .

على أن الذي يجلب الانتباه هو ظهور هذه الاتهامات بعد مقتل أبي مسلم لا في فترة حياته . كما وأنها في غالبيتها ظهرت في فترة متأخرة عن العصر العباسي الأول أي في القرن الخامس الهجري فما بعد وهي تدل على موقف كتّاب الفرق السنيين من فرقة الغلو والتطرف التي ظهرت في العالم الاسلامي آنذاك . فقد كتب ابن حزم يقول(٤٩) :

«والأصل في خروج أكثر هذه الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والابناء وكانوا يعيرون

سائر الناس عبيداً لهم . فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق . وكان من قائمتهم سنباذ واستاذ سيس والمقنع وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب بخداش وأبو مسلم السراج فرأوا كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله (ص) واستشناع ظلم علي (رض) ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الاسلام» .

ويؤيد المقريزي[٥٠] ما قاله ابن حزم :

«... فقوم أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين ... وقوم خرجوا إلى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به وقوم سلكوا بهم إلى القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا بهم فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة ...»

أما الشهرستاني فيقول عن الرزامية :

«وهؤلاء ظهروا في خراسان في أيام أبي مسلم فقالوا له حظ في الإمامة وادعوا حلول روح الإله فيه ولهذا أيده على بني أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم وقالوا بتناسخ الأرواح .. وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في الأول واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم وكان يطلب المستقر فيه فنفذ إلى الصادق جعفر بن محمد اني قد اظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت فإن رغبت فيه فلا مزيد عليك فكتب اليه الصادق ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني فحاد إلى ابن العباس بن محمد وقلده الخلافة»[٥١] .

أما الذهبي فاتهمه بميول علوية مدعياً أنه أراد الوصول إلى خراسان لاعلان خلافة يرأسها رجل من الفاطمين .

كما اتهمه أحد الشعراء الموالين للعباسيين وهو أبو دلامة بالشرك والتطرف بعد مقتله (٥٢) .

وبطبيعة الحال ظهرت انعكاسات هذه الآراء المتضاربة على المؤرخين المحدثين الذين عالجوا موضوع الدولة العباسية .

يقول روسين Rosen «ونحن لا نعرف بوضوح الوعود والتعاليم التي بثها أبو مسلم ليجذب الجماهير إلى الاسلام . ولكن نستطيع القول بأنه ربما لعبت فكرة الحلول والتناسخ الالهي في محمد ثم علي وأبنائه من بعده ثم في أبي مسلم نفسه دوراً كبيراً في دعوته» (٥٣) .

أما بلوشيه فيتساءل «هل أن سبب قتل أبي مسلم يرجع إلى رفضه منصبه الجديد والياً على الشام وإصراره العودة إلى خراسان حيث كان حاكماً مستقلاً تقريباً فيها أم أنها تعود أكثر إلى عزمه على قلب الحكم العباسي باستبداله بالحكم العلوي ؟؟» ويجيب بلوشيه على التساؤل قائلاً «بأن التفسير الأخير هو التفسير الوحيد الذي يمكن قبوله» (٥٤) .

ويؤكد بارتولد «بأن أبا مسلم في دعوته مزج تعاليم الاسلام مع المعتقدات (الفارسية) القديمة الشائعة هناك وخاصة اعتقاد الحلول والتناسخ . وقد أظهر نفسه بمظهر المقدس حيث أن الروح الالهية قد حلت فيه . ولكن من الصعب تقدير مدى طموحه وكذلك إلى أي مدى كان لشكوك العباسيين ما يبررها» (٥٥)

ويؤكد بروكلمان ما جاء به بارتولد فيقول «ان ابا مسلم اعتمد في دعايته على المعتقدات الايرانية القديمة . ويُظن أنه نشر مبدأ الحلول والتناسخ بين الأرواح . وادعى بأن الروح الالهية المقدسة قد حلت فيه» (٥٦) .

أما فري Frye فيقول بأن «أبا مسلم كان مسلماً من الطراز الأول ذلك لأن مصادرنا التاريخية لا تتهمه بالشرك أو التطرف والانحراف عن الدين» . ويضيف فري قائلاً بأن أبا مسلم ظل مخلصاً للعباسيين حتى وفاته (٥٧)

ويؤكد موسكاتي (٥٨) أن أبا مسلم كان داعية مخلصاً للعباسيين خدمهم أثناء الدعوة وبعد الانتصار ولم تظهر منه ميول علوية أو فارسية . وينفي

المستشرق موسكاتي أن تكون الدعوة العباسية متطرفة ولذلك فهو ينفي أية ميول متطرفة لأبي مسلم الخراساني . على أن اسمه استغل من قبل الجماعات المعارضة للعباسيين بعد مقتله فطالبت الثورات الفارسية بالثأر له واحتضنه الغلو والفرق المتطرفة أما الكتل المعارضة الأخرى ومنها الكتلة العلوية المعتدلة فلم تأبه لأبي مسلم . ويؤكد البروفسور كب[٥٩] ذلك ويلاحظ أن بعض الروايات بالغت في تصوير دور أبي مسلم الخراساني الذي لم تظهر شعبيته بالشكل الذي تصوره لنا هذه الروايات إلا بعد مقتله حين تبناه الثوار الايرانيين وطالبوا بثأره معتبرين إياه بطلاً قومياً أو نبياً إيرانياً ، مستغلين بذلك اسمه من أجل كسب أكبر عدد ممكن من الأنصار عن طريق التنديد بالظلم العباسي .

ويرى البروفسور كلود كاهين[٦٠] بأن أبا مسلم أصبح أسطورة بعد وفاته حيث تبناه الشيعة المتطرفين والفرس المتذمرين على أنه لم تكن هناك آراء غير إسلامية في الدعوة العباسية وليس هناك ما يؤكد أن الحركة أعدت باسم غير اسم الاسلام .

ولم يشك كل من المستشرقين فان فلوتن وولهاوزن[٦١] بإخلاص أبي مسلم للقضية العباسية وولائه للعباسيين . على أنهما بطبيعة الحال لم يتطرقا فيما كتبوه إلى مغاليات أبي مسلم بعد تأسيس الدولة العباسية .

أما المؤرخون العرب فقد وصفه الدكتور حسن إبراهيم حسن[٦٢] ضمن كتلة الفرس فهو يتكلم عن « حرج مركز العباسيين أيام المنصور بين الساخطين من العرب وعلى رأسهم عم المنصور عبدالله بن علي والساخطين من الفرس وعلى رأسهم أبي مسلم الخراساني » . ويربط الدكتور عبد العزيز الدوري بين الثورات الايرانية وأبي مسلم فيقول : « ومع ان الغلاة والخرمية انضموا للدعوة وقبلوا إمامة عباسي . إلا ان وصيتهم تنكشف اثر الثورة العباسية فتبدو إيرانية ، إذ وجد كثيرون منهم في أبي مسلم الخراساني المنقذ المنتظر ونقلوا الإمامة إليه وإلى رجال من الفرس كما فعل الرزاقية والمسلمية »[٦٣] على أن الدكتور الدوري لا يفصل في ذلك ولا يظهر لنا دور أبي مسلم وعلاقته

بهذه الحركات الفارسية . كما ويتكلم الدكتور أحمد شلبي(٦٤) عن أبي مسلم وحركته حين يفصل في ثورات الفرس ضد العباسيين . ويعتبر الدكتور صديقي والأستاذ يوسفي أبا مسلم بطلاً قومياً إيرانياً .

وهنا نود أن نعيد إلى الأذهان ما نعرفه عن أبي مسلم الخراساني . فالمعروف أنه كان فارسياً من ضواحي أصبهان وكان من موالي بني عجل حيث انتقل مع مولاه إلى الكوفة . وفي الكوفة المعروفة بميولها العلوية المتطرفة تعرف أبو مسلم على بعض الشيعة العلوية واشترك في ثورة المغيرة العجلي سنة ١١٩ هـ ولكن أبا مسلم أفلت من قبضة السلطة العباسية . كما أفلت معه مالك بن أعين الجهني الذي يبدو أنه كان يدين بالغلو ولكنه استطاع أن يقنع خالد العشري ببراءته فأطلقه فما اجتمع مالك بأصدقائه ومنهم أبي مسلم قال :

ضربت له بين الطريقين لاصباً وطِنْتُ عليه الشمس فيمن يطينها
والقيته في شبهه حين سالني كما اشتبها في الخط سين وشينها

وقد قال أبو مسلم بعدئذٍ حين أصبح والياً على خراسان «لو وجدته لقتلته باقراره على نفسه» . ثم صاحَب أبو مسلم أبا موسى السراج المعروف بميوله الشيعية لآل البيت ثم التحق بالدعوة العباسية بعدئذٍ وظلّ مخلصاً لها حتى مقتله .

وفي خراسان تخلص مسلم من عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، كما قتل بهافريد «المصلح» الديني الفارسي كل ذلك في سبيل توطيد سلطان العباسيين . ثم إنه قضى على ثورات قامت باسم العلويين وكذلك ثورات الراوندية المتطرفة في خراسان متمشياً مع سياسة العباسيين الجديدة القائمة على كتاب الله وسنة رسوله .

ويتهمه الاصفهاني بقتل عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين . كما ويذكر ابن عساكر هروب ابراهيم بن أدهم بن منصور العجلي من خراسان خوفاً من أبي مسلم ويظهر أن إبراهيم العجلي هذا كان يدين بالغلو أو الولاء لغير العباسيين .

كما وان الراوندية كما ذكرنا سابقاً حاولت اغتيال أبي مسلم بالسم دون أن تفلح في ذلك .

إننا نعتقد بأنه بالامكان اعتبار أبي مسلم خطراً على الدولة من الناحية السياسية أما أنه كان ذا ميول علوية أو فارسية متطرفة فليس هناك ما يكفي لاثبات ذلك .

أما بالنسبة للتطرف فالأجدر بالشهرستاني أو ابن حزم أو المقريزي أن يتهم الدعوة العباسية بالتطرف قبل اتهام أبي مسلم . فنحن نعرف أن الدعوة رفعت شعارات كثيرة من أجل كسب كل الجماعات المتذمرة من الحكم الأموي . وإذا اتبع أبو مسلم هذه السياسة المتطرفة فإنه اتبعها كداعية من الدعاة العباسيين . على أننا يجب أن نلاحظ بأن اتهامات الغلو والتشيع للعلويين ذكرت من قبل كتّاب ومؤرخين متأخرين ولم تظهر في الطبري أو المسعودي أو الدنيواري أو البلاذري أو كتاب الفرق من أمثال القمي والنوبختي والأشعري في الوقت الذي تذكر هذه المصادر تعاليم خداش المتطرفة وميول أبي سلمة العلوية بوضوح وصراحة . ويحق لنا أن نتساءل لماذا تهمل ميول أبي مسلم وهو «صاحب الدولة» ولا تهمل ميول غيره من الدعاة ؟؟ وأكثر من ذلك فقد كان الأجدر بالرواة العباسيين — لو كانت الاتهامات صحيحة — أن يستغلوا هذه الاتهامات ليبرروا اغتياله . ومن جهة أخرى فلم يكن الرواة العلويون ليتركوا هذه الفرصة تفوت دون أن ينددوا بالعباسيين لقتلهم أبي مسلم بسبب ميوله العلوية ، ولظهر اسمه في قوائم شهداء الشيعة العلوية .

على ان الرواية أن تقرن اسم أبي مسلم باسم خداش وغيره من المتطرفين دينياً ليس لها قيمة لكونها ذكرت في مصادر متأخرة وإذا كانت تعكس شيئاً فهي تعكس موقف أهل السنة من حركات الغلو في القرن الخامس الهجري ، كما ذكرنا ذلك سابقاً . على أننا نطالع في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي[٥٦] فقرة مشابهة لما جاء في كتاب ابن حزم ولكنها تذكر اسم (أبي مسلم الحرّاني) بدلاً من أبي مسلم الخراساني . ولذلك يجب أن نصحح ما جاء في ابن حزم ،

خاصة وأن أبا مسلم الحراني هذا وصف بكونه قدرياً وأنه توفي في القرن الثاني للهجرة وكان من أصحاب الجبائي . فإذا ثبت صحة هذا النص فهو ينفي ما ذكره ابن حزم وكرره المقريزي عن مقاليم أبي مسلم الغالية أو زندقته .

أما ما ذكره الشهرستاني والذهبي عن ميول أبي مسلم العلوية وليس له صحة أو سند تاريخي فقد أثبت أبو مسلم بعد أن كسبته الدعوة العباسية إخلاصه لها حتى النهاية . وعلينا أن نتذكر أن الدعوة العباسية نفسها رفعت شعار الدعوة (للرضا من آل البيت) وهو شعار عام غامض يهدف كسب أكبر عدد من الناس ضد الحكم الأموي وكان الدعاة العباسيون أنفسهم ومنهم أبو مسلم يدعون للثأر من العلويين الذين قتلهم بنو أمية ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء الدعاة كانوا ذوي ميول علوية بل كان هدفهم جذب الشيعة العلوية واستغلالهم في صالح الدعوة العباسية .

وللمؤرخين المحدثين عذر في الاعتقاد بضرورة وجود ميول علوية أو فارسية أو غالية عند أبي مسلم الخراساني ذلك لأنهم استندوا في رأيهم هذا إلى ما حدث بعد مقتل أبي مسلم حيث احتضنه الثوار الفرس كالمقنع وسنباذ واستاذسيس وغيرهم كما احتضنه الغلو المتمثل بالحركة الرزامية والمسلمية . فالكثير من الثوار في الاقاليم الشرقية من الدولة الاسلامية رفعوا شعار الثأر له كوسيلة لتبرر ثورتهم ضد العباسيين كما وأنه أصبح (المنقذ المنتظر) الذي سيعود إلى هذه الأرض ليخلص العناصر المستاءة والمستضعفة .

ولكن هذا لا يعني بطبيعة الحال أن أبا مسلم كان يشارك هذه الثورات معتقداتها ومبادئها أو كان له اتصال شخصي بهذه الجماعات ولكن هذه الجماعات كانت بحاجة إلى شخصية سياسية قيادية تنظر إليها كملجأ للخلاص من حالتها السيئة أو التي تعتبرها سيئة إلى حالة أفضل . ولم يكن هناك أحسن من أبي مسلم زعيماً ومنقذاً منتظراً .

الخليفة المنصور يُصفي بقية الدعاة « الثوار » :

وعلى هذا فإننا نعتقد بأن أبا مسلم الخراساني لم يظهر ميولاً علوية أو فارسية بعد انخراطه في صفوف العباسيين . أما ما رفعه من شعارات متطرفة أثناء فترة الدعوة فقد كان ذلك ضمن إطار الدعوة العباسية التي نادت ، كما رأينا ، ببعض الآراء المتطرفة وجعلتها واجهة من واجهاتها العديدة وما ان انقلبت السلطة العباسية على عناصر الغلو حتى حذا أبو مسلم حذوها فطارد الراوندية والشيعة العلوية المتطرفة كما سبق ذكره .

ومما يدل على أن سبب قتل أبي مسلم كان سياسياً هو ملاحقة المنصور لأعوان أبي مسلم فقد قتل أبا الجهم[٦٦] الباهلي الذي يوصف بأنه كان عيناً لأبي مسلم في البلاط العباسي . كما خطط لقتل خالد بن إبراهيم الذهلي الساعد الأيمن لأبي مسلم في خراسان . على أن الذهلي وافته منيته قبل أن يقتل حيث وقع من شرفة بيته ومات[٦٧] .

كما ثار جهور بن مرار العجلي وهو أحد الدعاة العباسيين في نيسابور سنة ١٣٦ هـ — ٧٥٣ م بسبب اختلافه مع الخليفة هو الغنائم التي حصل عليها بعد قمعه حركة سنباذ. ولكن الثائر هرب بعد وصول القوات العباسية من العراق وقُتِل من قبل بعض أتباعه . وأهمية ثورة جهور العجلي في كونها تظهر لنا أن من السابق لأوانه أن يتكلم المؤرخ في الفترة موضوعة البحث عن ما يدعى « بالحركة القومية الفارسية » ضد العرب . فقد ساعد أصبهبذ طبرستان العباسيين ضد سنباذ في الوقت الذي ثار الكثير من السكان الفرس مع جهور العجلي ضد العباسيين [٦٨] .

وثار إلى خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي سنة ١٤٠ هـ — ٧٥٧ م[٦٩] حيث اختلف مع المنصور في السياسة التي يجب أن يتبعها في خراسان . ذلك لأنه شدد على الدهاقين وشيوخ القبائل العربية وقتل عدداً منهم بتهمة مساندتهم للعلويين . على ان المنصور لم يسكت لقتل هؤلاء الاعوان

الذين يسميهم البلاذري «العباسية» ويسميهم اليعقوبي «شيعة بني هاشم» من أمثال مجاشع الانصاري وخالد بن كثير والحريش الذهلي . وقد استطاع القضاء على حركته بإرسال جيش من العراق بقيادة محمد المهدي ولي العهد يساعده في ذلك خازم التميمي حيث أسر الأزدي وأرسل إلى الخليفة الذي صلبه في الكوفة .

وقد استطاع الخليفة أن يقضي على تمرد عيينة بن موسى التميمي والي السند بسهولة ويسر ، حيث أرسل عمر بن حفص العتكي معيناً إياه والياً على السند . فما كان من عيينة إلا أن يفر حيث قُتِل من قبل اليمانية ثأراً لإخوانهم الذين قتلهم عُيينة في السند (٧٠) .

أما عبدالله بن علي العباسي الثائر في بلاد الشام فقد هرب إلى البصرة واختفى عند أخيه سليمان . وقد استطاع الخليفة أن يقنع أعمامه بضرورة تسليم عبدالله بعد أن أعطاه عهداً غليظاً كتبه عبدالله بن المقفع جاء فيه :

«وإن أنا نلت عبدالله بن علي أو أحداً ممن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير ، أو أوصلت إلى أحد منهم ضرراً سراً أو علانية على الوجوه والاسباب كلها تصريحاً أو كناية ، أو بحيلة من الحيل . فأنا نفي من من محمد بن علي بن عبدالله ومولود لغير رشدة . وقد حلّ لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة مني . ولا بيعة لي في رقاب المسلمين . ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي . واعانة من ناوأني من جميع الخلق ولا موالاة بيني وبين أحد من المسلمين وأنا مبتدىء من الحول والقوة ومدع وكافر بجميع الأديان القى ربي على غير دين ولا شريعة محرم المأكل والمشرب والمناكح والمركب والرق والملك والملبس على الوجوه والأسباب كلها ، وكتبت بخطي ولا نيّة لي سواه ولا يقبل الله مني إلا إياه والوفاء به» (٧١) .

أما نصر الأزدي عن المدائني فيقول (٧٢) .

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله العباس خليفة الله على من ولاه أمره من المسلمين والمعاهدين

لعبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس . انه قد أمّنه وأخلص في ذلك النيّة واشهد الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذي بيده نواصي الانام وهو يسمع حرس الكلام وعلمه فيما مضى كعلمه فيما بقى منها وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ومن يحف بالعرش من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وعباده الصالحين وجعل له فيما أمنه به عليه عبدالله وحده أعزه وأمنعه وأقدره وارحمه وذمته التي لا يستحل المسلمون اخفارها ولا نقصها ولا اهمالها ، بها حقنت الدماء وبها كادت السموات والأرض ان تزولا . ومن شدّتها استكرهتها السموات فصدفت عنها واستثقلتها الارضون والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وذمة المصطفى المستحب المرتضى النبي الأمي (ص) وذمة جبريل وميكائيل وإسرافيل وذمة ملك الموت ومن حف بالعرش من الملائكة وذمة الخليل إبراهيم وذمة موسى وهارون وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة إسماعيل واسحق ويعقوب وذمة خلفائه الباقين وأسلافه الطيبين الماضين ، وعاهد الله فيما ابتدأ به من ذلك وأعطاه عهداً مسؤولاً تلقاه الله عليه غير خافر ولا ناقص ولا ناكث ثم جعل بعد هذه العهود والذمم حرم ما ادعم الله به خليفته وسدوبه الدين الذي فضله ....

واذن له في القدوم عليه آمناً مطمئناً مستوراً مكتوماً في أمنه وغشه وأمره ونهيه . بريء مما يعد به أحداً من خلق الله على أحد بذنب أو جرم أو زلة أو غيرة أو سقطة جليلة أو حقيرة فيما مضى ولا بتهمة أو بعلاقة فيما بقي وامر له المسالك كلها من البصرة إلى مدينة السلام الهاشمية وغيرها وما قبلها إلى حيث يجري ملكه وينفذ أمره من أهل الاسلام والمعاهدين وأهل كل ملة وقبله .

وجوّز له ركوب السفن ... واذن له في النزول من مدينة السلام الهاشمية وغيرها ... فإن عبدالله بن محمد أمير المؤمنين لم يَفِ بما أعطاه

لله أو نقض أو خفر أو نكث أو غدر أو خالف أو همّ أو اضمر أو جاوز إلى غير ذلك ما جعل له أو نوى قبل كتابة هذا أمراً يبدو منه بأس فلا قَبِلَ الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وهو بريء من محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس ، ويشهد الله ومن خلق واحاط به علمه وقدرته من الجن والانس ومن هو في السموات السبع والارضين وما بينهما وكل شيء قال الله عز وجل كن فكان ويصلحه الله وخفي على العباد . برىء من الله ورسله وملائكته وكتبه وما نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام بإذن الله عز وجل على رسوله (ص)

.... ولله عليه ثلاثون حجة يمشيها من مدينة السلام الهاشمية والكوفة وارض العراق إلى بيته الحرام الذي بمكة صافياً راجلاً حتى يستلم الحجر الأسود ولا يأجره الله على ذلك ، ولله عليه بعد ذلك ثلاثين عمرة يأتي بها من أقاصي البلاد إلى بيت الله الحرام التي بمكة يوفيهن له عز وجل عمرة عمرة وحجة حجة بمناسكها كما افترض الله عز وجل عليه فيهن .

وكل ما يملك من رقيق وثياب ومتاع ودابة وعقده فيما هو له أو يلجئه غيره صدقة على المساكين من القواصي في مشارق الأرض ومغاربها .

وكل مملوك أو أمة يملك ... احراراً لوجه الله . وكل امرأة له طالق .

والمسلمون عامة من الاجماع مما في أعناقهم من بيعته في حل وسعة .

وقد أحلّ في هذه الايمان جيوش المسلمين وقوادهم وسراياهم ...

ويسأل أهل الاسلام ويقلدهم توكيدها والقيام بها بأمان الله ما يكونوا هم وآباؤهم وأبناؤهم وأهاليهم فيها ... والله عليه وعليهم بذلك راع كفيل وكفى بالله شهيداً . »

أما البلاذري[٧٣] فيقول ان ابن المقفع كاتب عيسى بن علي كتب أماناً تعدى فيه ما يكتب الخلفاء من الامان حيث قال « فإن لم يفِ أمير المؤمنين بما

جعل له فيه فهو بريء من الله ورسوله والأمة في حل وسعة من خلعه» . وقد وافق الخليفة على هذا الامان بشرط أن تقع عيناه على الثائر عبدالله العباسي أي أن يراه مدعياً «اني لا آمن أن أعطيه إياه قبل رؤيتي له فيسير في البلاد ويسعى عليّ بالفساد» . فلما حضر عبدالله مع إخوانه أمر المنصور بإلقاء القبض عليه قبل أن يدخل عليه . يقول البلاذري : «فلما قدم (عبدالله) امر ابا الازهر بأنه إن أمره بإدخاله عليه فلا ترين وجهه وأدخله المقصورة . وكلمه فيه بنو علي فقال : «لا تكلموني فيه فإنه أراد أن يفسد علينا وعليكم أمرنا» . كما وان المنصور رفض إخراجه متعذراً بأن أهل خراسان سيثأرون لأنفسهم منه : «إنّ أهل خراسان متسرعون إليه لما كان منه اليهم ولا آمن أن يفتكوا به فهم مجمعون على ذلك» . وقد قُتل عبدالله العباسي في ظروف غامضة سنة ١٤٧ هـ — ٧٦٤ م ونسجت روايات كثيرة حول مقتله منها ان البيت الذي سجن فيه كان أساسه ملح وحين سُلّط عليه الماء وقع عليه .

وقد قتل الخليفة كاتب الأمان ابن المقفع كذلك فيروي ابن اعثم الكوفي(٧٤) أن المنصور لما قرأ الأمان سأل عن كاتبه فقيل له انه ابن المقفع فعلّق قائلاً : «أما لنا من يكفينا ابن المقفع ويريحنا منه» . وكان بين ابن المقفع وسفيان المهلبي و الي البصرة ضغائن فانتهزها فرصة وقبض عليه وقتله . وقد مات ابن المقفع وهو يستغيث قائلاً «يا اعوان الظلمة ...» .

وهكذا فقد كان نتيجة الصراع على السلطة وتضارب المصالح بين الخليفة والدعاة «الثوار» من جهة وبين الدعاة فيما بينهم من جهة ثانية أن أكلت تلك الشخصيات السياسية التي خدمت الدعوة العباسية وعملت من أجل تأسيس الدولة الجديدة بعضها البعض الآخر ولم يمض وقت طويل جداً حتى ظهر على المسرح السياسي من لاتربطهم علاقة بالثورة، أخذوا الامور على عاتقهم واستبدوا بها على حساب خلفاء من أمثال المهدي والرشيد مما دعا الشاعر بشار إلى القول:

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود[٧٥]

ولكننا نلاحظ من خلال هذه الثورات التي حدثت نتيجة انقسام الثوار «الدعاة» وانشقاقهم على أنفسهم تضارب الأهداف والمصالح بين الخليفة الذي يمثل السلطة المركزية التي تبنت سياسة جديدة بعد تأسيس الدولة تختلف عن التكتيك الذي اتبع أثناء الثورة وبين الدعاة«الثوار» الذين كان بعضهم يطمع في كسب كبير من الدولة التي اشترك في تأسيسها وكان بعضهم الآخر يريد تحقيق الوعود التي ضربتها الثورة على نفسها وتخلت عنها بعد نجاحها .

على أن الشعارات التي ترفع أثناء الثورة شيء والخطط السياسية التي يعلنها العهد الجديد شيء آخر . فقد كان همّ الخلفاء العباسيين وعلى رأسهم الخليفة المؤسس أبو جعفر المنصور تثبيت كيان الدولة وضمان استمرار الخلافة العباسية بأي ثمن . ولذلك رأى أن من واجبه أن يتخلّص من الشخصيات الطموحة والخطرة التي يخشى بأسها فتخلص من الأخطار الرئيسية الثلاثة التي هددت الدولة :

عبدالله بن علي . أبو مسلم الخراساني . العلويين .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد انقلب الدعاة «الثوار» على النظام الجديد لاسباب عديدة.فبعضهم لم يتوقع اتخاذ النظام العباسي الجديد لخط أهل السنة والجماعة وتقرّب الخلفاء العباسيون للفقهاء وأصحاب الحديث فثاروا ضد السياسة الدينية الجديدة ومن أمثال هؤلاء الراوندية والرزامية والمسلمية . كما وأن سياسة أوائل العباسيين الادارية والمالية لم تكن لتختلف في سنين الدولة الأولى عن النهج الأموي فلم يحقق العباسيون وعودهم بقسمة الغنائم بالعدل وإبقاء واردات الأقاليم لتصرف على الأقاليم نفسها وصرف العطاء لمن يستحق من الناس .

ولقد رفع الدعاة «الثوار» ضد العباسيين نفس الشعارات التي سبق وأن رفعوها أثناء الثورة العباسية واستغلوا نفس الكتل التي لا زالت مستاءة فمنهم من ثار باسم العلويين ومنهم من ثار باسم الايرانيين ومنهم باسم الغلو والتطرف

ومنهم من ثار باسم العدل والقضاء على الجور . فالثورة العباسية كأي ثورة جذرية أخرى أيقظت في نفوس الناس الأمل . ومتى ما استيقظ الأمل لا يمكن كبته بسهولة . ذلك لأن الأمل يدفع إلى التطلع نحو مستقبل أفضل حيث الفرد من الناس بالحالة التي يعيشها ويسعى إلى تحسينها .

ان الثورة العباسية أذكت جذوة الأمل لدى العامة من الناس عرب وغير عرب فأمّل هؤلاء الكثير من الخير من العهد العباسي الجديد إلا أن آمالهم سرعان ما خابت . فالعباسيون «الخلفاء» ليسوا كالعباسيين «الثوار» وكان موقفهم حرجاً لا يحسدون عليه بين ما يؤمّل منهم باعتبارهم خلفاء المسلمين وبين ما يتوقع أن يقوموا به تمشياً مع الشعارات التي طرحوها والوعود التي قطعوها أثناء الثورة .

إن ممارسة السلطة فعلياً شيء والتخطيط لثورة شيء آخر ولذلك كان طبيعياً أن يحصل الانشقاق الذي رأيناه .فليس هناك ارتباط مُلْزِم بين ما وعد به العباسيون قبل تسلمهم الخلافة وبين إجراءاتهم الجديدة بعد مبايعتهم بالخلافة .

أ

حواشي الفصل السادس

(١) أنساب الأشراف ، ص ٧٨٤ أ . — ٧٨٥ أ . — نبذة من كتاب التاريخ ، ص ٢٩٢ أ — ٢٩٣ أ . — الطبري ، III ص ٢٩ فما بعد . — المسعودي : مروج الذهب ، ج ٦ ، ص ٩٨ — ٩٩ . — العيون والحدائق ، ص ٢٠٠

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٨٦ . — نبذة من كتاب التاريخ ، ص ٢٩٠ أ . — اليعقوبي المصدر السابق II ، ص ٤١٨ — ٤١٩ . — المسعودي : مروج الذهب ، ج ٦ ، ص ١٣٣ فما بعد .

(٣) أخبار العباس ، ص ١٣٠ أ .

(٤) أنساب الأشراف ، ٧٩٢ ب .

(٥) المصدر السابق ، ص ٧٩٣ أ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٧٩٣ أ — ٧٩٣ ب .

(٧) الطبري II ، ص ٦١ . — الجهشياري : المصدر السابق ، ص ٨٩ . — الدينوري : op, cit ، ٣٧٢ . اليعقوبي ، II المصدر السابق ٤٢٠ .

(٨) أنساب الأشراف ، ص ٨٠٠ أ .

(٩) الإمامة والسياسة ص ٢٣٨ — ٢٤٠ . — الطبري III ، ص ٦١

(١٠) أنساب الاشراف ، ص ٨٠٠ أ — ٨٠٠ ب .

(١١) op, cit ، ص ٨٠٠ ب . — المقريزي ، المقفى الكبير ، ص ٧٩ ب .

(١٢) فاروق عمر ، الخلافة العباسية « بالإنكليزية » ، ص ١٨٩ .

(١٣) النشخي : تاريخ بخارى طهران ، ١٩٣٩ (الترجمة الإنكليزية) ص ٦٢ فما بعد .

العيون والحدائق ص ٢١١ . — اليعقوبي : المصدر السابق II ، ص ٤٢٥ .

(١٤) أنساب الأشراف ، ص ٨٠٠ ب عن أبي الصلت الخرساني . — الطبري III ، ص ٨١ فما بعد . — المقدسي ، البدء والتاريخ ج ٣ ، ص ٣٨٢ .

(١٥) أنساب الأشراف ، ص ٨٠٠ ب . — الطبري III ، ص ٨٣ .

(١٦) ابن حبيب : أسماء المغتالين ، ص ١٨٤ . — خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ . — الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٧٤ . — الطبري III ، ص ٨٠ ، ١٧٦٧ ، ١٧٧٨ . — العيون والحدائق ص ٢١١ .

(١٧) النوبختي : فرق الشيعة ، ص ٢٨ .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٤١ — ٤٢ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢١) Sodighi, o,p cit pp, 209 - 210

(٢٢) اخبار العباس ، ص ١٩٩

(٢٣) الطبري III ، ١٣٢ .

(٢٤) الطبري III ، ١٢٩ فما بعد ، ٣٦٥ . — أنساب الأشراف ، ص ٥٤٨ .

(٢٥) ابن النديم : الفهرست ، ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٢٦) أنساب الأشراف ، ص ٧٩٢ أ .

(٢٧) الطبري III ، ص ٥٩ ، ٨٥ .

(٢٨) op, cit ، ص ٦١ .

(٢٩) op, cit ، ص ٨٥ .

(٣٠) اليعقوبي II ، ص ٤٣٣ . — الطبري ، III ، ص ٨٦ .

(٣١) أنساب الأشراف ، ص ٥٠٥ . — الطبري III ، ص ٨٧ ، ٩٩ — ١٠٠ . — اليعقوبي II ، ٤٣٦ — ٤٣٧ العيون والحدائق ، ص ٢١٥ . — الإمامة والسياسة ج ٢ ، ص ٢٥٣ . — ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٧٥ — ٥٨

(٣٢) الطبري III ، ص ١٠٠ .

(٣٣) لم يتخذ الخليفة أبو جعفر لقب المنصور إلا بعد قضائه على ثورة العلويين في الحجاز والبصرة سنة ١٤٥ هـ. وكان لاتخاذه اللقب أسباباً سياسية دعائية وذلك ليظهر للناس بأن المنصور حقاً أي المنقذ الذي تروي عنه الأساطير العربية القديمة الشائعة بين القبائل

اليمانية خاصة . وليبين للناس بأن ما ادعاه محمد ذو النفس الزكية من أنه المهدي باطل وإلا لما استطاع « المنصور » أن يقضي على المهدي» .

(٣٤) هرب عبد الله بن علي بعد فشله إلى البصرة وبقي مدة طويلة في حماية أخيه سليمان بن علي والي البصرة . ثم وعد المنصور بالعفو عنه فكتب له ابن المقفع كتاب الأمان ولكن الخليفة سجن عبد الله ثم قتله في ظروف غامضة سنة ١٤٧ هـ ٧٦٥ م .

(٣٥) المقريزي ، المقفى ، ص ١٩٣ أ .

(٣٦) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ص ٢٣٩ أ .

(٣٧) الطبري III ، ١٠٤

(٣٨) الجهشياري ، ص ١١١ . — الطبري III، ص ١٠٤ عن المدائني . — ابن الطقطقي : الفخري ، ص ١٥١ .

(٣٩) أنساب الأشراف ص ٥٢٢ — الإمامة والسياسة، ج٢ ص ٢٥٣ . — الطبري III ، ١٠٥ . — ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ص ٢٣٩ ب — ٢٤٠ أ . — الخطيب تاريخ بغداد ج ١٠ ، ص ٢٠٨ . — المقريزي : المقفى . ص ٩٤ أ . — العيني : تاريخ الدولة العباسية ، ص ٢٦ ب عن الصولي . — ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

(٤٠) راجع : فاروق عمر : الخلافة العباسية . ص ٢٠٦ — ٢٠٧ . (بالإنكليزية) .

(٤١) ابن أعثم الكوفي ، op, cit ، ص ٢٤٠ ب . — أنظر كذلك المقريزي op, cit ٩٤ أ .

(٤٢) ابن أعثم الكوفي : op, cit ، ص ٢٤٠ ب .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ أ .

(٤٤) العيني : دولة بني العباس والطولونيين والإخشيديين (مخطوطة) ص ٣٠ أ فما بعد .

(٤٥) ابن أعثم الكوفي : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ب — ٢٤١ أ .

(٤٦) المقريزي : المقفى الكبير (مخطوط) . ٩٤ ب — ٩٥ أ .

(٤٧) فاروق عمر : المصدر السابق ، ص ٢١٢ — ٢١٣ .

(٤٨) الطبري ، ج ٩ ص ٣١٣ (الطبعة المصرية) . . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٦ . ص ١٨٥ .

(٤٩) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(٥٠) المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٠ — أو الطبعة الأوروبية ج ٢ ، ص ٣٦٢ .
(٥١) الشهرستاني : كتاب الملل والنحل ، ص ١١٤ — ١١٥ .
(٥٢) الذهبي : ، ج ١ ، ص ٧٠ . — وتقول مخطوطة تاريخ دولة عباسية المجهولة المؤلف ، عن أبي مسلم أنه « أراد أن يعيدها فاطمية » ص ١٥ ب . — أنظر كذلك الشهرستاني المصدر السابق ، ص ١١٤ — ١١٥ . — العيني : المصدر السابق ، عن الصولي ص ٢٦ ب . — ابن قتيبة ، عيون . . ج ١ ص ٢٦ .

(٥٣) Rosen, review of sachaw's edition of al-Birumī's India in *Z.V.O.D.* 188

(٥٤) Blochet, *Lr messianisme..*, Paris, 1903,

(٥٥) Barthold, *E.I.* (I), *Khuramiyya.*

(٥٦) Brockleman, *History of the Islamic peoples.*

(٥٧) Frye, «The Rôle of Abū Muslim», *M.W.*, 1947

(٥٨) Moscati, studi su Abū Muslim, *R.L.*, 1949, 1950.

(٥٩) Gibb, *The Arab conquest...*, London, 1923.

(٦٠) Cohen «points de vue. » , *R H* 1963

(٦١) Van vloten, *Recherches sur la Domination Arab*, Amsterdam, 1894.
Welhausen, *The Arab Kingdom and its fall*, calcutta. 1922.

(٦٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
(٦٣) الدوري : العصر العباسي الأول ، بغداد ١٩٤٥ . — كذلك الجذور التاريخية للشعوبية ، بيروت ١٩٦٠
(٦٤) أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٣ ص ١٧٦ .
(٦٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٥ . — (الترجمة الإنكليزية II ٩٣ — ٩٤)
(٦٦) الطبري III ، ص ٦٧ . — الإمامة والسياسة ، ص ٢٤٧ . أنساب الأشراف ، ص ٥١٠ . — الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥٦ . — ابن الطقطقي : الفخري ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .
(٦٧) الطبري ، ص ١٢٨ . — أنساب الأشراف ، ص ٥٣٩ . — من المعلوم أن خالد الذهلي كان قد قتل عيسى بن هامان بأمر من أبي مسلم مما أغضب الخليفة أبا

العباس الذي أمر أبا مسلم في حينه بقتله ، ولكن أبا مسلم لم ينفذ الأمر « أنساب الأشراف» ، ص ٨٠١ أ .

(٦٨) أنساب الأشراف ، ٥٥٨ . ــ الطبري III ، ص ١٢٢

(٦٩) أنظر : عبد الجبار الأزدي : صاحب شرطة المنصور في مجلة الشرطة . بغداد ١٩٦٨بقلم الدكتور فاروق عمر .

(٧٠) فاروق عمر : الخلافة العباسية (بالإنكليزية) ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ .

(٧١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١٠٣ ــ ١٠٤ .

(٧٢) الأزدي : تاريخ الموصل (مخطوطة) ص ١٥٤ ــ ١٤٧ .

(٧٣) البلاذري : أنساب الأشراف ، (مخطوطة) ص ٧٦٧ أ .

(٧٤) ابن أعثم الكوفي : الفتوح ، (مخطوطة) ص ٢٣٨ أ .

(٧٥) الأصفهاني الأغاني . ج ٣ ص ٧٠ .

الخاتمة

مغزى الثورة العباسية
فذلكة تاريخية

يحلو لبعض المؤرخين[1] أن يقارن الثورة العباسية بالثورة الفرنسية أو الروسية ويقول بأنها في آثارها ونتائجها لم تكن أقل من الثورتين آنفتي الذكر .

على أن إجابتنا على ذلك تتوقف على نظرتنا إلى الحركة العباسية من حيث كونها ثورة أم انقلاب ؟ والمعروف في تعريف الثورة أنها تلك الحركة الموافقة لسير التاريخ ولمصلحة الشعب . أما الانقلاب coup d'etat فهو الحركة التي لا توافق سير التاريخ وتعمل ضد مصلحة الشعب .

ولقد انقسم المؤرخون في تفسيراتهم للثورات الكبرى في تاريخ الشعوب فيعتبر بعض المؤرخين مثلاً الثورة الفرنسية ثورة صحيحة Revolution قامت للقضاء على الإقطاع وفسحت المجال أمام الطبقة البورجوازية (المتوسطة) وكان لها نتائج باهرة منها انتشار الفكرة القومية التي وحدت فرنسا المجزأة وانتشرت هذه الفكرة إلى أوربا وأنحاء العالم المختلفة فوحدت الكثير من الأجزاء القومية في دولة واحدة . وكان من نتائجها امتلاك الفلاحين الأراضي بعد أن كانوا اقناناً وانتشار التعليم والفكرة الديمقراطية في الحكم واحترام مبدأ حرية الفرد

وخاصة حرية الرأي . على أن مؤرخين آخرين لم يعتبروا الثورة أكثر من Rebellion قام بها حفنة من الرعاع والانتهازيين .

وإذا صح مجال المقارنة بين الثورة العباسية وغيرها من الثورات فلربما استطعنا القول أنها تشبه الثورة الروسية في دقة تنظيمها وسريتها بينما تشبه الثورة الفرنسية في التغيرات الكبيرة في مختلف المجالات السياسية والحضارية التي أعقبت حدوث الثورة العباسية في المجتمع الاسلامي [١] . ولعل العباسيين أنفسهم هم أول من يدّعي بأن حركتهم كانت ثورة جذرية على النظام القديم فقد سموا نظامهم الجديد «دولة» أي أنها فاتحة عهد جديد في تاريخ الاسلام .

ولكن هل تغيّر الحال ؟؟ وهنا يختلف المعاصرون للدولة الجديدة في الاجابة على هذا السؤال قبل اختلاف المتأخرين أو المؤرخين الذين حاولوا تحليل نتائج الثورة .

فقد قال سُديف بن ميمون الذي كان مولى لبني هاشم ودافع عن القضية الهاشمية في عهد الأمويين ، بعد تأسيس الدولة الجديدة «اللهم صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة»[٢] وقد انضم سُديف إلى الشيعة العباسية معارضاً لسياسة أبي جعفر .

أما الجاحظ[٣] فيدافع عن النظام العباسي ويهاجم الأمويين ويسمي خلافتهم «ملكاً» حيث يقول «استولى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعة وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبه والعام الذي تحولت فيه الامامة ملكاً كسروياً والخلافة غصباً قيصرياً» .

أما بشار بن برد فيرى في الدولة الجديدة فاتحة عهد جديد «للموالي» وان كل العجم موالية للعباسيين فيقول :

صلّت لكم عجم الآفاق قاطبة   فوج وفود وفوج غير وَفّاد

ثم يقول :

انصفتمونا فعابوا حكمكم حسداً   والله يعصمكم من غلّ حُساد

سطوا علينا بأن كنا مواليكم وعيرونا بآباء وحسّاد

وهكذا فما أن تأسست الدولة الجديدة وأبانت المبادئ الدينية والسياسية التي ستسير عليها حتى بدأت العناصر المعارضة تجمع شملها خاصة بعد أن زالت شدة الثورة وخفتت «الفورة» وبدأنا نسمع أصوات التذمر أو المعارضة من الأفواه وخاصة أفواه الشعراء «جرائد العصر» الذي كان كل منهم يعبر عن وجهة نظر معينة . وكان للعباسيين مَن يدافع عنهم وعن وجهة نظرهم . فقد خطب أبو العباس وداود بن علي وأبو جعفر مدافعاً عن وجهة النظر العباسية منذراً المعارضة العلوية والأموية . وقد شاد بهم الشعراء الموالين لدولتهم فقال مروان بن أبي حفصة(٦) :

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعه من هاشم من الاله على الانام ظلالها

وقال السيد الحميري يمتدح أبا العباس :

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من عهدها الدارسا(٧)

كما وأن الحميري سمى الخليفة أبا العباس «بالقائم» (٨)

وأشاد بالعباسيين في حضرة المنصور قائلاً : (٩)

ملك ابن هند وابن أروى قبله ملكاً أمر بحله الابرام

ويقول :

أقصى الاله بني أمية انهم ظلموا العباد بما أتوه وضاموا

ويقول :

جزعت أمية من ولاية هاشم وبكت ومنهم قد بكى الاسلام
ان يجزعوا فلقد أتتهم دولة وبها تدول عليهم الأيام

ويقول :

يا رهط أحمد إن من أعطاكم ملك الورى وعطاؤه اقسام

ان الوراثة والخلافة فيكم وبنو أمية صاغرون رغام

ويقول :

أنتم بني عم النبي عليكم من ذي الجلال تحية وسلام
ورثتموه وكنتم أولى به إن الولاء تحوزه الأرحام

وقال السيد الحميري كذلك في حضرة المنصور : (١٠)

ان الاله الذي لا شيء يشبهه أعطاكم الملك للدنيا وللدين
أعطاكم الله ملكاً لا زوال له حتى يقاد إليكم صاحب الصين

وصرح المنصور قائلاً(١١) :

يا أمين الله يا منصور يا خيرالولاة .

وقال أشجع في الرشيد(١٢) :

إلى ملك يستغرق المال جوده مكارمه نثر ومعروفه سكب

ومدح الحسين بن الضحاك المأمون(١٣) :

فأنت خليفة الرحمن حقاً جمعت سماحة وجمعت ديناً

وقال العماني وهو يؤمل الخيرالكثير من الدولة الجديدة (١٤) :

قد دفع الله رماح الجن وأذهب العذاب والتجني

ولكن أصوات الاستياء وخيبة الأمل ربما كانت أشد وقعاً وأكثر تأثيراً من أصوات المدح والثناء فهؤلاءالمداحون الذين كانوا يرجون النفع من الخلفاء الجدد بالغوا في مدحهم الذي ربما صدر عن غير عقيدة أو اقتناع خاصة وأن بعضهم كالسيد الحميري مثلاً عاد فهاجم العباسيين (١٥) .

قال سليم العدوي يسخر من الوضع القائم :

حتى متى لا نرى عدلاً نسر به ولا نرى لولاة الحق أعواناً
مستمسكين بحق قائمين به إذا تلون أهل الجور ألوانا
يا للرجال لداء لا دواء له وقائد ذي عمى يقتاد عمياناً

وقال أبو عطاء السندي :

يا ليت جور بني مروان عاد لنا يا ليت عدل بني العباس في النار

وقال السندي أيضاً :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم   فقد قام سعر التمر صاعاً بدرهم

وقال آخر :

ما أحسب الجور ينقضي وعلى النا   س أمير من آل عباس

وقال أبو دلامة :

وكنا نرجى في أمير زيادة   فزاد لنا فيها بطول القلانس

وقال دعبل الخزاعي منددأ بظلم العباسيين للعلويين :

أرى أمية معذورين إن قتلوا   ولا أرى لبني العباس من عذر

وقال أيضاً :

ألم تر للايام ما جرّ جورها   على الناس من نقص وطول شتات
ومن دول المستهترين ومن غدا   بهم طالباً للنور من الظلمات

وقال :

وقام إمام لم يكن ذا هداية   فليس له دين وليس له لب
وما كانت الأنباء تأتي بمثله   يملك يوماً أو تدين له العرب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة   ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم   وصيف واشناش وقد عظم الكرب

وهجا السيد الحميري المهدي العباسي قائلاً :

تظنا أنه المهدي حقــاً   ولا تقع الأمور كما تظنا
لا والله ما المهدي إلا   إماماً فضله أعلى وأسنى

وقال بشار بن برد يتمنى عودة بني أمية بعد كل ما ذكره في مدح العباسيين

بني أمية هبوا طال نومكم   إن الخليفة يعقوب بن داود

وقد ردّ منصور بن جعونة الكلابي على المنصور حين خطب بأهل الشام قائلاً «يا أهل الشام احمدوا الله الذي أذهب عنكم الطاعون في دولتنا» فأجابه الكلابي « إن الله أعدل من أن يسلط علينا الطاعون والعباسيين معاً »(٦١) ومع اعتقادنا بأن الشعراء يتقلبون في ولائهم ويبدلون من آرائهم ما داموا يحتاجون

إلى العيش إلا أن الذي دفعهم إلى الافصاح عن وجهة النظر هذه أو تلك إنما يدل على وجود كتلة أو جماعة تدين بهذه الآراء وتدافع عنها وتحتاج هذه الكتل المعارضة وكذلك السلطة العباسية إلى الشعر لأنه يوثق مكانتهم السياسية . فلقد أذكت الثورة العباسية الأمل في نفوس العامة من الناس الذين اعتقدوا بأن الدعاة سيطبقون الشعار الذي رفعوه أثناء الدعوة والقائل « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين[١٧] » فراحوا يأملون بأن الثورة ستحقق لهم مستقبل أفضل وان ابن الحارثية المنقذ العباسي سيملأ الأرض عدلاً وخيراً . على أن آمالهم خابت ولذلك انطلقوا يبحثون عن منقذ جديد يكون رمز أملهم ومحط طموحهم فرأت الشيعة العلوية ذلك المنقذ في المهدي العلوي محمد ذي النفس الزكية ورأت الشيعة الأموية ذلك المنقذ في السفياني المنتظر . أما الفرس فثاروا على العباسيين ورفعوا شعار الثأر لأبي مسلم رمزاً لمعارضتهم وجعلوا من أبي مسلم منقذاً منتظراً سيخلصهم من الجور العباسي .

* * *

على أننا بإمكاننا أن ندرك بوضوح أصالة الثورة العباسية من حيث كونها عباسية في قيادتها وعقيدتها من ردود الفعل التي حدثت في أعقابها ونقصد بردود الفعل تلك الحركات التي قادتها عناصر الثورة المضادة سواء تلك التي انقلبت على الثورة بعد نجاحها أو حركات المعارضة العلوية أو الأموية أو الفارسية أو الخارجية .

كما وأننا سنلاحظ بأن التغيرات التي نتجت في أعقاب الثورة كانت بعيدة المغزى . ولكنها لم تحدث بين عشية وضحاها وإنما استغرق تبلورها فترة طويلة من الزمن كما وأن بعض هذه التغيرات تمتد جذورها إلى أواخر عهد الأمويين فزادتها الثورة العباسية زخماً وقوة وقدرة على التبدل السريع .

ولا شك أن الحاجة إلى التغيير والرغبة في تبديل الأوضاع بدأت في أواخر

عهد الأمويين أي في الفترة التي تسبق الثورة حيث تكون المبادىء والنظم التي يقوم عليها الحكم الأموي معرضة لهجوم عنيف ودعاية مضادة من قبل الدعاة العباسيين . ولكن بداية النهاية تبرز حين يشك أصحاب السلطة في قدرتهم على البقاء أو حين يفقد أعوان السلطان الثقة فيه وتنهار رغبتهم في مساندته ولا أدل على ذلك من قول يزيد بن عمر بن أبي هبيرة لمروان[١٨] :

«وقد رأيت أمير المؤمنين قد حمل أكثر أموره على سوء الظن فيما يعامل به مَن ائتمنه عليها حتى لقد ظننت أنه لم يبق أحد من أعوانه وعوام رعيته إلا أدهشه ذلك منه وخاف بادرته وسطوته .»

كما يقول يزيد بن هبيرة لأبي جعفر :

«وإني لم أزل أتوقع قدوم دولتكم آل البيت»

وفي حصار واسط نادى محمد بن خالد العشري على من كان مع ابن هبيرة من قومه (اليمانية)

«تباً لكم أنسيتم قتل أبي خالد . وتحامل بني أمية عليكم ومنعهم إياكم أعطياتكم ؟ يا بني عم قد أزال الله ملك بني أمية وأدال منهم فانضموا إلى ابن عمكم ... فلمَ تقتلون أنفسكم ؟ ..... فليكن لكم أثر في هذه الدولة» [١٩]

ويذكر الدينوري كيف انحرف زياد بن صالح الحارثي عن ابن هبيرة وانضم إلى العباسيين . وكان زياد الحارثي عامل ابن هبيرة على الكوفة وأحصن أصحابه عنده وكان ابن هبيرة ولاه حراسة مدينته بالليل ودفع إليه مفاتيح المدينة . وقد حاول أحد أقربائه منعه من الانضمام إلى العباسيين قائلاً :

«يا عم إن لابن هبيرة أيادي جميلة وأكره لك الغدر به»

فأجابه قائلاً :

«يا ابن أخي أنا من أشكر الناس له غير أني لا أرى أن أقيم على ملك قد انقضت قواه ووهت عراه . وانا لابن هبيرة اليوم عند أبي جعفر انفع مني له هاهنا وأرجو أن يصلح الله أمره بي وعلى يدي..» [٢٠]

إن صدور هذه الأقوال والأحكام من قبل شخصيات عرفت بمساندتها للدولة الأموية وتبعة مروان الثاني بها ليدل دلالة واضحة على الضعف الذي أصاب كيان الدولة الأموية وعلى الوهن الكبير الذي أصاب عزائم رجال بني أمية وشيعتهم . كما وأن اكتشاف الشيعة العباسية لهذا الضعف والوهن يشجعها على زيادة الاثارة والدعاية ضد الأمويين وكذلك استعمال كافة وسائل الاغراء لكسب أعوان بني أميّة .

ولقد نظمت الثورة العباسية بدقة من قبل محمد العباسي في الحميمة وانضم اليها رجال ذوي مال ونفوذ أمثال أبي سلمة الخلال وأبي هاشم بكير بن ماهان وسليمان بن كثير الخزاعي وهؤلاء رجال عندهم من النبوغ والكفاءة والمال والوقت بحيث يمكنهم من خوض غمار السياسة والصمود أمام تقلباتها . كما استطاع الدعاة كسب ابن الكرماني شيخ قبائل الأزد الخراسانية وتوابعها الذي كان يطمح في نزع السلطة من نصر بن سيار والحصول على ولاية خراسان . وربما لم يدرك ابن الكرماني أنه يعمل من أجل إقامة دولة عباسية حتّى مقتله على يد أبي مسلم الخراساني بل كان همه ينصب إلى إشباع طموحه السياسي والثأر لآل البيت (الهاشميين) .

إن هؤلاء الرجال وغيرهم ممن اشتركوا في الثورة أو ساندوها كانوا رجالاً ذوي مطامح سياسية واسعة ولكن الأوضاع السياسية السائدة في الفترة الأموية كان فيها الكثير من التحديات التي لم تترك لهم مجالاً ولم تعطهم فرصة لتحقيق هذه المطامح ولذلك انضموا إلى الثورة العباسية .

على أن الحركة العباسية ظهرت بواجهات عديدة ورفعت شعارات مختلفة حاولت فيها كسب كل المتذمرين ضد الحكم الأموي فانضم اليها الغلاة والمعتدلين ، المسلمين وغير المسلمين ، العرب وغير العرب . كما أنها استغلت القبائل العربية في خراسان بدرجة كبيرة حيث كون هؤلاء القوة الفعالة في الجيش الخراساني الذي قضى على نصر وزحف نحو العراق والشام . إن هذا التعقيد في الثورة العباسية الذي كان سبب نجاحها الساحق والذي أنتج

الشقاق الشديد في أعقابها هو الذي دفع بالمؤرخين إلى تفسيرات خاطئة عن طبيعة الثورة . فاندفع البعض ، بدافع بيئته والأفكار السائدة فيها ، إلى القول أنها فارسية أو تركية ضد الحكم العربي . واندفع البعض الآخر ليؤكد أنها قامت باسم العلويين من آل البيت وأن العباسيين انقضوا عليها وهي توشك أن تنجح وابتزوها واقتطفوا ثمارها .

إن هذه التفسيرات وغيرها ليس لها أساس من الصحة فالثورة التي نُظمت في الحميمة والكوفة ثم انتقلت إلى مرو واتسعت في قرى خراسان ومدنها كانت عباسية أصيلة في تنظيمها ومبادئها وأهدافها وإنما استطاعت في فترة الاعداد أن تكسب الشيعة العلويين والخوارج والفرس وكان عصبها القوي العرب الخراسانية ، كل ذلك بسبب ما رفعته من شعارات عامة غامضة مثل «الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه» . «الدعوة إلى الرضا من أهل البيت» «الثأر لآل البيت من العلويين» ، «القضاء على أهل الجور» . «يا محمد يا منصور» والآية الكريمة «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقدير» والخ من الشعارات البراقة .

ولقد أعلن الخليفة الأول العباسي أبو العباس أن الحكم عباسي وسيبقى بيد العباسيين حتى آخر الدهر وأعلن تمسكه بالكتاب والسنة وتبرأه من الغلو . وقضى العباسيون على كل من ثار ضدهم بسبب سياستهم الجديدة من راوندية غلاة وعلويين وخوارج وفرس وأمويين . كما وأنهم قضوا على شيوخ القبائل والدعاة الذين افنوا أعمارهم في خدمة هذه الدعوة العباسية وإنجاحها بسبب تخوف الخلفاء العباسيين الأوائل من اتساع نفوذهم وسلطتهم .

ولقد دعا الكُميت الأسدي[٢٢] إلى دولة هاشمية منذ أوائل عهد الأمويين مبشراً الناس بعهدها الزاهر ومن أبياته الشعرية في بني هاشم قوله :

يقولون لم يورث ولولا تراثه   لقد شركت فيه بكيل وأرحب

ويقول :

فقل لبني أمية حيث صلوا   وان خفتَ المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه   وأشبع من بجوركم اجيعا
بمرضى السياسة هاشمي   يكون حياً لأمته ربيعاً

ويقول عنهم :

ساسة لا كمن يرى رعيه النا   س سواءً ورعية الأنعام

هذا ما كان يدعو له شاعرهم قبل أن يتولوا زمام الحكم . على أن دولة الأمويين دالت وظهرت بدلها الدولة الهاشمية يقود زمامها العباسيون فحكموا وساسوا وكتب عنهم مؤرخون يبدون آراءهم في حكمهم . فكتب مؤلف كتاب النبذة يقول «ان الدولة العباسية دولة مباركة ردت الأمور إلى قرارها واسندت القضايا والاحكام إلى خيارها» وكتب ابن الطقطقي في الفخري «كانت الدولة العباسية دولة ذات خدع ودهاء وغدر وكان قسم التحيّل والمخادعة أوفر من قسم القوة والشدة»[٢٣]. أما ابن عذاري فكتب يقول : «وانقطعت دولة بني أمية وكانت على علاتّها دولة عربية لم يتخذوا قاعدة ولا قصبة إنما كان سكنى كل أمير منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل خلافته ولا كلفوا المسلمين أن يخاطبوهم بالعبودية والملك ولا تقبيل يد ولا رجل ... وانتقل الأمر إلى بني العباس . قال ابن حزم في جملة كلامه أيضاً : فكانت دولتهم أعجمية سقطت فيها دواوين العرب وغلبت عجم خراسان

على الأمر وعاد الأمر ملكاً عضوضاً كسروياً . إلا أنهم لم يعلنوا سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم وافترقت في دولة بني العباس دعوة المسلمين وكلمتهم فتغلبت على البلاد طوائف من الخوارج والشيعة والمعتزلة» (٢٤) . وحين يتكلم البلاذري عن الدولة العباسية يدعوها «الدولة الهاشمية المباركة» . أما الجاحظ (٢٥) فيقول «دولة بني العباس أعجمية خراسانية ودولة بني مروان أموية عربية» . أما المسعودي والمقريزي فيريان «انه باستخدام العباسيين للموالي سقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها» (٢٦) .

ولعل في هذه الآراء المؤيدة أو المعارضة الكثير من المبالغة والتحيز وهذا التحيّز ظاهر في رأي مؤلف كتاب النبذة وفي رأي ابن حزم الاندلسي ذي الميول الأموية . أما الجاحظ فربما فسرت عبارته بأكثر مما كان يعنيه هو نفسه حين وصف دولة العباسيين بأنها أعجمية خراسانية . فالوصف صحيح إذا كان ما يقصده من ذلك انها برزت نتيجة ثورة العرب الخراسانية والعجم وأن سياستها كانت أممية شاملة أي أنها نظرت نظرة واحدة إلى المسلمين كافة من مختلف الشعوب . كما وأن الجاحظ ربما عنى في قوله هذا ازدياد التأثيرات الحضارية الايرانية في الدولة العباسية التي نبعت من خراسان وكان اتجاهها الحضاري شرقي (نحو العراق وايران) لا غربي نحو الشام أو حضارة البحر الأبيض المتوسط . وعلى ذلك فالجاحظ ربما كان في تفسيره هذا مدفوعاً بواحد أو أكثر من العوامل التالية :

(١) ربما كان مدفوعاً بالاهمية السياسية الجديدة التي تمت تدريجياً لسكان ايران المسلمين والتي تبلورت أكثر في فترة الجاحظ

(٢) أو بسبب تضاؤل التمييز بين العرب وغير العرب في الدولة العباسية الاممية وكان هذا التمييز يتضاءل كلما تقادمت الدولة .

(٣) أو بسبب ازدياد الامتزاج والتزاوج بين العرب والفرس ودخول الدم غير العربي في عائلات عربية معروفة ولا يستثنى من ذلك الخلفاء العباسيين حيث كان أكثرهم أبناء أمهات ولد .

(٤) أو بسبب التفوق العسكري للأقاليم الايرانية كما أظهرتها الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون . وكان أغلبية أعوان المأمون من العجم رغم وجود العرب أيضاً بين أنصاره أيضاً .

(٥) أو بسبب كثرة الاحداث من ثورات وحركات زندقة في الاقاليم الفارسية والتي شغلت الدولة في هذه الفترة .

(٦) وربما كانت ملاحظته بسبب انتشار المظاهر والمراسيم الفارسية في البلاط والمجتمع العباسي ، من انعزال الخليفة عن الرعية ومراسيم البلاط ووجود الجلاد وغيرها من المظاهر التي تؤكد سلطته واستبداده .

أما رأي المسعودي ومن نهج نهجه من المؤرخين فهو لا ينطبق على عهد أوائل العباسيين بل ربما يُعتبر رأي مبالغ فيه حتى في عهد المعتصم العباسي (٢١٨ هـ – ٢٢٧ هـ) حيث أن قوة العرب والابناء الخراسانية وأهل بغداد أجبرت الخليفة المعتصم على الانتقال بجنوده إلى سامراء . ولذلك فإن آراء المستشرق بيكر بأن انتصار الفرس على العرب تم بانتصار العباسيين ، أو المستشرق ولهاوزن الذي يقول بأن حكم العرب انتهى بمجيء العباسيين آراء مبالغ فيها . ولعل ما سنذكره الآن من خطوط عريضة للمظاهر السياسية والحضارية للعصر العباسي الأول يوضح مدى المبالغة في هذا الرأي .

فمن الناحية السياسية قامت الثورة العباسية على أكتاف عرب خراسان باعتبارهم القوّة الضاربة للجيش الخراساني ، وكان الخلفاء العباسيون عرباً ينتسبون إلى العباس عم الرسول (ص) من جهة الأب . وقد حفل البلاط العباسي بالمفاخرات وتاريخ العرب وأيامهم كما شجع الخلفاء أنفسهم هذه المجالس . وبقيت اللغة العربية اللغة الرسمية في الدواوين والإدارة والمجتمع والأدب .

وكان من أبرز الكتل السياسية التي ظهرت في العصر العباسي الأول هي كتلة الهاشميين ويقصد بها العباسيون الذين اعتمد عليهم الخلفاء في المهمات

الصعبة والمواقف الحرجة . ثم كتلة الصحابة أي صحابة الخليفة وهم كما تؤكد الروايات التاريخية في غالبيتهم من العرب الذين صبغوا البلاط العباسي بصبغة عربية . ثم كتلة العرب وهم من القادة والولاة وشيوخ القبائل الذين كسبتهم السلطة العباسية لتكسب من ورائهم قبائلهم . ولقد استعمل المنصور العصبية وآثارها بين بعض القبائل القوية كي يضرب بعضها ببعض فتنكسر شوكتها كما وانه نجح في كسر الحلف بين الازد وربيعة . ثم كتلة «الموالي» وهؤلاء كما يؤكد الجاحظ كانوا موالي الخليفة والدولة العباسية الجديدة ولذلك فإن ولاءهم وإخلاصهم كان مرتبطاً بالخليفة العباسي لا بجنس معين أو فرقة سياسية معينة . ولقد ميّز الجاحظ بين الموالي من جهة وبين العجم والعرب من جهة أخرى وهذا يوضح أن كتلة الموالي كانت تدين بالإخلاص للدولة الجديدة وترتبط بها وتميز نفسها عن العرب والعجم على السواء . وهذا يعني بأن التنظيم السياسي للدولة الاسلامية لم يتحول إلى تنظيم فارسي يسيطر عليه الفرس بل تحوّل تدريجياً من عربي إلى أممي أي أن الانسان الاساس الذي استندت عليه الدولة الجديدة لم يعد يستنير على الأصل الواحد للاستقراطية العربية الحاكمة كما كان في عهد الأمويين بل العقيدة المشتركة (الاسلام) (٢٧) .

ولقد كان مجيء العباسيين إلى الحكم نقطة تحوّل في نظام الخلافة . فقد بنى العباسيون ادعاءهم بالحكم على (حق القرابة) حيث قال أبو العباس : «وخصّنا الله برحم رسول الله (ص)» وعلى حق الحرمة حيث قال المنصور «ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين إخوته ... فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام ... ولقد علمت انه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي (ص) غيره فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده : فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده .. » (٢٨)

وكان من شعارات الثورة العباسية «الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه» وقد

ادعى الخلفاء العباسيون أنهم جاؤوا لإحياء السنة فتقربوا إلى أصحاب السنة والحديث وقربوا الفقهاء ليجعلوا حكمهم يستند إلى الشرعية على عكس الأمويين الذين أخذوا العرف والتقاليد العربية بنظر الاعتبار . وتظهر الصبغة الثيوقراطية في مراسيم الخلافة الدينية فصارت بردة الرسول من شارات الخلافة . ولقب الخلفاء الراشدون أنفسهم بلقب «امام» وهو لقب ذو صبغة دينية . كما ادعوا أنهم «خلفاء الله» في الأرض وان الله أرجع إليهم السلطة التي يستحقونها وفرض على الناس طاعتهم باعتبارهم «آل البيت» فقال المنصور في خطبة له في الحجاز «أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه فسلوه أن يوفقني للرشاد والصواب وأن يلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم» (٢٩). وهكذا فليس هناك شورى أو موافقة من زعماء وشيوخ الأمة بل على الناس طاعة «السلطة المقدسة» . لقد تحول الخليفة من شيخ عربي يحكم بموافقة ومشورة الارستقراطية العربية إلى شخصية اوتوقراطية ذات سلطة تستند إلى الحق الالهي المقدس يدعمها جيش منظم وتنفذ أوامرها طبقة كبيرة من الموظفين .

على أن الخليفة العباسي كان يختلف عن الملوك المستبدين في الشرق فلم تكن لديه طبقة رجال دين ولا نبلاء اقطاعيين تعزز حكمه . ومن أجل أن يعوض الخليفة العباسي عن هاتين الدعامتين وكذلك رابطة العروبة التي بدأت تحل محلها بصورة تدريجية الأممية الاسلامية أكد الخليفة على الاسلام والعمل بكتاب الله وسنة نبيه على أمل أن تتوحد الامبراطورية الأممية تحت وحدة العقيدة والثقافة ، مؤكداً سلطته الدينية برعايته للفقهاء وأهل الحديث (٣٠) . وأصبح من واجبات الخليفة حماية الأمة الاسلامية والجهاد ضد «دار الحرب» والمحافظة على الرعية من الفرقة والزندقة وتطبيق المبادىء التي وردت في الشريعة المستندة على القرآن والسنة مفسرة من قبل مفسرين ثقاة مقبولين . وعلى هذا فلم يكن الخليفة من الناحية القانونية حراً لكي يضيف أو ينقص

مبادىء الشريعة كما لم يكن في موقف يستطيع فيه أن يفسرها حسب رأيه . فالخليفة هو الضامن لتطبيق الشريعة ليس إلا [٣١] .

وأصبحت ولاية العهد وراثية من اختصاص الخليفة الذي له أن يستشير أو لا يستشير . أما الشعب فعليه المبايعة على الولاء للخليفة الجديد . ولذلك فإن أسطورة الانتخاب كانت صحيحة إذا عنينا بها ضرورة أخذ البيعة من الناس وتأمينها للخليفة الجديد الذي عينه الخليفة السابق . ولقد ابتدع العباسيون منصب الوزارة الذي لم يكن موجوداً في العصر الأموي ولا شك فإن ادعاء العباسيين بأنهم أصحاب الحق الشرعي وممثلي السنة والجماعة دفعهم إلى اختيار هذا الاصطلاح القرآني للدلالة على الساعد الأيمن للخليفة كما وان التقاليد الثيوقراطية التي تبنتها الخلافة العباسية لعبت دورها في بلورة هذا المنصب الجديد . ولقد تطور منصب الوزير الذي بدأ كمشاور أول للخليفة بين الخليفة الذي عزل نفسه في مدينته وداخل بلاطه وبين الرعية [٣٢]

ولقد وجد هذا المنصب في الدولة الساسانية قبل آن تقرر آسسه وقواعده في الدولة العباسية على أنه من الصعب التقرير فيما إذا كان هذا المنصب تقليداً حضارياً للساسانيين . وقد بالغ بعض المؤرخين حين ظنوا أن المناصب الإدارية العليا كانت قسمة بين العرب والفرس وبمعنى آخر وجود خطة مرسومة على أن تكون الخلافة عربية والوزارة فارسية مستندين على كون أغلب الوزراء العباسيين الأوائل كانوا من الموالي الفرس والواقع فان اختيار الخلفاء العباسيين لوزرائهم لم يكن مستنداً على خطة مسبقة ولم تكن الوزارة احتكاراً للفرس بل كان اختيار الوزراء من الموالي المرتبطين بالخلافة العباسية والمعروفين باخلاصهم وكفاءتهم . وكان بعضهم مثل الربيع بن يونس من الرجال المغموري النسب . وكثيراً ما حدث التنافس بين الموالي أنفسهم على منصب الوزارة كالذي حدث بين أبي عبيدالله معاوية ويعقوب بن داود والربيع بن يونس . والملاحظ أنه كان بمقدور الخليفة التنكيل بهم حتى يتعاظم نفوذهم كما حدث

لأبي سلمة الخلال ولأبي أيوب المورياني وليعقوب بن داود والبرامكة .

وكان مجيء العباسيين للسلطة فاتحة عهد جديد في النظم العسكرية ونقطة تحول في تاريخ الجيش الاسلامي . ويعتبر الجيش العباسي أول جيش نظامي في الاسلام . فكان الجند المقاتلة ينتظمون فيه ومهمتهم الرئيسية الحرب والدفاع عن الدولة ضد الخطر الخارجي والثورة الداخلية . ومقابل ذلك تعنى الدولة بتدريبهم وتخصيص الرواتب والارزاق لهم . وقد بقي (اهل خراسان) وحدة عسكرية واحدة في الجيش العباسي يرتبطون برابطة الاقليم بغض النظر عن قبائلهم ويتمسكون بالولاء للدولة العباسية (دولة أهل خراسان) فحين انتصرت الثورة العباسية سجل أبو مسلم الشيعة العباسية في أول ديوان للعباسيين في خراسان حسب قراهم أو مدنهم لا حسب أنسابهم أو قبائلهم . ومن هذا نستنتج بأن الدولة الجديدة شعرت بأهمية وجود الترابط والانسجام بين المقاتلة الذين يدعمون الدولة بحيث تبقى كتلة واحدة صلبة تسند النظام العباسي الجديد .

على أن العباسيين نظموا وحدات عسكرية أخرى مستندين على القبائل فكان هناك الفرقة اليمانية والفرقة الربيعية والفرقة المضرية وهذا يدل على ان الجيش كان لا يزال أغلبه عربياً . كما وأن قيادة الجيش ظلت في أيدي عربية . أما في الإدارة والدواوين فلقد استخدم العباسيون العرب وغير العرب دون تمييز بينهم . والملاحظ أن أغلب ولاة الاقاليم كانوا من العرب في العصر العباسي الأول . أما في الدواوين فكان من سياسة العباسيين خلق طبقة من الموظفين «الكتّاب» وكان غالبية هؤلاء الكتاب من الموالي الذين يدينون بالاخلاص إلى الدولة الجديدة . والجدير بالذكر أن العباسيين لم يبدأوا سياسة استخدام الموالي في الإدارة والدواوين ، بل ان الأعاجم استخدموا في الأعمال الادارية منذ الفتح الاسلامي وبدرجات متفاوتة فكان منهم موظفو الدواوين المحلية كديوان الخراج والجيش وبيت المال وأعطي أمر جباية الضرائب

للدهاقين الفرس باعتبارهم أعرف من العرب بأمور السكان المحليين وثرواتهم، وعين بعضهم عمالاً أو ولاة في المدن غير العربية (٤٤) . ورغم وجود الطابع العربي المميز للادارة الأموية فإن استخدام الموالي في الأعمال الادارية كان يتزايد باطراد . وقد أدرك العباسيون ازدياد نفوذ الأعاجم في الدولة وقاموا بمحاولات جدية لتأكيد الطابع العربي للدولة الاسلامية . ومن هذه المحاولات التأكيد على اللغة العربية في الادارة وتشجيع الأدباء العرب عن طريق عقد ندوات في البلاط تلقى فيها أشعار الحماسات والمفضليات والمختارات . كما وانهم حفوا أنفسهم بالصحابة العرب وبالأنصار العرب . وحرصوا على تأديب أبنائهم بالثقافة العربية الأصيلة وخاصة أولياء العهد منهم . والأهم من ذلك ما تذكره بعض الروايات التاريخية من تشجيع الخلفاء العباسيين للعناصر العربية بالاستيطان في بغداد بعد تأسيسها وكان لهذا الاجراء أثره في طبع بغداد بطابع العروبة . ثم ان العباسيين حاولوا تطبيق المركزية الادارية (٣٤) كعلاج للانحلال الاداري الذي ورثوه من العهد الأموي . وقد تحسن العمل في الدواوين بفضل التخصص وانتظمت واستقرت الأعمال الادارية بفضل استحداث عاصمة دائمية . والمعروف ان الأمويين لم يستقروا في عاصمة دائمية ثابتة وكان كل خليفة يختار مستقراً له تبعاً لذوقه وكانت هذه العاصمة خارج المدن الكبيرة . ولكن هذه البدايات المبشرة لم تؤد إلى القوة الإدارية لفترة طويلة بسبب سعة الدولة وبسبب قوة الميول الانفصالية العميقة الجذور في الأقاليم المترامية الأطراف وبسبب عدم وجود تلك الكتلة القومية أو الطبقة الاجتماعية القوية التي ترتبط مصالحها بدوام الدولة واستمراريتها .

ولقد بدأت تغيرات إدارية كثيرة في عهد الأمويين دعت الحاجة إليها على أن مجيء العباسيين زاد من سرعتها .

ولقد أوجدت الثورة العباسية وعياً جديداً وإدراكاً حاداً لدى الناس فظهرت تيارات فكرية جديدة ذات اتجاهات مختلفة منها التيار الذي يدعو

إلى إدخال مظاهر الحضارة الفارسية إلى المجتمع الاسلامي وإلى التشكيك بالقيم والتقاليد العربية وبدور العرب التاريخي وحتى بأنسابهم وخصائصهم وفضائلهم . وكان العصر العباسي الأول هو العصر الذي بدأ فيه يتعرضون لتحديات خطيرة تمس كيانهم بالذات . وقد مثل هذه الحركة مثقفون وشعراء وأدباء أمثال ابن المقفع وأبان بن عبد الحميد اللاحقي وابن وحشية وعلان الشعوبي وسهل بن هارون وسعيد بن حميد البختكان والجهمي وبشار بن برد وغيره من الشعراء المجان . وتعرف هذه الحركة بالشعوبية ولها ارتباط كبير بالزندقة . وقد وقف العباسيون الأوائل موقفاً حازماً من هذه الحركات لأنهم أدركوا بأن هدفها النيل من العروبة والإسلام في آن واحد . كما انبرى لها كتاب وأدباء مشهورين أمثال ابن قتيبة والجاحظ والتوحيدي والثعالبي وغيرهم . على أن أحسن مَن يصور موقفهم الجاحظ حيث يذكر موقفهم من الشخصيات العربية فيقول : (٣٥)

« فإن استرجع أحد أصحاب الرسول (ص) فتل عند ذكرهم شدقه ولوى عن محاسنهم كشحه وان ذكر شريح جرحه وان نعت له الحسن استغله وان وصف له الشعبي استحمقه وان قيل له ابن جبير استجهله وان قدم عنده النخعي استصغره ، ثم يقطع ذلك من مجلسه سياسة . (ردشير بابكان وتبرير انو شروان واستقامة البلاد لآل ساسان » .

وكان هدف الخليفة المنصور من بناء بغداد هو جعلها معسكراً للخراسانية ومركزاً لدواوين الدولة . ولكن انتقال العباسيين إلى العراق كان يرمز إلى انتصار أهل العراق وبالتالي أهل خراسان على أهل الشام . كما وأنه يشير إلى ازدياد أهمية الأقاليم الشرقية كالعراق وفارس على الشام من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية . ويظهر ذلك جلياً من اهمال العباسيين للولايات الغربية واهتمامهم بالولايات الشرقية .

ان هذا الاتجاه نحو الشرق والاهتمام به كان لا بد وان يحدث حركـة

انفصالية في الأقاليم الغربية بصورة مبكرة فاستقل الأمويون في الأندلس ٧٥٦ م والأدارسة في مراكش ٧٨٨ م والاغالبة في تونس ٨٠٠ م . وكان استقلال الاقاليم في الأغلب بقيادة والي أو أمير يعني زيادة الاستقرار والازدهار في ذلك الاقليم .

وقد غدت بغداد في عصرها الذهبي في عهد العباسيين الأوائل مجمعاً للعلوم والفنون والآداب ومركزاً للترف المادي والرفاه الحضاري في العصور الوسطى وقد ساعد على ذلك بطبيعة الحال توفر الاستقرار السياسي فانتعشت الحضارة في ظلاله .

ذلك لأن الرفاه الاقتصادي والاستقرار أوجد طبقة من المثقفين الذين يمتلكون الوقت والذوق وحب الاستطلاع والرغبة في التتبع . وبدأت النهضة الفكرية بترجمة علوم الأوائل وخاصة العلوم والفلسفة الاغريقية والهندية والآداب الفارسية . وقد أدت حركة الترجمة إلى رد فعل لدى المثقفين المسلمين التقليديين فردوا عليها واغنوا اللغة العربية بثقافات وأفكار جديدة . على ان هذه النهضة اقتصرت على المدن وعلى طبقة معينة فيها . (٣٧)

ووصلت حضارة بغداد قمة مجدها في عهد الرشيد والمأمون والمعتضد ويذكر ان سكانها بلغوا حوالي المليون نسمة وامتدت عمائرها امتداداً متلاصقاً. وكثرت فيها المدارس والمعاهد والمكتبات والمستشفيات والمعامل وكانت الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى حضارة أممية حملت مظاهر وسمات جميع الشعوب التي ضمتها الدولة الإسلامية وكانت نتاج المزج بين مؤهلاتهم المختلفة. ولقد بالغ ابن خلدون حين قال بأن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم فلقد شارك في بناء الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي العرب وغير العرب الذين ضمتهم الدولة العباسية وشجعهم الخلفاء العباسيون العرب على الكتابة باللغة العربية وعاشوا في بغداد والكوفة والبصرة وغيرها في بيئات عربية وتثقفوا بثقافات عربية . ولم يكن العلم حكراً على الشعب دون غيره فهو لا يعرف الحدود ، كما وان أصالة وحيوية الحضارة العربية تتمثل في كونها

بودقة انصهرت فيها تجارب الشعوب التي سبقتهم من أراميةوسريانية وهيلينية وساسانية وبيزنطية . ولعل أحسن مثل على انسانية الحضارة البشرية هو ما قاله الشاعر العربي العُتّابي في القرن التاسع الميلادي حين سافر إلى ايران ليتعلم الفارسية ويدرس الأدب الفارسي معلناً بأن للعرب لغة فصيحة ولساناً بليغاً وللفرس الأفكار والأراء النيرة . على أننا نجد الشاعر الفارسي أبا السعود الرستمي يعلن بأنه فارسي استعرب لأنه ينشد ويعبر عن نفسه بلغة الضاد البليغة .

ولقد أدى الأزدهار الحضاري والرفاه الاقتصادي إلى تغيرات اجتماعية مهمة . وقد حلّ محل طبقة المحاربين العربية التي تحكمت في عهد الأمويين بصورة تدريجية طبقة متنفذة جديدة تتكون من أصحاب الأراضي والموظفين (الطبقة البيروقراطية) والتجار ورجال الدين والقادة والكتّاب . وتحولت الأمصار من مراكز عسكرية هجومية إلى مراكز حضرية تتمثل فيها الحضارة المزدهرة والأسواق العامرة بالبضائع . ولا غرو فقد كان هذا هو العصر الذهبي الذي تتكلم عنه روايات ألف ليلة وليله . عصر الحضارة الغنية التي كانت نتاج شعوب متنوعة وتجارب عديدة .

ولقد وُصفت الثورة العباسية من وجهة النظر الاجتماعية الاقتصادية بأنها « ثورة بورجوازية » أي أنها تعبير عن تذمر الطبقة المتوسطة التي بدأت تظهر في المدن والمراكز الحضرية وتكتسب الثروة والسلطة متذمرة . فلقد كان رأس المال يستغل بدون قيود في الدولة المترامية الأطراف الكثيرة الموارد والخيرات وخاصة الذهب والفضة وقد أدى ذلك إلى ظهور طبقة تجار جديدة من عرب وغير عرب وحتى غير مسلمين استفادت من الفرصة المواتية وجمعت الثروات الطائلة . وكان الطلب يزداد على البضائع الضرورية والكمالية من البلاط والطبقات الموسرة التي أظهرت ذوقاً رفيعاً وتأنقاً راقياً في المأكل والملبس والمسكن . على ان هذه الطبقة المتوسطة ذات الذوق والثروة لم تكن وليدة العهد العباسي فلقد كانت قد برزت في أواخر عهد الأمويين على ان التغير العباسي قد أسرع في نموها وبلورتها وزاد من فعاليتها المدنية ونشاطاتها الحضارية.

ولقد كان للدولة موارد ثروة كبيرة من حنطة وشعير ورز وتمور وزيتون وفواكه وغيرها . ولها موارد مائية عديدة . كما كانت تمتلك الثروة المعدنية كالذهب والنحاس والحديد والفضة والأحجار الكريمة واللؤلؤ والخشب .

كما حسّن العباسيون نظام الري والزراعة وابتدعوا طريقة المقاسمة للتخفيف عن كاهل الفلاحين وهذا أدى إلى زيادة الانتاج .

وفي حقل الصناعة كانت الصناعة الرئيسية هي صناعة المنسوجات وكانت تنتج بكميات كبيرة في كل انحاء الدولة للاستهلاك الداخلي والتصدير . وكان الكتان يصنع في مصر خاصة . ويزرع القطن في شرقي فارس ثم انتشرت هناك إلى كل الأقاليم . وكان يصنع الحرير في فارس . أما الملابس والسجاد فكان يصنع في كل مكان من الدولة. وقد انتشرت صناعة الورق(٣٩) في عهد العباسيين وجلبت معها ثورة ثقافية كبيرة أدت إلى انتشار الكتب في كافة حقول المعرفة تلك الكتب التي ترجمت بعدئذٍ إلى اللغات الأوربية وساهمت في نهضة أوربا والعالم .

انتهى

حواشي الخاتمة

(١) انظر مثلا برنارد لويس ، **العرب في التاريخ** ، (بالانكليزية) ، ص ٨٠ ، طبعة لندن ١٩٥٨

E.H. Carr, *The Bolshevik Revolution* 1917 — 1923. London 1966. —
A. Good *uin The French Revolution*, London 1966.

(٢) ابن عساكر ، **تاريخ دمشق** ، ج ٦ ، ص ٧٦—٧٧ .

(٣) الجاحظ ، **النابتة** ، باريس ، ١٨٩٦ ، ص ١١٥—١١٨

(٤) بشار بن برد : **ديوان** ، تحقيق العلوي ١٩٦٣ .

(٥) الاصفهاني ، **الاغاني** ، ج ٤ ، ص ٩٥—٩٦ .

(٦) رفاعي ، **عصر المأمون** ، ص ٢٩٢ .

(٧) الاصفهاني ، **الاغاني**، ج ٧ ، ص ٧ .

(٨) العاملي ، **اعيان الشيعة** ، ج ١٢ ، ص ١٧٣ .

(٩) العاملي ، op. cit ج ١٢ ص ١٧٣—١٧٤ .

(١٠) الاصفهاني ، op. cit ج ٧ ص ١٦ .

(١١) op. cit ج ٧ ، ص ١٧ .

(١٢) op. cit ج ١٧ ، ص ٣٠ .

(١٣) op. cit ج ٦ ص ١٧٢ .

(١٤) الجاحظ ، **الحيوان** ، ج ٦ ص ٢١٩ .

(١٥) عن هذه الابيات انظر : الاغاني (الفهرست) .
(١٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، III ، ص ٣٩١ .
(١٧) سورة القصص ، القرآن الكريم ، ٢٨ ، ١–٦ .
(١٨) راجع الرسائل cupra .
(١٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٦٨ .
(٢٠) الدينوري ، op· cit، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٧١ .
(٢١) B. Lewis, Government, society..., *C.M H.*, new. ed., 1966, chapt. XV, p. 641.
(٢٢) الاصفهاني، op. cit ، ج ١٥ ص ١١٣ . — ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ١٣٩ . — الكميث الهاشميات ، ليدن ١٩٠٤ ، ص ١١ .
(٢٣) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٢٧ .
(٢٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ليدن ١٩٤٨ ، ص ٦٣–٦٤ .
(٢٥) راجع : الجاحظ — البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .
(٢٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٧ ، ص ٢٩١–٢٩٢ . — المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ١٤ . — ابن خلدون . المقدمة ، ص ٤٦٢–٤٦٤ ، ٢٤٥ ، ٥٠٨ .
(٢٧) B. Lewis, Muslim civilization..., *C.M.H.*, chapt. XVI, p. 662.
(٢٨) انظر ملحق رقم (١٢) في آخر الكتاب .
(٢٩) ابن عبد ربه — العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ .
(٣٠) B. Lewis, Government ..، *op. cit, p.* 642
(٣١) B. Lewis, Muslim civilization, *op. cit, p,* 666
(٣٢) انظر المقدمة في مقالة : فاروق عمر ، يعقوب بن داود ، مجلة كلية الآداب ، ١٩٦٨–١٩٦٩ . — راجع كذلك
B. Lewis, Muslim civilization.., *bp. cit, p.* 666.
(٣٣) راجع : الدوري . الجذور التاريخية الشعوبية ، بيروت ، ١٩٦٠
Gibb, Government and Islam..., *E. d'Islam*, VIII, 1961-1962. — F. Omar, The Composition..., *B.C.A.*, 1967. —
(٣٤) B. Lewis, Muslim civilization, *C.M.H.*, *op. cit,* p. 664

(٣٥) الجاحظ ، ثلاث رسائل (تحقيق فنكل) ، ص ٤٢–٤٣ .

(٣٦) B. Lewis, Muslim civilization, *C M H* , *op cit p*. 666

(٣٧) Mitz, Die Renaissancedes Islam, Heidelberg, 1922،

(الترجمة العربية ، الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري) .

B. Lewis, Government .., *op. cit*, p. 650.

(٣٨) B. Lewis, Muslim civlization,.. *op. cit.*, p. 666

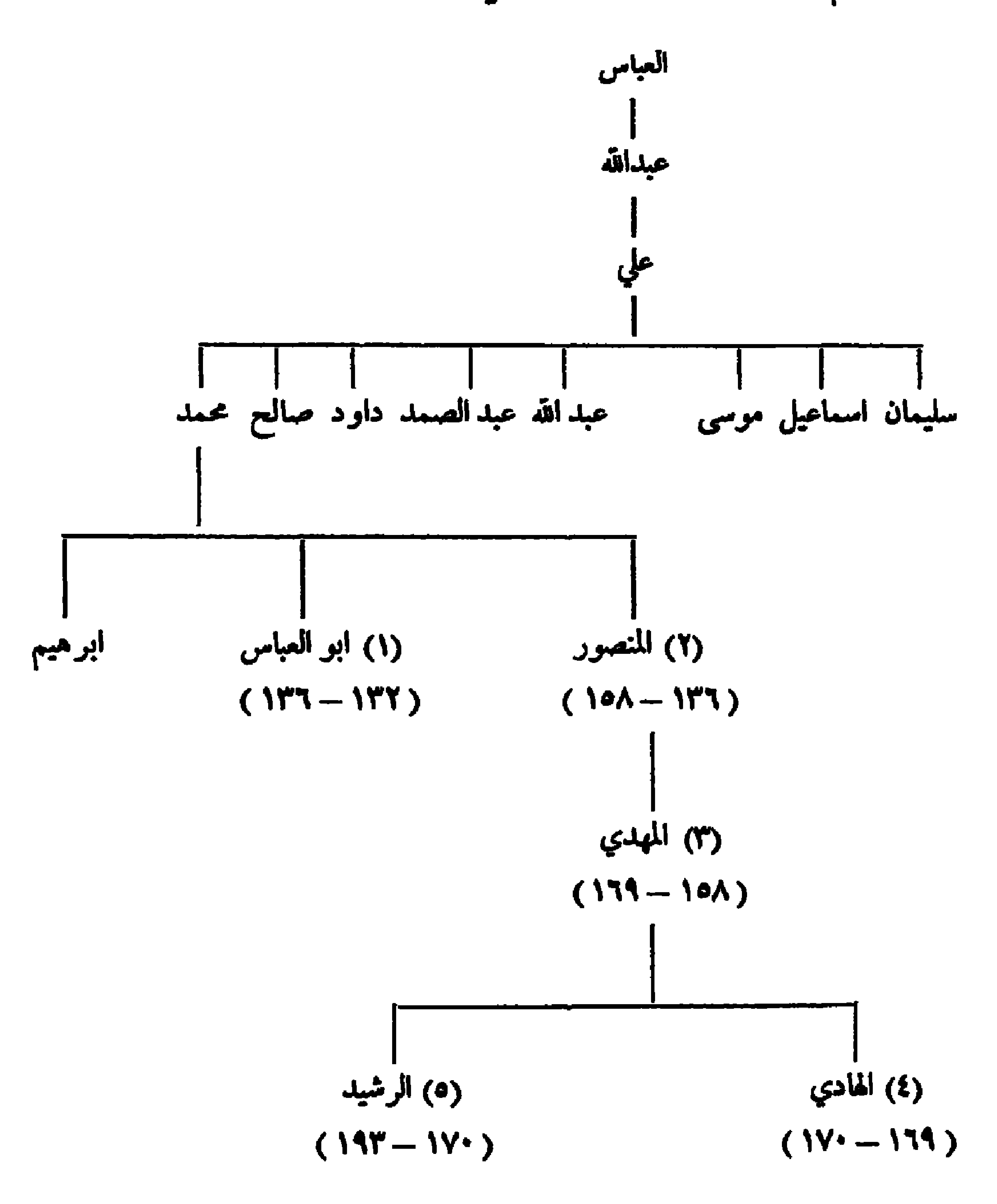
(٣٩) B. Lewis, Government.., *op. cit*, p. 664.



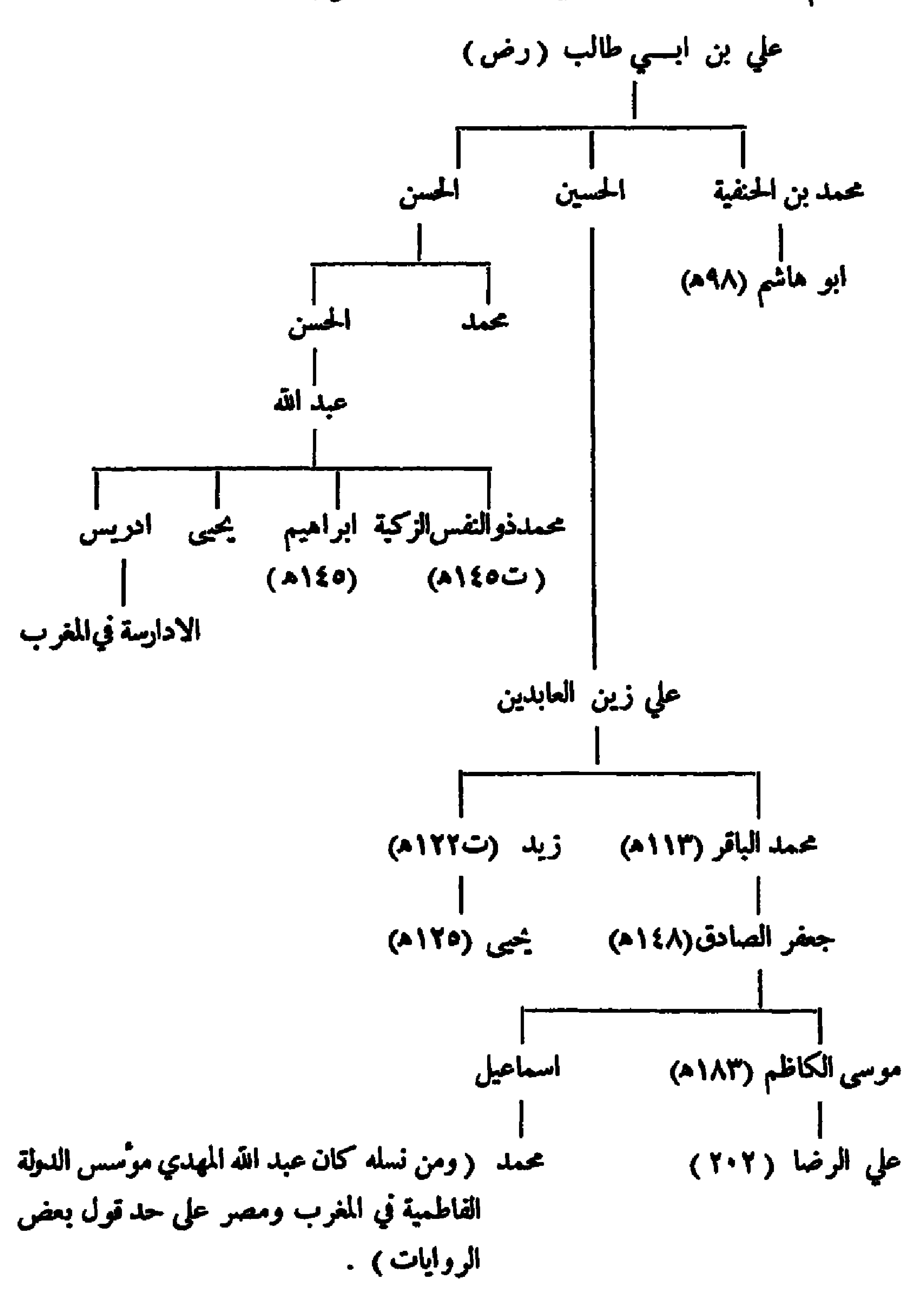
ملاحق الكتاب

ملحق رقم (١) شجرة النسب العباسي .
» » (٢) شجرة النسب العلوي .
» » (٣) تسمية نظراء النقباء .
» » (٤) تسمية دعاة الدعاة .
» » (٥) أسماء الدعاة العباسيين السبعين .
» » (٦) نص تاريخي يدل على اصالة الدعوة العباسية .
» » (٧) بعض الدلائل التي تثبت عروبة الثورة العباسية .
» » (٨) نص الراوية التي يوردها البلاذري عن ثورة عبد الجبار الأزدي .
» » (٩) خطبة أبي العباس يوم بيعته في الكوفة .
» » (١٠) نص الأمان الذي أعطاه أبو جعفر ليزيد بن عمر بن هبيرة في واسط .
» » (١١) نص ما دار بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني في المقابلة الأخيرة بينهما كما يوردها الطبري .
» » (١٢) الرسائل المتبادلة بين الخليفة أبي جعفر المنصور ومحمد بن عبدالله (ذو النفس الزكية) .
» » (١٣) قائمة بأسماء العرب الخراسانية الذين تلقبوا بألقاب فارسية .
» » (١٤) أسماء مشاهير الموالي في أوائل عهد العباسيين .
» » (١٥) المبالغة في اظهار دور أبي مسلم الخراساني .
» » (١٦) أهمية دور العرب وخاصة من أهل خراسان في النزاع بين الأمين والمأمون .

ملحق رقم (١) : شجرة النسب العباسي (العباسيون الاوائل)



ملحق رقم (٢) : النسب العلوي (العلويون الاوائل)



ملحق رقم (٣) : تسمية نظراء النقباء (أخبار العباس ص ١٠٤ أ)

أبو عون عبد الملك بن يزيد الازدي
خازم بن خزيمة التميمي
أبو الجهم بن عطيه الباهلي
عمر بن نهيك
المسيب بن زهير الضبي
محمد بن سليمان بن كثير الخزاعي
فريس بن شقيق
مصعب بن قيس الحنفي
اميه بن اعين الخزاعي
عمرو بن الاشعث المزني
العلاء بن الحريث الخزاعي

مقاتل بن حكيم العكي
أبو مالك اسير بن عبدالله الخزاعي
محمد بن الاشعث الخزاعي
خالد بن برمك
زياد بن صالح
عيسى بن ماهان
مصعب بن زويق
خالد بن كثير التميمي
النضر بن صالح التميمي
الحسن بن حمدان

ملحق رقم (٤) : تسمية دعاة الدعاة(على ما جاء في نص مخطوطة أخبار العباس ص ١٠٥ ب) : ويظهر أن هؤلاء كانوا مسؤولين عن تنظيم الدعوة والاشراف على الدعاة خارج حدود منطقة مرو وقراها) .

سعيد بن يحيى الطائي
أبو نعمان حبيب بن رستم
أبوخزيمةموسى بن عطيه (أخوأبوالجهم)
ناصيه بن اشيله الباهلي
عمران بن الحكم
أبو غانم النضر بن غانم الطائي
حمزة بن رثيم
مدرك بن كلثوم
سيف بن نجا الطائي
بذيغ (مولى معاذ)
عمرو بن يحيى
زريق بن شوذب الشيباني
ابراهيم بن الحرش
الجهم بن سنان
أبو عاصم الصفاني
المسيب بن عثمان
عبدالله علي بن حكيم الأسدي
أبو سيف

الحارث بن سيار
أبو أيوب عيسى بن صبيح
حاجب بن رستم
أبو يزيد ابراهيم
الخليل بن الحارث التميمي
صبح بن الصباح أبو عمرو الأعجمي
مسلم السجستاني
عبدالله الراوندي
أبو قرة هلال بن عبد
أبو خالد المهاجر بن عثمان الخزاعي
حزام بن عباد
عبدالله بن شعبه
أبو خالد عيسى بن سالم
أبو حمزة الحربي
يزيد بن مرثد
عمر بن زريق (أخوحميد بن زريق مولى خزاعه)
أبو تراب
أبو جناح صبيح بن زريق

ملحق رقم (٥) : أسماء الدعاة العباسيين السبعين (مخطوطة أخبار العباس ص ١٠٤ – ١٠٥ ب) .

حميد بن قحطبه (الطائي)
الحسن بن قحطبه (الطائي)
أبو حميد محمد بن ابراهيم الحميري
غيلان بن عبدالله الخزاعي
أبو غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي
أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي
نضر بن عبد الحميد الخزاعي
عيسى بن نهيك العكي
عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي
أبو الخطاب الهيثم بن معاوية العتكي
معبد بن خليل التميمي
زهير بن محمد الازدي
نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي
الحجاج بن سليمان الازدي
عيينه بن موسى بن كعب (التميمي)
الاحجم بن عبدالله الخزاعي
الهيثم بن زياد الخزاعي
سلمة بن عثمان التميمي المروزي
الاغلب بن سالم المروزي
عبدالله بن البحتري التميمي
حيه بن عبدالله التميمي
أبو عبده محمد بن عبدالله الحنفي

أبو اسحق خالد بن عثمان (مولى خزاعة)
أبو صالح كامل بن المظفر
محمد بن صول (مولى خثعم)
أبو عاصم عبد الرحمن بن سليمان
الحريش بن سليمان (مولى خزاعة)
الهيثم بن سليمان
موسى بن حسان الاقطع
محمد بن الحشرج
خلف بن المبرد
بريرة بن حصيب
المختار بن سويد
كلثوم بن بكير
حتار بن الضمر
الحسن بن ماجد
زياد بن مهران الطالقاني
أبو حرب بن زياد
هارون بن الصفق الطفاوي
عبد الرحمن بن المحل
أبو عاصم حيوة بن المحل الطفاوي
حرب بن مرثد
عيسى بن بشيل
الوادع بن كثير

عمر بن مبعد الخزاعي
مزيد بن شقيق السلمي
المراد بن انس الضبي
هاشم بن العقاد الخزاعي
داود بن كرار الباهلي
محقن بن غزوان العبدي
هدل بن اياس الضبي
صالح بن سليمان الضبي
أبو سعيد الخليل بن سعيد الشروي
شريك بن عضة التميمي
ثابت بن شداد
واضح بن الوضاح
عمرو بن حسان
داعية بن نجاد
الاشعث بن يحيى الطائي
عيسى بن روْبه الطفاوي
مروان بن اعين الخزاعي
سارية بن نويب التميمي
الاضيم بن عبد العزيز المروزي

ملحق رقم (٦) نص تاريخي يدل على أصالة الدعوة العباسية : (أخبار العباس ص ١١٤ ب)

ولما مات محمد بن علي أقام أبو هاشم مع ابراهيم أياماً ثم شخص إلى خراسان وقدم الكوفة . فقال عمرو بن شبيب ، فقدم علينا وأقام أياماً وكأنه على الرضف ثم شخص إلى خراسان وقد كتب معه ابراهيم كتاباً إلى الشيعة نص إليهم فيه اباه ووعظهم وأمرهم ونهاهم وقرب لهم أمرهم وأمرهم بطاعة أبي هاشم والقبول عنه .

فبدأ بجرجان فلقيه الشيعة أبو عون وعامر بن اسماعيل وخالد بن برمك فنعي إليهم محمد بن علي وأخبرهم ان الامام بعده ابراهيم وانه جعل وصيته إليه فقرأ عليهم كتاب ابراهيم الامام فسلموا بالامرة ورضوا به ... وقال للشيعة ليتوجه عدة منكم إلى ابراهيم ليلقوه وتعرفوه انفسكم وتخبروه بطاعتكم فشخص معه في تلك الدفعة قحطبه بن شبيب ومالك بن الهيثم وأبو سيف وأبو جميد والأزهر بن شعيب .

.... لما رجع بكير إلى خراسان قال لهم (الشيعة العباسيين) ان يحيى بن زيد كامن بين أظهركم وكأنكم به قد خرج على هؤلاء القوم فلا يخرجن معه أحد منكم ولا يسعى في شيء من أمره فإنه مقتول وقد نعاه الامام إلى أهل بيته وكان يحيى مختفياً عند الحريش ببلخ

تعليق : يدل هذا النص بأن الدعوة الخراسانية كانت تعمل منذ بدايتها من أجل العباسيين وفي صالحهم ولهذا أمر بكير بن ماهان الانصار والدعاة بعدم الانضمام إلى يحيى بن زيد العلوي متعذراً بأنه سيقتل لا محالة . أما السبب الحقيقي لهذا الأمر هو تكريس جهود الانصار إلى الثورة المقبلة التي سيعلنها العباسيون في الوقت المناسب . هذا رغم ان العباسيين ونقبائهم استغلوا شعار « الرضا من أهل البيت » وشعار « الثأر لآل البيت من أهل الجور » وهي شعارات عامة غامضة تدل على كل فروع بيت الرسول (ص) لكسب عطف الناس إلى حركتهم ومساعدتها أي لاغراض سياسية استهلاكية بحتة .

ملحق رقم (٧) بعض الدلائل التي تثبت عروبة الثورة العباسية أي انها حدث يهم القبائل العربية من أهل خراسان بالدرجة الأولى وبكلمة أصح ان الدور البارز والفعال قام به العرب الخراسانية رغم اشتراك غير العرب فيها كذلك . لقد أوردنا أغلب هذه الدلائل في مناقشتنا بطبيعة الثورة وواجهاتها إلا ان هذه الدلائل ربما جاءت مبعثرة بين أحداث الثورة ومجرياتها ولذلك رأينا ان نجمعها هنا على شكل نقاط .

(١) ان المستأثرين من العرب المستقرين التابعين لقبائل متباينة الذين حرموا من العطاء ولذلك نظروا بعين الحسد إلى اخوانهم العرب المقاتلة من أصحاب الامتيازات . وتذمروا كذلك من تسلط الدهاقين عليهم في واحة مرو . كان هؤلاء يأملون تغيراً في الطبقة الحاكمة . وهذا يفسر حقيقة كسب الثورة العباسية للعرب من اليمانية والربعية والمضرية الذين كانوا يشعرون بخيبة أمل .

(٢) وكان للعرب المقاتلة من أصحاب الامتيازات المسجلين في ديوان العطاء مشاكلهم كذلك مع السلطة الأموية تتعلق بسياسة التجمير وحصتهم من الفيء والغنيمة وكذلك بضرورة بقاء وارد خراسان في خراسان لكي يصرف على تحسين حالتها . والا تأخذ منه الخزينة المركزية إلا بمقدار حصتها . ولقد رأى هؤلاء في الدعوة أملاً جديداً لحياة أحسن .

(٣) لقد سكن العرب في القرى الواقعة في واحة مرو وكان لهم حاميات عسكرية في عدد من المدن الخراسانية ولذلك كانت الدعاية العباسية مركزة على هذه المناطق فلقد أدرك الدعاة بأن العرب وحدهم مصدر السلطة لانهم مصدر القوة الضاربة الوحيدة . ومن أجل الوصول إلى السلطة يجب أولاً كسبهم إلى الدعوة ، ولم يفضل الدعاة في البداية قبيلة عربية على أخرى رغم أنهم حصلوا على عضد من اليمانية أكثر

من المضرية إلا أنهم كانوا دائماً يرحبون بالمضريين والربعيين الذين يرغبون بالانضمام للدعوة .

ولا ينكر انضمام غير العرب إلى الدعوة إلا أنهم كانوا أيضاً إلى جانب الأمويين ولا يمكن مقارنتهم من حيث الدور والفعالية بالعرب .

(٤) يظهر ان عرب خراسان سئموا النزاع فيما بينهم وليس أدل على ذلك من تسمية تلك الأيام بأيام الفتنة وأيام الفورة وأيام العصبية (انظر الطبري حـ٣ ص٣ فما بعد . ابن الكلبي ، جمهرة ١٤٠ ب ، ٤٤ ب ، ابن حزم ص ٣٥٩ . الدينوري ص ٣٥٠ ، أخبار الدول المنقطعه ، ص ١٠٠ أ) . يقول مؤلف أخبار العباس (ص١١٩ أ) :

« فطالت الفتنة بين نصر بن سيار وعلي بن الكرماني ومن كان بها من العرب حتى اضجر ذلك كثيراً من أصحابها وجعلت نفوسهم تتطلع إلى غير ما هم فيه وإلى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة يدعو اليماني من الشيعة اليماني والربعي الربعي والمضري المضري حتى كثر من استجاب لهم وكفوا بذلك عن القتال في العصبية »

(٥) يورد الجاحظ افتخار العرب بدورهم في الدعوة العباسية فيقول :

« ان العربي يقول .. وهل أكثر النقباء الا من صميم العرب ومن صليب هذا النسب ... وبعد فمن هذا الذي باشر قتل مروان ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن ضبارة ومن قتل ابن حنظلة الا عرب الدعوة والصميم من أهل الدولة » .

ويقول الخراساني « نحن النقباء وأبناء النقباء ونحن النجباء وأبناء النجباء ومنا الدعاة قبل كشف القناع وزوال التقية » . (مناقب الترك ص ٨)

ويعتبر الجاحظ الخليفة المنصور من أهل خراسان على اعتبار دولته دولة أهل خراسان فيقول في البيان والتبيين (٣—٢١٧) :

« ... وإذا احتفظ بمآثر أهل خراسان لاعتبرت اعمال المنصور وأقواله كافية لمقابلة أعمال كل بني مروان » . .

ويشير ابن المقفع إلى أن أصل أهل خراسان يعود إلى أمصار العراق والبصرة والكوفة حيث هاجروا من هناك إلى مرو فيقول للمنصور « ان أهل البصرة والكوفة بعد أهل خراسان أقرب الناس إلى أن يكونوا شيعته وحقيبته مع اختلاطهم بأهل خراسان » . انظر : رسالة في الصحابة ص ١٢٤ .

(٦) من شعارات الثورة العباسية « يا محمد يا منصور » ولعل هذا الشعار دليل واضح على تركيز الدعوة على القبائل اليمانية خاصة في خراسان ذلك لأن المنصور هو المنقذ المنتظر لقبائل اليمن الذين يسمونه (منصور اليمن) أو (منصور حمير) . وقد اتخذ الخليفة الثاني أبو جعفر لقب المنصور لأسباب سياسية كذلك .

(٧) يتمثل دعاة التفسير العنصري للثورة العباسية بأبيات شعر بشار بن برد حيث يذكر نصرة (الموالي) للعباسيين ويفتخر بنسبه وبمنزلته كمولى . على اننا نستطيع أن نستند على أبيات عديدة من الشعر تذكر نصرة العرب للعباسيين .

فهذا دعبل الخزاعي يفخر بأن القبائل اليمانية من أنصار العباسيين هم الذين قتلوا مروان (اغاني ٤ — ٩٥–٩٦) .

ويقول شاعر آخر من شيعة العباسيين :

انا واخواننا الانصار شيعتكم
إذا تفرقت الاهواء والشيع

(٨) لقد أظهرت حوادث الثورة العباسية بأن الايرانيين في مناطق مختلفة لم يشتركوا في الثورة ولم ينحازوا اليها بل ان قسماً منهم في جرجان ومنها وفد نيشابور وبلخ انحاز إلى نصر بن سيار والامويين . ولم تشترك في

بلاد ما وراء النهر أية مدينة في الثورة فلو كان الضغط الاقتصادي ، والاجتماعي للايرانيين قد بلغ ما يصوره هؤلاء المؤرخون دعاة التفسير العنصري لانتهزت تلك المدن فرصة الثورة وهبت عن بكرة أبيها ضد الأمويين .

ثم لماذا لم يساند الايرانيون الدولة العباسية بعد نشوئها إذا كانت قد قامت على أكتافهم وحققت رغباتهم ؟؟ إن إيران كانت في العصر العباسي من أكثر المناطق اضطراباً وعدم استقرار .

(٩) قال أبو مسلم الخراساني مخاطباً شيعة العباسيين في خراسان :

« أمرني الإمام (ابراهيم) أن أنزل في أهل اليمن وأتالف ربيعة ولا ادع نصيبي من صالحي مضر واحذر أكثرهم من أتباع بني أمية وأجمع إليّ العجم .. » اخبار العباس ص١٣٨

وكان الإمام محمد العباس قد أوصى أبا عكرمة السراج بما يشابه هذه الوصية حيث قال :

« فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد .. وليكن اسمي مستوراً من كل أحد إلا عن رجل توثقت منه وأخذت بيعته . فإذا قدمت مرو فاحلل في اليمن وتألف ربيعة وتوقّ مضر وخذ نصيبك من ثقاتهم » ص ١٩٥ ب .

(١٠) ولعل سبب اختيار خراسان مكاناً للثورة إلى أن العرب لم يصابوا فيها بانتكاسة أو ضربة قوية لعدم قيام ثورات علوية أو غيرها فيها هوهذا ربما كان مغزى قول محمد العباسي حين أرسل دعاته إلى خراسان .

كما وانه « في خراسان جمجمة العرب وفرسانها » هؤلاء الفرسان المتمرسين على القتال السنوي مع الكفار عبر بلاد ما وراء النهر .

(١١) لقد كان النقباء في غالبيتهم من العرب من خزاعة وتميم وطي وشيبان وبجلة . وكذلك نظراء النقباء والدعاة .

(١٢) لقد كان العمل مشتركاً في مجلس النقباء من شيعة العباسيين على ان أبا مسلم كان يحاول دوماً أن يبرز دور سليمان بن كثير الخزاعي رئيس النقباء . والواقع فان سليمان الخزاعي لعب دوراً رئيسياً في الدعوة والاتصال بابن الكرماني والمفاوضات مع نصر ، وتحركات الجيش الخراساني . ولعل ابراز الدعوة لسليمان الخزاعي كان حركة بارعة لاظهار الواجهة العربية المتمثلة بالخزاعي من أجل كسب العرب .

(١٣) حاول نصر بن سيار أن يفرق بين العرب من أنصار العباسيين حيث أشار اليه أحد قواده قائلاً : « ما أهون شوكة هؤلاء ان كفت عنهم اليمن وربيعة » مما يدل على مساندة هذه القبائل للثورة . (ص ١٣٣ أ ، أخبار العباس) .

(١٤) تشير بعض الروايات إلى أن أنصار العباسيين كانوا علوج القرى وسقاط العرب على ان رواية الجاحظ تؤكد بأنهم عرب إلا أن استيطانهم في القرى وامتزاجهم بالسكان المحليين أدى إلى صعوبة تمييزهم :

« وقد نرى الناس من أبناء الاعراب والاعرابيات الـذين وقعوا إلى خراسان فلا نشك أنهم علوج القرى » ولذلك فليس من المستغرب أن يحتفظ المقدسي بالمثل القائل (رجال مرو من قراها).

(١٥) تحفل المصادر التاريخية بذكر اسماء القواد والوجوه الذين ميزوا أنفسهم بما قاموا من أعمال في سبيل الدعوة .

(١٦) وفي (الصحيفة الصفراء) وهي الوصية التي سلمت إلى محمد بن علي العباسي من قبل أبي هاشم يأتي ذكر العرب كأنصار للدعوة : « .. وأي احياء العرب أنصارهم » .

(١٧) وفي حديث للمنصور بعد قيام الدولة العباسية يذكر فيه ان الدعوة قامت على أكتاف اليمانية وان النقباء كلهم يمانية . ثم يقول عن اليمانية : « فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا » .

(١٨) وقد خاطب المنصور أثناء حصار واسط اليمانية قائلاً : « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم » .

(١٩) وحين يتكلم صاحب كتاب(الإمامة والسياسة) عن الجيش العباسي يفرق بين أهل خراسان من العرب وبين الفرس فيقول بأن تعداد الجيش كان ١٢ ألفاً من أهل خراسان سوى الاعاجم (الإمامة والسياسة ، ٢ ـ ٢٥٣) .

(٢٠) وقد طلب عبد الله بن علي العباسي العون من اليمانية حيث حاصر دمشق قائلاً :

« انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا... فانصرفوا وخلوا بيننا وبين مضر». (الازدي ، تاريخ الموصل ص ١٢٤) .

وهكذا نلاحظ ان العناصر التي قامت بالثورة العباسية كانت عربية في غالبيتها ، أي ان العرب شكلوا القوة الضاربة في الثورة . كما اشترك غير العرب فيها ولكن دورهم لم يكن كدور العرب . وقد انحاز غير العرب إلى الجانبين الاموي والعباسي .

أما هدف الثورة فكان دمج المسلمين في مجتمع إسلامي واحد وفي دولة أممية . والواقع فإن الشيعة العباسية كانت نظرتهم أكثر مرونة وأوسع أفقاً من النظرة الأموية السابقة ، وذلك لأن الدولة العباسية حاولت أن تنظم مجتمعاً إسلامياً يؤمن بالمساواة بين جميع الشعوب المسلمة ضمن حدود الدولة ، لكل فرد حقوق متساوية بغض النظر عن جنسيته . وكان تأكيد الخلفاء العباسيين على الإسلام دفعاً للاحتكاك العنصري وتجنباً لما يحدث من ضغائن بين شعوب الدولة .

ملحق رقم (٨) : نص الرواية التي يوردها البلاذري في أنساب الأشراف ص ٥٤٠ عن ثورة عبد الجبار الأزدي

عن المدايني ... وكان عبد الجبار يتشيع فسار سيرة حسنة ونظر في أمر الخراج وقوى أمر الدعوة ثم كتب إلى المنصور يسأله الاذن في حمل عياله فلم يأذن له في ذلك فدس إلى قوم من عمال أبي داود (خالد الذهلي) وغيرهم ممن كان مخلصاً للعباسيين فقتلهم وصار اليه علج ينظر في النجوم فقال له إنك ستغلب على خراسان وغيرها وتنال ملكاً عظيماً . فكتب رجل من عيون المنصور ونصائحه إلى المنصور انه قد نغل الاديم فقال لأبي أيوب الموریاني كاتبه ووزيره بأمره قال يخبرك ان عبد الجبار على الخلع . فقال ما تراه قال تكتب اليه انك تريد الغزو برجال خراسان ووجوه أهلها وتأمره بتوجيههم اليك ففعل . فكتب اليه عبد الجبار ان الترك قد جاشت وخراسان محتاجة إلى رجالها . فكتب اليه المنصور اني بخراسان اعنى مني بغيرها فان احببت ان يوجه اليك أمير المؤمنين رجالاً ممن قبله فعل وانما أراد ان يوجه اليه من الجند من يلطف لاخذه .

فكتب (عبد الجبار) ان خراسان مجدبة فليتها تقدم بمن فيها من الرجال وبحملهم واظهر الخلع وقال ان ابا جعفر دعاني إلى عبادته وشتمه وحض على طاعة آل أبي طالب ووجه إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن وهو مستخف يسأله ان يشخص اليه فلم يفعل فنصب رجلاً قال انه ابراهيم بن عبد الله وكان اسم الرجل يزيد .

فولى المنصور المهدي خراسان ووجه معه خازم بن خزيمة .

ملحق رقم (٩)

خطبة أبي العباس يوم بيعته في الكوفة : (مخطوطة انساب الاشراف ص ٧٨٤ ب — ٧٨٥ أ)

حدثني ابن القتاب عن المفضل الضبي قال خطب ابو العباس بعد قيامه بأيام بين الكوفة والحيرة فقال في خطبته :

« والله لأعملن باللين حتى لا تنفع إلا الشدة ولاكرمن الخاصة ما امنتهم على العامة ولأغمدن سيفي إلا أن يسأله الحق ولاعطين حتى لا أرى للمعطية موضعاً .

إن أهل بيت اللعنة كانوا عليكم عذاباً ساموكم الخسف ومنعوكم النصف وأخذوا الجار منكم بالجار وسلطوا أشراركم بالخيار وقد محا الله جورهم وازهق باطلهم وأصلح بأهل بيت نبيه ما أفسدوه منكم ونحن متعهدون بالعطية والصدقة والمعروف غير محجرين لكم بعثاً ولا راكبين لكم خطراً » .

قال ابن القتاب خطب ابو العباس يوم ظَهَرَ فقال :

« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام دينا لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والدابين عنه والناصرين له . والزمنا كلمة الحق والتقوى وجعلنا أحق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله(ص) وقرابته ونسلنا من آبائه وأنشأنا من شجرته واشتقنا من نبعته وجعله من أنفسنا فوضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع . وذكر في كتابه المنزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . ثم جعلنا ورثته وعصبته . وزعمت السبئية الضلال والمروانية الجهال ان غيرنا أحق بالأمر منا فشاهت وجوههم ثم لم وبم وبنا هدى الله الناس بعد

ضلالتهم ونصروا بعد جهالتهم وانقذوا بعد هلكتهم ، فظهر الحق وادحض الباطل ورفعت الخسيسة وتمت النقيصة وجمعت الفرقة وذلك بالنبي (ص) . فلما قبض الله نبيه قام بالأمر من بعده أصحابه ... ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها أهلها فجاروا فيها واساءوا وظلموا فأملى الله لهم حيناً حتى اسفوه فانتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولي نصرنا والقيام بأمرنا كما قال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) . واني لأرجو أن يتم لنا ما افتتح بنا وسيأتيكم العدل والخير بعد الجور والشر وما توفيقنا إلا بالله .

يا أهل الكوفة انكم محل دعائنا وأوليائنا وأهل محبتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدتكم في اعطياتكم مائة مائة فاستعدوا فإني السفاح المبيح والثائر المبير » .
وقام داود بن علي دونه فتكلم .

ملحق رقم (١٠)

نص الأمان الذي أعطاه ابو جعفر ليزيد بن عمر بن هبيرة في واسط كما جاء في ابن اعثم الكوفي ص ٢٣٣ ب — ٢٣٤أ

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله ابن عباس ابي جعفر أخو أمير المؤمنين ابي العباس إلى يزيد بن هبيرة ولمن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم ممن نجا اليهم ومن هم بمدينة واسط من المسلمين والمجاهدين ومن معهم ونسائهم وأولادهم ومواليهم وعبيدهم.

اني قد أمنتكم على أنفسكم أمان الله الذي لا اله إلا هو الذي يعلم من سرائر العباد ما يعلم من علانيتهم أماناً صادقاً لا يصيبه غش ولا يخالطه باطل. وقد أعطيت يزيد بن هبيرة الفزاري عهداً خالصاً مؤكداً وذمة الله وذمة رسول الله (ص) وذمة أنبيائه المرسلين وملائكته المقربين.

وهذا الأمان لك يا يزيد بن هبيرة ولاصحابك ولمن نجا اليك من قوادك وذراريك وشيعتك فأنت وهم آمنون بأمان الله لا تؤخذ بذنب ولا ذلة ولا بجريرة ولا بجرم ولا بجناية في سفك دم تعمداً ولا خطأ ولا بأمر سلف منكم يا يزيد بن عمر بن هبيرة.

وقد آذنت لك بالمقام بمدينة واسط إن شئت ثم سر عنها إذا شئت أنت ومن معك بدواب وسلاح لا تخاف عدواً سهلاً وبراً وبحراً ولا ينالك أمراً تخشاه في ساعة من ليل أو نهار. ولا ادخل في أماني هذا غشاً ولا خديعة ولا مكراً ولا يكون مني اليك من ذلك دسيسة ولا تخاف من مطعم ومشرب أو لباس وقد أذنت لك ولأصحابك يا يزيد بالدخول إلى عسكري في أي وقت أحببته إلى وقت رحيلكم من مدينة واسط.

فإن نقض عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبو جعفر أخو أمير المؤمنين أبي العباس ما جعل لك ولأصحابك ولشيعتك من اماناتكم هذه فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وعليه من المحرجات الايمان المغلظة والله شاهد عليه بما أكد على نفسه من هذه الامان وكفى بالله وكيلاً وشاهداً وكفيلاً والسلام.»

ملحق رقم (١١) نص ما دار بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني

كما ترويها إحدى روايات الطبري (ص ١١٢ – ١١٥) ، طبعة ليدن .

وقال علي قال أبو حفص ... فدخل عليه أبو مسلم فقال له الخليفة أخبرني عن فصلين أصبتهما في متاع عبدالله بن علي .

قال أبو مسلم : هذا أحدهما الذي عليّ قال أرينه فانتضاه فناوله فهزه أبو جعفر ثم وضعه تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه .

فقال : أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات أردت أن تعلمنا الدين

قال : ظننت أخذه لا يحل فكتب إلي فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم .

قال : فأخبرني عن تقدمك إياي في الطريق

قال : كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك التماس المرفق

قال : فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إليّ نقدم فنرى من رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى نلحقك ولا أنت رجعت إليّ .

قال : منعني من ذلك ما أخبرتك في طلب المرفق بالناس وقلت نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف

قال : فجارية عبدالله بن علي أردت أن تتخذها

قال : لا ولكني خفت أن تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها

قال : وخروجك إلى خراسان

قال : خفت أن يكون قد دخلك مني شيء فقلت آتي خراسان فأكتب اليك بضرري وإلى ذاك ما قد ذهب ما في نفسك عليّ

قال : تالله ما رأيت كاليوم قط والله ما زدت إلا غضباً ...»

«قال علي قال يزيد بن أسيد قال أمير المؤمنين عاتبت عبد الرحمن فقلت المال الذي جمعته بحران قال أنفقته وأعطيته الجند تقوية لهم واستصلاحاً قلت فرجوعك إلى خراسان مراغماً . قال دع هذا فما أصبحت أخاف أحداً إلا الله فغضبت فشتمته فخرجوا فقتلوه» .

«وقال غير من ذكرت في أمر أبي مسلم .... ثم أقبل (أبو جعفر) يعاتب (أبا مسلم) الستَ الكاتب إليّ تبدأ بنفسك والكاتب إليّ يخطب أمينة بنت عليّ وتزعم أنك ابن سلط ابن عبدالله بن عباس . ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد نقبائنا قبل أن ندخلك في شيء من هذا الأمر . قال أراد الخلاف وعصاني فقتلته . فقال المنصور وحاله عندنا حاله فقتلته وتعصيني وأنت مخالف عنيّ قتلني الله إن لم أقتلك فضربه بعمود وخرج شبيب بن واج المروزي وأبو حنيفة حرب بن قيس (اللذين أعدهما عثمان بن نهيك) فقتلاه سنة ١٣٧ هـ .»

ملحق رقم (١٢) : الرسائل المتبادلة بين الخليفة أبي جعفر المنصور ومحمد بن عبد الله بن الحسن (ذو النفس الزكية)

كتب أبو جعفر المنصور رسالة إلى محمد بن عبدالله ذي النفس الزكية يهدده بالعقاب الشديد إذا استمر في خلافه وعدم بيعته ويتعهد له بأن يعطيه الأمان والأموال إذا تاب وبايع . فرد عليه محمد ذو النفس الزكية بالرسالة التالية :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله المهدي محمد بن عبدالله ، إلى عبدالله بن محمد (طسم ، تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبنائهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) . وأنا أعرض عليك من الأمان مثلَ الذي عرضتَ عليّ .

فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا . وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟؟

ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا . لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء .

وليس يمتّ أحد من بني هاشم مثل الذي يمت من القرابة والسابقة والفضل ، وإنا بنو أم رسول الله (ص) فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الاسلام دونكم . ان الله اختار لنا ، فوالدنا من البنين محمد (ص) ، ومن السلف أولهم اسلاماً علي ومن الأزواج أفضلهم خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة . ومن البنات خيرهنّ فاطمة سيدة

نساء أهل الجنة ومن المولودين في الاسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة . وان هاشماً ولد علياً مرتين وان عبد المطلب ولد حسناً مرتين ، وان رسول الله (ص) ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، وإني أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أباً ، لم تعرق فيّ العجم . ولم تنازع فيّ أمهات الأولاد . فما زال الله يختار لي الاباء والامهات في الجاهلية والاسلام ، فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة وأهونهم عذاباً في النار وأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار .

ولك الله عليّ إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي ، أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلي . فأي الأمان تعطيني ؟ أمان ابن هبيرة ؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي ؟ أم أمان أبي مسلم ؟ .»

فرد عليه أبو جعفر المنصور وأجاب على رسالة محمد ذي النفس الزكية نقطة نقطة ودعوى بدعوى فقال :

«بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك فإذا جلّ فخرك بقرابة النساء لتضل بها الجفاة والغوغاء . ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء ولا كالعصبية والاولياء لأن الله جعل العم أباً وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا . ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحماً وأعظمهن حقاً وأول من يدخل الجنة غداً . ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الاسلام لا بنتاً ولا ابناً . ولو أحداً رزق الاسلام بالقرابة

رزقه عبدالله اولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء . قال الله عز وجل (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) . ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله عمومة أربعة فأنزل الله عز وجل (وانذر عشيرتك الأقربين) . فانذرهم ودعاهم فأجاب اثنان أحدهما أبي ، وأبى اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينه وبينهما إلاً ولا ذمة ولا ميراثاً .

وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار وليس في الكفر بالله صغير ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار وسترد لتعلم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي وان هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين وان النبي (ص) ولدك مرتين فخير الأولين والآخرين رسول الله (ص) لم يلده هاشم إلا مرة ولا عبدالمطلب إلا مرة .

وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أماً وأباً وانه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً ، فانظر ويحك اين أنت من الله غداً ، فإنك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفسك نفساً وأباً وأولاً وآخراً إبراهيم بن رسول الله (ص) وعلى والد ولده . وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد . وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله (ص) أفضل من علي بن حسين (زين العابدين) وهو لأم ولد ولهو خير من جدك حسن بن حسن ، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد ولهو خير من أبيك ولا مثل أبيه جعفر (الصادق) وجدته أم ولد ولهو خير منك .

وأما قولك انكم بنو رسول الله (ص) فان الله تعالى يقول في كتابه

(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث ولا ترث الولاية ولا يجوز لها الإمامة فكيف تورث بها . ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً ومرضها سراً ودفنها ليلاً فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما . ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، ان الجد أبا الام والخال والخالة لا يرثون .

وأما ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت رسول الله (ص) الوفاة فأمر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه . وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ولم يروا له حقاً منها . أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وقتل عثمان وهو له متهم وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده . ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل الحكومة ثم حكم الحكمين رضي بهما وأعطاهما عهده وميثاقه فاجتمعا على خلعه .

ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حله فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه .

ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه . ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان . وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم بلا وطاء في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم وسنينا سلفكم وفضلناه .

فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت انا إنما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر . وليس ذلك كما ظننت ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل وابتلى أبوك بالقتال والحروب وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرناهم فضله وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه .

ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين إخوته فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام . ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب اليه إلا بأبينا حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث وأبوك حاضر لم يتوسل به .

ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي (ص) غيره فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا اسلام في دنيا ولا آخرة إلا وأبو العباس وارثه ومورثه .

أما ما ذكرت من بدر فإن الاسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للأزمة التي أصابته . ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً لمات طالب وعقيل جوعاً وللحسا جفان عتبة وشيبة ولكنه كان من المطعمين فأذهب عنكم العار والسبقة وكفاكم النفقة والمؤونة ثم فدى عقيلاً يوم بدر .

فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر وفديناكم من الأسر وحزنا عليكم مكارم الاباء وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ولم تدركوا لانفسكم والسلام عليكم ورحمة الله . »

تعليق : تعتبر هذه الرسائل من أطرف المظاهر السياسية للعلاقات العباسية - العلوية لأنها عكست آراء فئتين متنافستين حول مسألة الخلافة . وقد اعتبرت الرسائل تبريراً للنزاع المسلح بين فرعي بني هاشم فلقد كان واضحاً منذ البداية ان الطرفين لم يكونا يتوقعان السلم أو الصلح كنتيجة لهذه المراسلات . ويعتبر جواب محمد ذي النفس الزكية معبراً عن موقف العلويين المعتدلين من مسألة الخلافة . أما جواب المنصور فقد وضح بأن العلويين ثاروا عدة مرات على الأمويين ولكن ثوراتهم فشلت المرة تلو الأخرى ثم ثار العباسيون فنجحوا في اسقاطهم الدولة الأموية .

ولذلك نرى بأن الخليفة أكد على الفشل العلوي والانتصار العباسي وادعى بأن بني هاشم من علويين وعباسيين لهم نفس الحق بالخلافة وبما أن العباسيين قد حققوا الانتصار وانتزعوا السلطة من الأمويين بالقوة فإن انتصارهم يبرر حصولهم على السلطة على عكس العلويين الذين حاولوا ففشلوا .

ملحق رقم (١٣) :

قائمة بأسماء العرب الخراسانية الذين تلقبوا بألقاب فارسية أو نسبوا إلى مدن أو أقاليم فارسية

عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكي المهلبي هزارمرد . انظر : بلاذري فتوح ٣ : ٥٤٢ ، الطبري ، III ، ١٣٨ .

عاصم بن عمير الهزامرد : أنظر طبري II ، ١٦٩١ .

الاغلب بن سالم التميمي المروزي – أنظر : بلاذري : ١ : ٢٧٥

خفاف المروزي الجرجاني من قواد أهل خراسان : طبري III ، ٩٢ . العيون والحدائق ، ٢١٧ . دولة بني العباس ٢٣ ب

أبو غانم الطائي الخراساني : طبري III ، ٩٢ – ٩٤

شبيب بن واج المروزي : طبري III ٤٩٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٦٢ .

خازم بن خزيمة التميمي المروزي من أهل خراسان : طبري III ١٢٤ ، أنساب الأشراف ٧٨١ أ

حميد بن قحطبة الطائي الخراساني : طبري III ٩٢ – ٩٤ ، العيون والحدائق ٢١٧ ، الخطيب ١ : ٨٥ ، مناقب الترك ٣٥

أبو خالد المروزي الخراساني : طبري III ٦٠٦ .

الهيثم بن معاوية العتكي من أهل خراسان : طبري III ، ١٣٧ .

أبو العباس الفضل بن سليمان التميمي الطوسي : طبري III ٦٠٥ ، II ١٤٢٢ ، ١٥٢٢ دنيوري ٣٦٢ .

سلم بن سلام الانصاري أبو حاتم من أهل خراسان : طبري II ، ١٠٠٨ ، أخبار العباس ٢٠٢ أ

عبدالله بن محمد بن عياش التميمي المروزي : الخطيب . تاريخ بغداد ١ : ٧٧ .

عيسى بن موسى الخراساني : يعقوبي ، تاريخ II ٤٦٤ فما بعد . ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ٢٤٣ أ ،

أبو عون عبد الملك بن يزيد الازدي الجرجاني : دولة بني العباس ١٥ أ ، الخطط ٢ : ٩١ ، طبري III ٩ .

عامر بن اسماعيل المسلي الجرجاني : ابن اعثم الكوفي ، ٢ : ٢٤٢ ب ، النجوم الزاهرة ٣٣٥ .

فضلة النهشلي وزهير العامري من قواد أهل خراسان : طبري III ١٢٤ .

عامر بن عميرة السمرقندي : انساب الاشراف ص ٧٨١ أ .

مالك بن طريف الخراساني : طبري III ، ص ٩ .

العباس بن الأحنف من عرب خراسان : اغاني ٨ : ص ١٥ .

جديع بن علي الازدي الكرماني

قحطبة بن شبيب الطائي الخراساني

أبو حميد المروزي : الطبري III ٤٧ .

القاسم بن مجاشع التميمي من أهل مرو . طبري III ، ٥٣٢

ملحق رقم (١٤)   أسماء مشاهير الموالي في أوائل عهد العباسيس

الربيع بن يونس	مولى المنصور وحاجبه : يعقوبي II ٤٦٩ ، طبري ٤٩٥ ، ٥٤٥
عيسى بن روضة	مولى المنصور وحاجبه : يعقوبي II ٤٦٩
يعقوب بن الربيع	مولى المنصور وحاجبه : حيوان ٦ : ٥٠٤
واضح	والي ارمينية وأذربيجان : يعقوبي II ٤٤٧ ، طبريIII ٤٠٥
عبدالله بن حمير	مولى من أهل حران كاتب المنصور : جهشياري ٩٦
الليث	مولى وقائد حارب في فرغانة : يعقوبي II ٤٦٦
أسلم	مولى المنصور والمشرف على المواد البنائية في بغداد : طبري III ٣١٩

حواس بن المسيب اليماني مولى المنصور والمشرف على بناء أسواق الكرخ : طبري III ٣٢٣

مبارك التركي والمفضل الوصيف وصاعد موالي قادة في الجيش : طبري III ٥٦٢

سليم الأسود	خادم المنصور : طبري ٤٦٤
ابي عبيدالله معاوية	وزير المهدي : طبري III ٤٨٦
عمر بن نويع	على ديوان الأزمة مولى المهدي : طبري ٤٩٣
يعقوب بن داود	وزير المهدي : طبري ٥٠٨
المعلى والمفضل	من موالي المهدي المقربين : طبري ٥١٤ — ٥٢١
الحسن الوصيف	خادم المهدي : طبري ٥٣٠

يُسمي بعض المؤرخين المحدثين أبا مسلم الخراساني بتسميات يتصورونها على شخصه دون غيره من رجال الدعوة العباسية منها (صاحب الدولة) و (صاحب الدعوة) و (قريع الزمان) و (السالار) و (القهرماني) و (منير الظلمة وصاحب الدولة) (انظر مثلاً الجاحظ مناقب ١٤ ، حمزة الاصفهاني ١٣٨ ، ١٣٩ . ابن عبد ربه ، العقد ٤ / ٤٧٩ . الذهبي ، دول الاسلام ١ / ٦٧ . أخبار الدول المنقطعة ١٠٨ أ . ابن الساعي ص ٣) . على أن كثيراً من رؤوس الدعوة لقبوا بنفس الألقاب أو ما يشابهها في المنزلة ولكن المؤرخين المحدثين لم يحاولوا إظهارها فمثلاً :

القاسم بن مجاشع كان رئيساً في دولة بني العباس (ابن الكلبي ، جمهرة النسب ٦٨ أ)

قحطبة بن شبيب الطائي صاحب الدولة

سليمان بن كثير الخزاعي رئيس الدعاة ، القائم بأمر خراسان ، نقيب النقباء ، شيخ النقباء

الحسن بن قحطبة الطائي صاحب الدولة (تاريخ بغداد ٧ / ٤٠٣)

أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي وهو رئيس القوم بجرجان وكان قد عظم أمره في الدعوة ولقي الامامين (أخبار العباس ١١٨ ب)

سليمان ومالك وقحطبة رؤساء دعوة بني هاشم . (يعقوبي II ٣٩٨ ، طبري II ١٧٢٧)

سليمان ومالك وقحطبة ولاهز بن قريظة اعيان الشيعة (كتاب العيون والحدائق ، ص ١٨٢)

ملحق رقم (١٦) أهمية دور العرب وخاصة من أهل خراسان في النزاع بين الأمين والمأمون يقول الطبري (III ، ٧٧٣ فما بعد) :

«.. قال الفضل بن سهل فقلت للمأمون .. افهم عني ما أقول لك ، إن هذه الدولة لم تكن قط اعز منها ايام أبي جعفر فخرج عليه المقنع وهو يدعي الربوبية وقال بعضهم طلب بدم أبي مسلم فتضعضع العسكر بخروجه بخراسان فكفاه الله المؤونة ثم خرج بعده يوسف البرم وهو عند بعض المسلمين كافر فكفى الله المؤنة ثم خرج استاذ سيس يدعو إلى الكفر فسار المهدي من الري إلى نيسابور فكفى المؤنة ولكن ما اصنع اكبر عليك اخبرني كيف رأيت الناس حين ورد خبر رافع .

قال رأيتهم اضطربوا اضطراباً شديداً . قلت وكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في اعناقهم كيف يكون اضطراب أهل بغداد أصبر وانا اضمن لك الخلافة ووضعت يدي على صدري . قال قد فعلت وجعلت الأمر اليك فقم به .

قال قلت والله لاصدقنك ان عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ ومن سمينا من أمراء الرؤساء ان قاموا لك بالأمر كان انفع مني لك برئاستهم المشهورة ولما عندهم من القوة على الحرب فمن قام بالأمر كنت خادماً له حتى تصير إلى محبتك وترى رأيك فيّ . فلقيتهم في منازلهم وذكرتهم البيعة التي في أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء . قال فكأني جئتهم ببيعة على طبق . فقال بعضهم هذا لا يحل اخرج وقال بعضهم من الذي يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه . فجئت وأخبرته . قال قم بالأمر . قال قلت قد قرأت القرآن وسمعت الأحاديث وتفقهت في الدين فالرأي أن تبعث إلي من بالحضرة من الفقهاء فتدعوهم إلى الحق والعمل به واحياء السنة وتعقد على اللبود وترد المظالم .

ففعلنا وبعثنا إلى الفقهاء وأكرمنا القواد والملوك وأبناء الملوك فكنا نقول

للتميمي نقيمك مقام موسى بن كعب وللربيعي مقام أبي داود خالد ابن إبراهيم ولليماني نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم فكنا ندعو كل قبيلة إلى نقباء .. وحططنا عن خراسان ربع الخراج فحسن موقع ذلك منهم وسروا به وقالوا ابن اختنا وابن عم النبي (ص) .

فهرس المصادر

المصادر الأصيلة : (١) المخطوطات

ابن الأبار — محمود بن عبد الله القضاعي (ت ١٢٦٠/٦٥٨) **إعتاب الكتاب** مخطوطة في المتحف البريطاني برقم or. 6641

الاتليدي — **اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس** . مخطوطة ، المتحف البريطاني ، Or, 3145

المؤلف مجهول — **اخبار العباس وولده** . معهد الدراسات الاسلامية العليا . بغداد

ابن أعثم الكوفي — أحمد بن عثمان (٩٢٦/٣١٤) — **كتاب الفتوح** ، سراي ، مكتبة أحمد الثالث ، استانبول رقم ٢٩٥٦ .

الأندلسي — عيسى بن أحمد ، **كتاب عيون الأخبار** ، المتحف البريطاني ، لندن ، رقم

البرزنجي — شريف محمود بن رسول (١٥٨٧/٩٩٥) ، **النواقض للروافض والنوافض** (باريس . المكتبة الوطنية رقم Arabe 1459)

البلاذري — أحمد بن يحيى بن جابر (٨٩٢/٢٧٩) **انساب الأشراف** . المكتبة الوطنية ، باريس ، . — **انساب الأشراف** ، استانبول ،

اليامي — جمال الدين يونس بن محمد الأنصاري (١٢٥٦/٦٥٤) **العرب في الحروب في صدر الاسلام** . معهد المخطوطات العربية (جامعة الدول العربية) رقم تاريخ ٣٩٩ .

المؤلف مجهول — **تاريخي دولة عباسية** (نهاية القرن ١٢/٦) . مكتبة بايزيد . استانبول . رقم ٢٣٦٠

الجاحظ — (٨٦٨/٢٥٥) **كتاب مختارات من فصول الجاحظ** . المتحف البريطاني رقمها Or, 3138

ابن الجوزي	– (٥٩٧/١٢٠٠) مخطوطة مجهولة المؤلف منسوبة إلى ابن الجوزي . المتحف البريطاني 7,320
ابن حمدون	– محمود بن الحسن (٥٦٢/١١٦٧) التذكرة ، المتحف البريطاني ، Or, 3179
ابن حيّون	– قاضي نعمان بن محمود (٣٦٣/٩٧٤) شرح الأخبار في تاريخ الأئمة الابرار ، لندن . مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (جامعة لندن) . الرقم ٢٥٧٣٢
الخزاعي	– نعيم بن حماد المروزي (٢٢٨/٨٤٣) – كتاب الفتن ، المتحف البريطاني Or, 9449
الخزرجي	– علي بن الحسن (٨١٢/١٤٠٩ – ١٤١٠) . الكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الأعلام ، باريس . المكتبة الوطنية . رقم 5832 . المتحف البريطاني 6941 ، لندن .
الذهبي	– محمد بن أحمد (٧٤٨/١٣٤٨) تاريخ الاسلام الكبير ، المتحف البريطاني (رقم
المؤلف مجهول	– رسالة في التقية – مكتبة دائرة الهند في لندن رقم
خليفة بن خياط	– كتاب التاريخ ، المغرب ، مكتبة الأوقاف ، الخزانه العامة . (انظر فهرس المصادر المطبوعة)
أبو زكريا الأزدي	– تاريخ الموصل . مكتبة شستربيتي في دبلن (ايرلندا) . ونسخة أخرى في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية (جامعة لندن) . ونسخة ثالثة في المجمع العلمي العراقي (بغداد)
سبط ابن الجوزي	– يوسف بن قزاوغلو (٦٤٤/١٢٥٧) مرآة الزمان المتحف البريطاني
الشيباني	– عبد الرحمن بن علي بن محمد الربيع (٩٤٤/١٥٣٧) – كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون. المتحف البريطاني Or, 25,111 أو Or, 3022
شيخ سرحان بن سعيد	– كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. المتحف البريطاني O8076 أو Or 6568
ابن الصبّاغ	– علي بن محمود – كتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، باريس . المكتبة الوطنية 5832 (انظر المصادر المطبوعة)
ابن طاووس	– علي بن موسى (القرن ١٣/٧) كتاب التعريف بمذاهب الطوائف. المتحف البريطاني Or 3574

ابن العديم — عمر بن أحمد (٦٦٠/١٢٦٢) **بغية الطلب** ، باريس ، المكتبة الوطنية ، رقم 2138 Arabe

ابن عساكر — علي بن حسن (٥٧١/١١٧٦) **تاريخ دمشق** ، باريس ، المكتبة الوطنية ، رقم 2147 Arabe

العيني — شمس الدين بن محمد بن أحمد (٨٩٥/١٤٩٠) **دولة بني العباس والطولونيين والفاطميين** ، باريس ، المكتبة الوطنية 6068 Arabe

المؤلف مجهول — غرر السير (القرن ٤/١٠) — مكتبة بودليان . أكسفورد . رقم D'orville 542

ابن قتيبة — أبو مسلم محمد بن عبدالله ٨٨٩/٢٧٦ — **رسالة في الرد على المعتزلة** ، مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (جامعة لندن) .

كتاب أخبار الدول المنقطعة ، منسوب إلى علي بن ظفير الأزدي رقم Or' 3685 المتحف البريطاني

كتاب التعجب (القرن ٥/١١) مكتبة دائرة الهند . رقم 1258 .

ابن الكلبي — هشام بن محمد (٢٠٤/٨١٩ — ٨٢٠) **نسب مصر واليمن الكبير**. المتحف البريطاني add 22376

ابن الكلبي — هشام بن محمد **جمهرة النسب** (المتحف البريطاني 1202) .

الميلوي — يوسف + محمد (١١٣٠/١٧١٨) . **احسن المسالك لاخبار البرامك** باريس . المكتبة الوطنية رقم 2107 Arabe

نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول — نسخة مصورة ومعلق عليها ومترجمة إلى الروسية تحت إشراف معهد الدراسات الشرقية بموسكو ١٩٦٠ .

النويري — أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٢/١٣٣١ — ١٣٣٢) **أخبار من نهض في طلب الخلافة من الطالبيين** . باريس . المكتبة الوطنية . Arabe 1576

(٢) المصادر المحننة والمنشورة (حسب القِدَم)

الكميت بن زيد (١٢٦/٧٤٣) — **الهاشميات** . ليدن ١٩٠٤ ، القاهرة ١٩٥٠

ابن المقفع عبد الله بن روزبه (١٣٩/٧٥٦)

(١) **رسالة في الصحابة** في (رسائل البلغاء قاهرة ١٩٦٤) بيروت ١٩٦٠

(٢) **الأدب الكبير** » » » »

أبو دلامة زند بن الجون (١٦٠/٧٧٧)
ديوان أبو دلامة ، الجزائر : ١٩٢٢
بشار بن برد (١٦٨/٧٨٤)
ديوان بشار بن برد ، القاهرة ١٩٥٤
أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (١٨٢/٧٩٨)
كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٩٣٣/١٣٥٢
دينوسس التلمحري ـ **كتاب التاريخ المنسوب إليه**
يحيى بن آدم القرشي (٢٠٣/٨١٨) ـ **كتاب الخراج** ليدن ١٩٥٨
الأزرقي ، محمد بن عبد الله (٢٠٤/٨١٩) ـ **أخبار مكة** ليدن ١٨٥٨
مسلم بن الوليد (٢٠٨/٨٢٣) .ـ **ديوان** ، ليدن . ١٨٧٥ . (انظر فهرس كتاب الأغاني)
ابن سعد (٢٣٠/٨٤٥) **كتاب الطبقات** ، ليدن ، ١٩٠٥
الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (٢٣٦/٨٥١) ـ **نسب قريش** ، القاهرة ١٩٥٣
خليفة بن خياط (٢٤١/٨٥٥ ـ ٨٥٦) ـ **كتاب التاريخ** ، بغداد ، ١٩٦٧ ، دمشق ١٩٦٧
ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (٢٤٢/٨٥٦ ـ ٨٥٧) ـ **فتوح مصر** ، نيوهيفن ١٩٢٢ . الجزائر ١٩٤٧
ابن حبيب ، محمد بن حبيب (٢٤٥/٨٥٩)
(١) **كتاب المحبّر** ، حيدر اباد ١٩٤٢
(٢) **اسماء المغتالين من الأشراف**(سلسلة نوادر المخطوطات) قاهرة١٩٤٥
دعبل بن علي الخزاعي (٢٤٦/٨٦٠ ـ ٨٦١)
ديوان . كنتكي ١٩٦١ ، النجف ١٩٦٢
الجاحظ ، عمرو بن بحر (٢٥٥/٨٦٨)
(١) **البيان والتبيين** القاهرة ١٩٦٨
(٢) **الحيوان** ، القاهرة ١٩٠٥ ، القاهرة ١٩٣٨
(٣) **البخلاء** ، القاهرة ١٩٥٨
(٤) **العثمانية** ، القاهرة ١٩٥٥
(٥) **ثلاث رسائل** تحقيق دي ضويه ، ليدن ١٩٠٣
(٦) **ثلاث رسائل** تحقيق فنكل ، القاهرة ١٩٢٦
(٧) **رسائل** تحقيق السندوبي القاهرة ١٩٣٣

(٨) مجموعة رسائل تحقيق ساسي المغربي القاهرة ١٩٠٦
(٩) رسالة في إثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (لغة العرب) الجزء التاسع .

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (٢٧٦/٨٨٩)
(١) كتاب الشعر والشعراء ليدن ١٩٠٤
(٢) عيون الأخبار القاهرة ١٩٢٥
(٣) كتاب المعارف ، كوتنكي ١٨٥٠ ، القاهرة ١٩٦٠
(٤) كتاب العرب (رسائل البلغاء)
(٥) أدب الكاتب ليدن ١٩٠٠
(٦) وينسب اليه كذلك كتاب الامامة والسياسة ، القاهرة ١٩٠٤

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩/٨٩٢)
(١) انساب الأشراف ج ١١ جديفزولد ١٨٨٣ . ج ٥ القدس ١٩٣٦ ج ٤ ب القدس ١٩٣٨
(٢) فتوح البلدان ليدن ، ١٨٦٦ . القاهرة ١٩٥٦

الدنيوري ، أبو حنيفة أحمد بن داوُد (٢٨٢/٨٩٥ حوالي)
الاخبار الطوال ليدن ١٨٨٨ ، القاهرة ١٩٦٠ (سلسلة تراثنا)

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (٢٨٤/٨٩٧)
(١) التاريخ ليدن ١٨٨٣
(٢) كتاب البلدان ليدن ١٨٩٢
(٣) مشاكلة الناس لزمانهم ، طهران ١٣٢٣

المبرد محمد بن يزيد (٢٨٥/٨٩٨)
الكامل ليبزك ١٨٧٤ ، القاهرة ١٩٥٦

ابن الفقيه الهمداني (حوالي ٢٨٩/٩٠٢)
كتاب البلدان ليدن ١٨٨٥ .

ابن المعتز عبد الله (٢٩٦/٩٠٨)
طبقات الشعراء المحدثين القاهرة ١٩٥٥

ابن خرداذبة عبيد الله بن عبد الله (٣٠٠/٩١٢)
كتاب المسالك ليدن ١٨٨٩

النوبختي الحسن بن موسى (٣٠٠/٩١٢)

كتاب فرق الشيعة استانبول ١٩٣١ ، النجف ١٩٥٩

القمي ، سعد بن عبد الله الأشعري (٣٠١/٩١٣)

كتاب الفرق والمقالات . طهران ١٩٦٣

الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠/٩٢٣)

تاريخ الرسل والملوك ليدن ١٨٨١

ابن اعثم الكوفي ، احمد بن عثمان (٣١٤/٩٢٦)

الفتوح (الترجمة الفارسية ، بومباي ١٣٠٠)

ابن دريد محمد بن الحسن (٣٢١/٩٣٣)

الاشتقاق كوتنكن ١٨٥٤ ، القاهرة ١٩٥٨

الأشعري علي بن اسماعيل (٣٢٤/٩٣٥ — ٩٣٦)

مقالات الاسلاميين استانبول ١٩٢٩

ابن عبد ربه احمد بن محمد (٣٢٨/٩٤٠)

العقد الفريد القاهرة ١٩٤٠

الكليني محمد بن يعقوب (٣٢٩/٩٢٩)

أصول الكافي لكناو ١٣٠٢

الجهشياري محمد بن عبدوس (٣٣١/٩٤٢)

الوزراء والكتاب القاهرة ١٩٣٩

أبو زكريا الأزدي يزيد بن محمد (٣٣٤/٩٤٥)

تاريخ الموصل القاهرة ١٩٦٧

الكشي محمد بن عمر (القرن الرابع/العاشر)

معرفة أخبار الرجال النجف ١٩٦٤

الصولي محمد بن يحيى (٣٣٥/٩٤٦)

(١) أدب الكتاب القاهرة ١٩٢٣

(٢) أخبار الشعراء المحدثين لندن ١٩٣٤

(٣) أشعار أولاد الخلفاء لندن ١٩٣٦

الزجاجي عبد الرحمن بن اسحق (٣٣٧/٩٤٨)

الأمالي القاهرة ١٣٢٤

المسعودي علي بن الحسين (٣٤٥/٩٥٦)

(١) مروج الذهب باريس ١٨٧٣

(٢) كتاب التنبيه والاشراف ليدن ١٨٩٤

الكندي محمد بن يوسف (٣٥٠/٩٦١)

(١) كتاب الأمراء والولاة ليدن ١٩١٢

(٢) كتاب القضاة باريس ١٩٠٨

المقدسي مطهر بن طاهر (٣٥٥/٩٦٦)

البدء والتاريخ باريس ١٨٩٩ — ١٩٠٦

أبو الفرج الاصفهاني علي بن الحسين (٣٥٦/٩٦٧)

(١) كتاب الأغاني بولاق ١٢٨٤ — ١٢٨٥ ، الجزء ٢١ ليدن ١٣٠٦

(٢) مقاتل الطالبيين النجف ١٩٣٤ ، النجف ١٩٦٥

حمزة الاصفهاني أبو عبد الله بن الحسن (٣٦٠/٩٧٠)

تواريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ليبزك ١٨٤٤

البلعمي محمد بن محمد (٣٦٢/٩٧٢)

ترجمي تاريخي طبري كانيور ١٩٠٦

ابن النديم محمد بن اسحق (٣٧٧/٩٨٧)

كتاب الفهرست ليبزك ١٨٧١ — ١٨٧٢ ، القاهرة ١٣٤٧

التنوخي المحسّن بن علي (٣٨٤/٩٩٤)

(١) الفرج بعد الشدة القاهرة ١٩٣٨

(٢) نشوار المحاضرة ط لندن ١٩٢١ ، ط دمشق ١٩٣٠

(٣) المستجاد دمشق ١٩٤٦

الباقلاني أبو بكر محمد (٤٩٣/١٠١٢ — ١٠١٣)

التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة قاهرة ١٩٤٧

البغدادي عبد القادر بن طاهر (٤٢٩/١٠٣٧)

كتاب الفرق بين الفرق القاهرة ١٩١٠

الثعالبي ، عبد الملك بن محمد (٤٢٩/١٠٣٧)

لطائف المعارف القاهرة ١٩٦٠

أبو نعيم الاصبهاني أحمد بن عبد الله (٤٣٠/١٠٣٩)
(١) حلية الأولياء القاهرة ١٩٣٨
(٢) كتاب ذكر أخبار أصبهان ليدن ١٩٣١
الصابيء هلال بن المحسن (٤٤٨/١٠٥٦ — ١٠٥٧)
رسوم دار الخلافة ، بغداد ١٩٦٤
النجاشي ، أحمد بن علي (٤٥٠/١٠٥٨)
كتاب الرجال ، بُومبي ١٩١٧
ابن حزم ، علي بن أحمد (٤٥٦/١٠٦٤)
(١) كتاب الفصل في الملل والنحل القاهرة ١٣١٧ — ١٣٢٠
(٢) جمهرة أنساب العرب القاهرة ١٩٤٨
الطوسي ، محمد بن الحسن (٤٥٨/١٠٦٦)
فهرست كتب الشيعة كلكتا ١٨٥٣ — ١٨٥٥
الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (٤٥٣/١٠٧١)
تاريخ بغداد القاهرة ١٩٣١
نظام الملك (٤٨٥/١٠٩٢)
سير الملوك (سياسة نامة) ترجمة انكليزية لندن ١٩٦٠
أبو زكريا يحيى بن أبي بكر (نهاية القرن الخامس/الحادي عشر)
السير وأخبار الأئمة ، الجزائر ١٨٧٨
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (٥٤٨/١١٥٣)
كتاب الملل والنحل ، ليبزك ١٩٢٣
السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (٥٦٢/١١٦٧)
كتاب الانساب لندن ١٩١٢
ابن حمدون ، محمد بن الحسن (٥٦٢/١١٦٧)
التذكرة القاهرة ١٩٢٧
ابن عساكر ، علي بن الحسن (٥٧١/١١٧٦)
تاريخ دمشق ، دمشق ١٣٣٣
ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (٥٥٧/١٢٠٠)
(١) مناقب بغداد ، بغداد ١٣٤٢

(٢) المنتظم في التاريخ ، حيدر اباد ١٩٣٨
ابن اصفنديار ، محمد بن الحسن (القرن السادس/الثاني عشر)
تاريخ طبرستان ، طهران ١٩٤٢
ياقوت الحموي الرومي (١٢٢٩/٦٢٦)
(١) معجم البلدان ، ليبزك ١٨٦٦ — ١٨٧٣
(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ليدن ١٩٠٧ — ١٩٣١
ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد (١٢٣٣/٦٣٠)
(١) الكامل في التاريخ ، ليدن ١٨٥١ — ١٨٧٦
(٢) اللباب في معرفة الأنساب ، القاهرة ١٣٥٧ — ١٣٦٩
ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (١٢٥٨/٦٥٥)
شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٩١١
ابن العديم ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (١٢٦٢/٦٦٠)
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤
ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم (١٢٧٠/٦٦٨)
عيون الانباء في طبقات الاطباء ، كونجسبرك ١٨٨٤
ابن خلكان ، أحمد بن محمد (١٢٨٢/٦٨١)
وفيات الاعيان ، القاهرة ١٨٨٢ — وستنفلد ١٨٣٥ — ١٨٤٥ أو طبعة ١٩٣٦
ابن العبري ، كريكوري ابو الفرج (١٢٨٦/٦٨١)
مختصر تاريخ الدول ، بيروت ١٨٩٠
ابن عذاري ، أبو عبدالله محمد المراكشي (القرن السابع / الثالث عشر)
البيان المغرب ، ليدن ١٩٤٨ — ١٩٥١
ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (١٣٠٩/٧٠٩)
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، باريس ١٨٩٥ ، القاهرة ١٣١٧
الذهبي ، محمد بن أحمد (١٣٤٨/٧٤٨) :
(١) دول الاسلام ، حيدر اباد ١٣٢٧
(٢) سير أعلام النبلاء ، القاهرة ١٩٥٦ — ١٩٥٧

الكتبي ، محمد بن شاكر (١٣٦٣/٧٦٤)
فوات الوفيات ، القاهرة ١٢٨٣
الصفدي ، خليل بن أيبك (١٣٦٣/٧٦٤)
الوافي بالوفيات ، استانبول ١٩٣١ — ١٩٥٩
ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (١٣٧٣/٧٧٤)
البداية والنهاية ، القاهرة ١٩٣٢
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (١٤٠٦/٨٠٤) :
(١) **المقدمة** ، القاهرة ١٩٥٧
(٢) **كتاب العبر** ، القاهرة ١٢٨٤ — ١٢٦٧
القلقشندي ، أحمد بن عبد الله (١٤١٨/٨٢١) :
(١) **صبح الأعشى** ، القاهرة ١٩١٩ — ١٩٢٠
(٢) **مآثر الأناقة في معالم الخلافة** ، الكويت ١٩٦٤
المقريزي ، أحمد بن علي (١٤٤٢/٨٤٥) :
(١) **الخطط** ، القاهرة ١٩٥٩
(٢) **النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم** ، النجف ١٣٦٨
ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف (١٤٦٩/٨٧٤)
النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، ليدن ١٨٥١ ، القاهرة ١٩٢٩
السيوطي ، عبد الرحمن (١٥٠٥/٩١١) :
(١) **أخبار الخلفاء** ، القاهرة ١٨٨٧
(٢) **المستظرف من أخبار الجواري** ، دمشق ١٩٦٣ (رسائل ونصوص)
ابن الداية ، أحمد بن يوسف (٩٤٥ أو ٩٥١/ **المكافات** القاهرة ١٩١٤ ،القاهرة ١٩٤١
المجلسي ، محمد باقر (١٧٠٠/١١١١)
بحار الأنوار ، طهران ١٣٠٢ — ١٣١٥

ب — المصادر الحديثة

(١) المصادر العربية

الأشقر ، أ . ه : السفاح والمنصور ، بيروت ١٩٦٠

أمين ، أحمد : ضحى الاسلام

أمير ، سعد أمير علي : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، القاهرة ١٩٣٨ ، مترجم عن الإنكليزية

أحمد ، محمد حلمي : الخلافة والدولة في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٥٩

الباشا ، حسن : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة١٩٥٧

اغا بزرك الطهراني : الذريعه إلى تصانيف الشيعة ، النجف١٩٣٦

الجامعة الأميركيةفي بيروت: ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره ، بيروت ، حزيران وأيلول ١٩٥٩

الجومرد ، عبد الجبار : أبو جعفر المنصور ، بيروت ١٩٦٣

حسن ، حسن إبراهيم : (١) تاريخ الاسلام. الجزء الثاني، الطبعة السابعة، القاهرة١٩٦٤

(٢) النظم الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٢

(٣) السيارة العربية والشيعة والإسرائليات ، تأليف فان فلوتن ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ١٩٣٣

الخراساني : عبد الله ابن المقفع . القاهرة ١٩٦٥

حسين محمد : أبو مسلم الخراساني سلسلة أعلام العرب القاهرة — ١٩٥٨

الخضري : محمد تاريخ الدولة العباسية القاهرة ١٩١٦

الدوري ، عبد العزيز : (١) العصر العباسي الأول ، بغداد ١٩٤٥

(٢) مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، بغداد ١٩٤٨

(٣) النظم الاسلامية ، بغداد ١٩٥٠

(٤) الجذور التاريخية للشعوبية ، بيروت ١٩٦٠

(٥) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠

(٦) ضوء جديد على الدعوة العباسية ، مجلة كلية الآداب١٩٦١

(٧) نظام الضرائب في خراسان في صدر الاسلام ، مجلة كلية الآداب ١٩٦٤

رستم : أبو جعفر المنصور ، القاهرة ١٩٦٥
الرفاعي : عصر المأمون ، القاهرة ١٩٢٨
الريّس ، محمد ضياء : الخراج في الدولة الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٧
أبو زهرة : المذاهب الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٠
الزيات ، حسن : «التشيع لمعاوية في عهد العباسيين» مجلة المشرق ١٩٢٨
زيدان ، جرجي : (١) تاريخ التمدن الاسلامي ، القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٦
(٢) أبو مسلم الخراساني ، القاهرة ١٩٣٣
شلبي ، أحمد : التاريخ الاسلامي ح ٣ القاهرة ١٩٦٦
الشيبي ، كامل : (١) الصلة بين التصوف والتشيع ، بغداد ١٩٦٣
(٢) «التقية» . مجلة جامعة الاسكندرية ، ١٦ ، ١٩٦٢
العاملي : اعيان الشيعة ، دمشق ١٩٣٦
الغراوي ، عباس : عشائر العراق ، بغداد ١٩٣٧
العلي ، صالح أحمد : (١) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، بغداد ، ١٩٥٣
(٢) علم التاريخ عند المسلمين (ترجمة) . بغداد ١٩٦٣
(٣) خطط البصرة ، مجلة سومر — ٢ — ١٩٥٢
(٤) منطقة الحيرة . مجلة كلية الآداب ، ١٩٦٢
(٥) استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الآداب ١٩٥٩
(٦) بغداد في عهد المنصور . مؤتمر المدن الاسلامية. أكسفورد ١٩٦٥
علي ، محمد كرد : (١) خطط الشام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ دمشق
(٢) رسائل البلغاء ، القاهرة ١٩٥٧
عمر ، فاروق : (١) الجذور التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافة ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، ١٩٦٧ — ١٩٦٨ بغداد
(٢) يعقوب بن داود : وزير الخليفة المهدي . مجلة كلية الآداب ١٩٦٨ . بغداد

(٣) عبد الجبار الأزدي : صاحب شرطة المنصور ، مجلة الشرطة ، ١٩٦٨ . بغداد
(٤) موقف المعتزلة السياسي من العباسيين ، مجلة الأقلام ، ١٩٦٨ بغداد
(٥) وصايا المنصور السياسية لولي عهده المهدي ، مجلة الرسالة بغداد .
(٦) نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على إعادة تقييم الثورة العباسية . مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ١٩٦٨ — ١٩٦٩ الرياض .
(٧) تقييم جديد للثورة العباسية . مجلة الموسم الثقافي لجمعية التاريخ والآثار . كلية الآداب ، جامعة الرياض ، ١٩٦٩
(٨) تاريخ خليفة بن خياط : تقريض وتعليق . مجلة المكتبة (مجلة شهرية للكتب والكتاب) عدد ٦٢ ، كانون الثاني ١٩٦٨ . مجلة الأقلام ١٩٦٧
(٩) نقد وتعريف بكتاب تاريخ الموصل للازدي : مجلة المكتبة ، العدد ٦٤ ، أيار ١٩٦٨
(١٠) نظرة جديدة إلى علاقة الترك بالخلافة العباسية : مجلة المكتبة العدد ٦٥ ، آب ١٩٦٨

عنان ، محمد عبد الله : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، القاهرة ١٩٢٦

فروخ ، عمر : (١) عبد الله بن المقفع ، بيروت ١٩٤١
(٢) بشار بن برد ، بيروت ١٩٤٦

القزويني ، معز الدين : انساب القبائل العراقية ، النجف ، ١٩١٨

القمي : سفينة البحار ، النجف ١٣٥٥

آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، بيروت ١٩٣١

الليثي ، سميرة مختار : الزندقة والشعوبية ، القاهرة ١٩٦٨

كحالة ، عمر رضا : معجم قبائل العرب ، دمشق ١٩٤٩

محمود ، حسن أحمد : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٦٦
مصطفى ، ش : في التاريخ العباسي ، دمشق ١٩٥٧
النجم ، وديعة طه : الجاحظ والحضارة العباسية ، بغداد ١٩٦٥

٢ ــ المصادر الفارسية

إقبال ــ خاندان نوبخت ــ طهران ١٩٣٣
يوسفي ــ أبو مسلم . سردار خراسان . طهران ١٩٦٤

٣ ــ المصادر التركية

دائرة المعارف الاسلامية . استانبول . (باللغة التركية) مادة(Ebū Muslim)

١ ـ المصادر الانكليزية

Abbott, N., Two Queens of Baghdad, New York. 1946 Arabic and Islamic studies in honour of Sir H.A.K. Gibb, published by E.J. Brill, Leyden, 1965.

Arnold, Sir Thomas, W., The Caliphate, Oxford, 1924.

Barthold, W., Turkestan down to the Mongol Invasion, 2nd ed., London 1928.

Brockelmann., C. History of the Islamic peoples, New York, 1947.

Browne, B.C., Aliterary History of Persia, Cambridge 1909 — 1930.

Cohn, N., The Pursuit of the Millenium, London 1962.

Dennett., D.C., (1) Marwān Ibn Muhammad Ph. D. Thesis, Harvard University, 1939.

(2) Conversion and Poll-tax in eraly Islam Harvard Univernity press

Donaldson, D.M., The shi'ite Religion London 1933.

Duri, A. Baghdad in *E.I.* (2)

Encyclopaedia of Islam 1st ed., Leyden 1913.

Encyclopaedia of Islam 2nd ed., Luzac a Co. 1960 in progress.

Frye,R.N., (1) The Heritage of persia, London 1962.

(2) «The Rôle of Abū Muslim» *M.W.* 1947,37.

(3) «The 'Abbāsid Conspiracy..» Indo-Iranica, 1952 — 1953, III.

(4) City chronicles of Central Asia and Khurasan (Avicenna Commemoration Volume, 1956).

Gibb, H.A.R. (1) The Arab Conquests in Central Asia, London 1923.

(2) Studies on the Civilization of Islam London 1962

(3) Chinese records of the Arabs in Central Asia BS.O.S., II, 1922.

(4) Government and Islam under the early 'Abbāsid Elaborations dl'Islam VIII, 1961 — 1962.

(5) «The Caliphate and the Arab states» in a History of the Crusades vol., 1958

Goitein, S. D. Studies in Islamic history and Institution leyden, 1966.

Graber, O., «Umayyad palace and the 'Abbāsid revolution *S.I.*, 1963.

Habiba, A., A study on Abu Zakariyā's work,Ph. D. Thesis Cambridge Univrsnity, 1965.

Jafri, S.H.M. The early development of legitimate shi'ism Ph. D. Thesis, S.O.A.S. London University 1966.

Le strange, G. Baghdad during the 'Abbāsid Caliphate Oxford, 1924.

Lewis, B. (1) *The Arabs in histbry* London 1950.

(2) «An apocalyptic vision of Islamic History» B.S.O. A.S., 13, 1950.

(3) «Some observations on the significance of Heresy in the History of Islam» *S.I.* vol. I, 1953.

(4) «Government, Society and economic life under the 'Abbāsides» in *Cambridge Medieval History*, new ed. 1966.

(5) Muslim Civilization in the Abbāsid period *Cambridge Medieval History*, new ed. 1966, chapt. XVI.

Lewis, B. and Holt, p.M., Historians of the Middle East, London 1962

Margolioth, D.S., lectures on Arabic Historians, Calcutta 1930.

Nichelson, R.A., Aliterary history of the Arabs, Cambridge, 1953.

Noldeke, Th., Sketches from eastern History. London 1892

Omar, F., (1) **The Âbbasīd Caliphate** ,ph. D. Thesis S.O.A.S. (London University). 1967 .

(2) Hārūn al-Rashīd in the *E.I.*new edition 1967.

(3) Ibn al- Naṭṭāḥ in the *E.I.* (2).

(4) Ibrāhīm al-Imām, in the E.I. (2).

(5) The Composition of the early Abbasid Support 132 — 170 A.H. *B.C.A.*. 1967

Rajkowski, W.W. Early shi'ism in Iraq. Ph. D. Thesis,S.O.A.S. London University, 1955.

Rosenthal, F. A History of Muslim Historiography, Leyden 1952.

Sha'ban, M.A., The Social and political Background of the 'Abbāsid Revolution, Ph. D. Thesis. Harvard 1960.

Storey, C.A., *Persian Literature*, London 1935.

Watt, M., (1) «The Rafidites», *Oriens* XVI, 1961
(2) «The political thought of the Mu'ta Zilah», J.R. A.S., 1962.
(3) «The reappraisal of 'Abbāsid shi'ism» in *Arabic and Islamic studies...*, E.J. Brill 1965.

Welhausen, The Arab Kingdom and its fall, Calcutta 1922.

٢ ـ المصادر الفرنسية

Amélineau, M.E., «les derniers jours et la mort du Khalifa. Marwan» J. A., 1914.

Baghdad, volume spècial, publié à l'occasion du Mille Deux Centime Anniversaire de la Fondation 1962.

Blochet, E., Le messianisme dans l'héterodoxie musulmane, Paris, 1903.

Cahen, C., «Points de vue sur la Révolution ʿAbbāside». in R.H, 1963.

Christensen, A., L'Iran sous les Sassanides, Copenhagen 1963.

Massignon, L. Salman P'ak et les premices spirituelles de l'Islam Iranian, Paris, 1934.

Mélikoff — Sayar, I.

(1) La Geste de Melik Danismand Paris, 1960.

(2) Abu Muslim le «porte-Hache» du Khorasan, Paris, 1962.

Pellat, ch., le Milieu Basrien et de Formation du Gāḥiz Paris, 1953.

Quatrémere, M., «Avénement des ʿAbbāsides au Khalifat N.J.A, X.V.I, 1835.

Sadighi, G.H., Les mouvements religieux Iraniens du IIe et IIIe siécles de l'Hégire, Paris 1938.

Sauvaget, J. Introduction a l'Histoire de l'Orient Musulman, 2nd ed. Paris 1961,

Sourdel, D., (1) Le vizirat ʿAbbāsid , Damascus, 1959-1960.

(2) «Baghdad, Capital du nouvel empire..» in *BAGDAD*, Leyden, 1962.

Vajda, G., «Les Zindiqs...» *R.S.O.*, XVII, 1938.

Van vloten, *Recherches sur la Domination Arab*, Amsterdam, 1894.

Wiet, G., «L'empire néo-byzantin des Omayyades...» in *Cahiers d'histoire Mondiale*, t, 1953.

٣ ـ المصادر الألمانية

Arendonk, C. Van, De Opkomst van het Zaidietische... Leyden 1919. انظر المقدمة للكتاب

Brockelmann, C., Geschichte der Arabischen litteratur Leyden, 1898, Leyden 1943-9.

Goldziher, I., (1) Muhammedanishe studien. Halle 1889:90, Hildesheim, 1961.
(2) «Ombre de Dieu, Khalifa de Dieu» *R.H.E.*, XXXV, 1897 Houtsma, M.,
«Bih'afrid» *W.Z.K.M.*, 1889.

Miz, A. Die Renaissance des Islam, Heidelberg 1922.

Noldeke, Th., (انظر المصادر الانكليزية)

Spuler, B., Iran in früh-Islamischer Zeit Wiesbaden 1952.

Vanvloten, G., De Opkomst der ʿAbbāsiden in chorasan Leyden 1890.

Vasmer, R., Chronologie der arabischen statthalter... leningrad 1931.

Weil, G., Geschichte des chalifen, Mannheim 1866.

Welhausen, Die religiös -Politishen Opposition Sporteien...

٤ – المصادر الايطالية

Gabrieli, Fr. (1) « Al - Ma'mūn e gli Ālidi *Morgeul Texte und Forschungen*, II, 1929, Leipzig. انظر مقدمة المقالة
(2) « L'opera di Ibn al-Mugaffa,» *R.S.O.*XIII, 1931-32.

Moscati, S. (1) «Studi Su Abu Muslim», *R.L.* Ser. VII, IV, 1949 Ser V, 1950.
(2)«La rivolta di Ābd al - Gabbār contro il Califfo al-Mansur» *R.L.* VIII, II, 1947
(3) «Il Testament di Abū Hashim»*R.S.O.* XXVII, 1952.
(4) «Per una Storia dela Antica si'a» *R.S.O.*, 1955.

Traini, R., «La Corrispondenza tra al-Mansur e Muhammad an-Nafs azzakiyya» *A.I.U.O.N.*, 1964

Vaglieri, L.U. «Le vicende del Hārigismo in ep oca Abbāside». R.S.O., 24, 1949.

٥ – المصادر الروسية

Yakubovsky, A.Y. «Vosstaniye Mukanni» S.V. V, 1948, pp. 35-54.

Central Asian Research Centre — Map of Soviet Central Asia and Kazakhstan 2nd. ed. 1962.

فهرست الأعلام والقبائل والأماكن

(ب)

الحسن بن علي : ١٠٧ ، ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣١٦

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ل)

(م)

الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية في العصر العباسي

